الصفاتُ المذمومة المقترنة بلفظة الإنسان وعلاجُها من خلال القرآن الكريم– دراسة موضوعية

2024

أطروحة دكتوراه

قسم العلوم الإسلامية الأساسية

Omar Salih Omar FARES

المشرف

Doç. Dr. İbrahim Hakkı İMAMOĞLU

الصفاتُ المذمومة المقترنة بلفظة الإنسان وعلاجُها من خلال القرآن الكريم– دراسة موضوعية

Omar Salih Omar FARES

المشرف

Doç. Dr. İbrahim Hakkı İMAMOĞLU

بحث أُعدّ لنيل درجة الدكتوراه في قسم العلوم الإسلامية الأساسية بمعهد الدراسات العليا بجامعة كارابوك في تركيا

كارابوك

شباط/ 2024

المحتويات

المحتويات 1
صفحة الحكم على الرسالة (باللغة التركية) 5
صفحة الحكم على الرسالة 6
DOĞRULUK BEYANI 7
تعهد المصداقية 8
المقدمة 9
ملخص البحث 10
ÖZET 12
ABSTRACT 14
ARŞİV KAYIT BİLGİLERİ 16
بيانات الرسالة للأرشفة 17
ARCHIVE RECORD INFORMATION 18
مشكلة البحث 19
أهداف البحث 19
أسئلة البحث 20
أهمية البحث 20
منهج البحث 21
حدود البحث 21
الدراسات السابقة 22
الفصل التمهيدي 28
المبحث الأول: التعريف بمفردات العنوان 29
المطلب الأول: المقصود بالإنسان 29
المطلب الثاني: المقصود بـ "الصفات المذمومة" 33

المطلب الثالث: المقصود بالمعالجة 36
المبحث الثاني: الألفاظ المشابهه للفظة الإنسان (البشر- النفس).....39
المطلب الأول: ماهية البشر 39
المطلب الثاني: النفس 40
المبحث الثالث: لفظة الإنسان في القرآن (من ناحية السياق والمعنى- ومن ناحية الإعراب).....42
المطلب الأول: لفظة الإنسان في القرآن الكريم من ناحية السياق والمعنى. 42
المطلب الثاني: لفظة الإنسان في القرآن الكريم من ناحية النحو والإعراب. 46
المبحث الرابع: معالجة الإنسان من الصفات المذمومة ومنهج القرآن الكريم في ذلك. 48
المطلب الأول: مفهوم تزكية النفس، ومصادرها. 48
المطلب الثاني: منهج القرآن الكريم في معالجة الصفات المذمومة للإنسان 51
أولاً: محاسبة النفس. 52
ثانياً الوقاية من الصفات المذمومة. 56
الفصل الأول: صفات الضعف واليأس والجحود لنعم الله في الإنسان وسبل علاجها..... 69
المبحث الأول: صفة الضعف في الإنسان وسبل علاجها 70
المطلب الأول: صفة الضعف في اللغة والقرآن 70
المطلب الثاني: مظاهر ضعف الإنسان، والسبل الشرعية لعلاج صفة الضعف في الإنسان. 73
المبحث الثاني: صفة اليأس والقنوط في الإنسان 83
المطلب الأول: مفهوم اليأس والقنوط في القرآن الكريم. 83
المطلب الثاني: أسباب اليأس والقنوط، والآثار المترتبة عليه. 86
المطلب الثالث: معالجة صفة اليأس والقنوط في القرآن الكريم. 89
المبحث الثالث: صفة الجحود في الإنسان، وسبل علاجها. 97
المطلب الأول: مفهوم صفة الجحود في اللغة والاصطلاح، واقترانها بالإنسان في القرآن الكريم.....97
المطلب الثاني: آثار الجحود، وسبل علاجه في القرآن الكريم. 99
الفصل الثاني: صفات الظلم والطغيان والكفر في الإنسان، وسبل علاجها 105
المبحث الأول: صفة الظلم في الإنسان، وسبل علاجها 106
المطلب الأول: الظُّلْم فى اللغة والاصطلاح، واقترانها بالإنسان في القرآن الكريم. 106
المطلب الثاني: أسباب الظلم، وآثاره. 109
المطلب الثالث: سبل علاج صفة الظلم في الإنسان.....112

المبحث الثاني: صفة الطغيان في الإنسان 118
المطلب الأول: الطغيان في اللغة والاصطلاح، ومعانيها في القرآن الكريم. 118
المطلب الثاني: سبل العلاج من صفة الطغيان 122
المبحث الثالث: صفة الكفر في الإنسان. 126
المطلب الأول: الكفر في اللغة والاصطلاح، ومعانيه في القرآن الكريم 126
المطلب الثاني: سبل العلاج من صفة الكفر 130
الفصل الثالث: صفات الجهل والجدل والعجلة في الإنسان، وسبل علاجها 136
المبحث الأول: صفة الجهل في الإنسان، وسبل علاجها 137
المطلب الأول: صفة الجهل في اللغة والاصطلاح، والقرآن الكريم. 137
المطلب الثاني: مظاهر الجهل وما ينتج عنه في القرآن الكريم 142
المطلب الثالث: سبل علاج صفة الجهل في الإنسان 144
المبحث الثاني:صفة الجَدَل عند الإنسان 151
المطلب الأول: الجدل في اللغة والاصطلاح، والقرآن الكريم. 151
المطلب الثاني: وصف القرآن لجدال الأنبياء (الجدال الممدوح) 156
المطلب الثالث: سُبل علاج الجدل المذموم في الإنسان 159
المبحث الثالث: صفة العجلة في الإنسان 163
المطلب الأول: العجلة في اللغة والاصطلاح، والقرآن الكريم. 163
المطلب الثاني: أسباب العَجلة 165
المطلب الثالث: سبل علاج صفة العجلة في الإنسان 167
الفصل الرابع: صفات البخل والجزع والفرح في الإنسان وسبل علاجها 172
المبحث الأول: صفة البخل في الإنسان، وسبل علاجها 173
المطلب الأول: البخل في اللغة والاصطلاح، والقرآن الكريم. 173
ثانياً: الآيات القرآنية المعبّرة عن بخل الإنسان 174
المطلب الثاني: حكم البخل، وأسبابه. 175
المطلب الثالث: آثار البخل وعواقبه 177
المطلب الرابع: سبل علاج صفة البخل عند الإنسان 178
المبحث الثاني: صفة الجزع في الإنسان وسبل علاجها 184
المطلب الأول: تعريف الجزع في اللغة والاصطلاح، والقرآن الكريم. 184

المطلب الثاني: العوامل التي تسبب الجزع، وعواقبه. 185
المطلب الثالث: سبل علاج صفة الجزع في الإنسان 187
المبحث الثالث: صفة الفرح في الإنسان وسبل علاجها 191
المطلب الأول: تعريف الفرح في اللغة والاصطلاح، والقرآن الكريم. 191
المطلب الثاني: أسباب الفرح السلبي المذموم 193
المطلب الثالث: سبل علاج الفرح المذموم في الإنسان 196
الخاتمة والنتائج 200
السيرة الذاتية 214

صفحة الحكم على الرسالة (باللغة التركية)

Omar Salih Omar FARES tarafından hazırlanan **"**KUR'AN-I KERİM'DE İNSANIN KINANAN ÖZELLİKLERİ VE BUNLARI KURAN'IN ELE ALIŞ BİÇİMİ (SEMANTİK BİR İNCELEME)**"** başlıklı bu tezin Doktora Tezi olarak uygun olduğunu onaylarım.

Doç. Dr. İbrahim Hakkı İMAMOĞLU .....

Tez Danışmanı, Temel İslam Bilimleri

Bu çalışma, jürimiz tarafından Oy Birliği ile Temel İslam Bilimlerinde Doktora Tezi olarak kabul edilmiştir. 19.02.2024

Ünvanı, Adı SOYADI (Kurumu) **İmzası**

Başkan : Doç. Dr. İbrahim Hakkı İMAMOĞLU (KBÜ) .....

Üye : Dr. Öğr Üyesi Khaled DERSHAWI (KBÜ) .....

Üye : Dr. Öğr Üyesi Mustafa YILDIZ (KBÜ) .....

Üye : Doç. Dr. Abdussalam YOUSUF (MAÜ) .....

Üye : Doç. Dr. Mohamad KALOU (ADYÜ) .....

KBÜ Lisansüstü Eğitim Enstitüsü Yönetim Kurulu, bu tez ile, Doktora Tezi Tezi derecesini onamıştır.

Doç. Dr. Zeynep ÖZCAN .....
Lisansüstü Eğitim Enstitüsü Müdürü

صفحة الحكم على الرسالة

أصادق على أن هذه الاطروحة التي أعدت من قبل الطالب عمر صالح عمر فارس بعنوان "الصفاتُ المذمومة المقترنة بلفظة الانسان وعلاجُها من خلال القرآن الكريم– دراسة موضوعية" في برنامج الدراسات العليا هي مناسبة كرسالة دكتوراه.

Doç. Dr.İbrahim Hakkı İMAMOĞLU .....

مشرف الرسالة، العلوم الإسلامية الأساسية

قبول

تم الحكم على أطروحة الدكتوراه هذه بالقبول بإجماع لجنة المناقشة بتاريخ.

2024.02.19

أعضاء لجنة المناقشة	**التوقيع**
رئيس اللجنة : Doç. Dr.İbrahim Hakkı İMAMOĞLU (KBÜ)	.....
عضواً : Dr. Öğr Üyesi Khaled DERSHAWI (KBÜ)	.....
عضواً : Dr. Öğr Üyesi Mustafa YILDIZ (KBÜ)	.....
عضواً : Doç. Dr. Abdussalam YOUSUF (MAÜ)	.....
عضواً : Doç. Dr. Mohamad KALOU (ADYÜ)	.....

تم منح الطالب بهذه الرسالة درجة الدكتوراه في قسم العلوم الإسلامية الأساسية من قبل مجلس إدارة معهد الدراسات العليا في جامعة كارابوك.

Doç. Dr. Zeynep ÖZCAN .....

مدير معهد الدراسات العليا

DOĞRULUK BEYANI

Doktora Tezi olarak sunduğum bu çalışmayı bilimsel ahlak ve geleneklere aykırı herhangi bir yola tevessül etmeden yazdığımı, araştırmamı yaparken hangi tür alıntıların intihal kusuru sayılacağını bildiğim, intihal kusuru sayılabilecek herhangi bir bölüme araştırmamda yer vermediğimi, yararlandığım eserlerin kaynakçada gösterilenlerden oluştuğunu ve bu eserlere metin içerisinde uygun şekilde atıf yapıldığını beyan ederim.

Enstitü tarafından belli bir zamana bağlı olmaksızın, tezimle ilgili yaptığım bu beyana aykırı bir durumun saptanması durumunda, ortaya çıkacak ahlaki ve hukuki tüm sonuçlara katlanmayı kabul ederim.

ADI SOYADI : Omar Salih Omar FARES

İmza :

تعهد المصداقية

أقر بأنني التزمت بقوانين جامعة كارابوك، وأنظمتها، وتعليماتها، وقراراتها السارية المفعول المتعلقة بإعداد أبحاث الماجستير والدكتوراه أثناء كتابتي هذه الأطروحة التي بعنوان:

" الصفاتُ المذمومة المقترنة بلفظة الانسان وعلاجُها من خلال القرآن الكريم– دراسة موضوعية"

وذلك بما ينسجم مع الأمانة العلمية المتعارف عليها في كتابة الأبحاث العلمية، كما أنني أعلن بأن أطروحتي هذه غير منقولة، أو مستله من أطروحات، أو كتب، أو أبحاث، أو أية منشورات علمية تم نشرها أو تخزينها في أية وسيلة إعلامية باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد.

اسم الطالب:عمر صالح عمر فارس

التوقيع:

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فقد نظر القرآن الكريم الى الإنسان نظرة خاصة في أرقى تصور، حيث أكرمه الله سبحانه تعالى بغض النظر عن دينه، وانتمائه العرقي والقومي، ووضعه المادي، وغير ذلك، ويقول الله سبحانه وتعالى في ذلك: ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا**﴾. الإسراء: (70). وكذلك خاطبه الله سبحانه باعتباره كائناً سّخَّرَ له ما في السماوات والأرض، حيث قال تعالى: ﴿**ألم تروا أن الله سخّر لكم ما في السّماوات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعَمه ظاهرةً وباطنةً**﴾، لقمان: (20). وقال أيضاً: ﴿**وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ الجاثية: (13).

وقدّ ميّز الله الإنسانَ عن الكائنات الأخرى بالعقل، وجعل ذلك مناط التكليف، وكذلك غرس فيه العديد من الصفات المذمومة والحميدة، وسيقوم هذا البحث بدراسة الصفات المذمومة الواردة في حق الإنسان في القرآن الكريم، وسبل علاجها والتخلص منها.

ملخص البحث

الإنسان ذلك المخلوق المكرّم بنصّ القرآن الكريم وخليفة الله في الأرض، جاء ذكره في القرآن ستاً وستين مرة، ليكون دليلاً على اهتمام الوحي الإلهي به؛ وذلك ببيان صفاته المختلفة–الحميدة منها والمذمومة– والتي تُعدُّ جزءاً من طبيعته البشرية، وفطرته التي جُبِلَ عليها، ويقيناً منا بأن ما نُسب للإنسان من صفات مذمومة في القرآن الكريم لم تترك بدون وضع السُبل المناسبة لعلاجها، فالوحي الإلهي هو شفاء وعلاج لكل خلل في طبيعة الإنسان، ومصدرٌ لتزكية الإنسان والارتقاء به ليكون أهلاً لمسؤولية الإعمار والخلافة التي أوكلت إليه. فجاء البحث بغية التعمق في موضوع الصفات المذمومة المنسوبة للإنسان، والتأمل في آيات القرآن الكريم، وفهم أقوال المفسرين حول تلك الصفات وتحليلها ومقارنتها، بهدف الوصول إلى السبل الممكنة التي تساعد على علاج النفس الإنسانية منها والتخلص من أثارها السلبية، وفي سبيل تحقيق هدف البحث اتبعنا كل من المنهج الاستقرائي؛ باستقراء الصفات المذمومة المقترنة بلفظ الإنسان في القرآن الكريم والكشف عنها. والمنهج التحليلي؛ من خلال دراسة وتحليل تلك الصفات المذمومة، وفهم وتحليل أقوال العلماء والمفسرين فيها بغية الوصول لوسائل معالجة لهذه الصفات المذمومة. ومن أهم النتائج التي توصل إليها البحث: أن معالجة القرآن الكريم للصفات المذمومة جاء على محورين: الأول؛ معالجة عامة لكل ما ذّم من سلوك عند الإنسان، فنجده نصّ على أن إهمال محاسبة النفس وإرخاء الحبل لها يجعل النفس تنغمس في ظلمات الشهوات، في حين أن المداومة على محاسبة النفس من شأنه أن يقلل من الصفات المذمومة لدى الإنسان ويجعل حسابه يسيراً يوم القيامة. ومن سبل العلاج العامة أيضاً اعتمد القرآن على مبدأ الترغيب الترهيب في معالجة الصفات المذمومة عند الإنسان. وأخيراً نجد في القرآن أن جهاد النفس وما يتبعه من جهادٍ للهوى والشيطان وحب الدنيا وزينتها، أفضل وسيلة في محاربة صفات الإنسان المذمومة.

أما المحور الثاني في المعالجة؛ ففيه وضع الوحي الإلهي سُبل وطُرق معالجة مناسبة في مقابل كل صفة مذمومة، تبدأ بالنهي عن الصفة وتنتهي بتخليص الإنسان منها ومن كل أثر سلبي لها.

الكلمات المفتاحية: الصفات المذمومة، الإنسان في القرآن، معالجة الصافات المذمومة.

ÖZET

Kur'an-ı Kerim'e göre insan, eşref-i mahluktur ve Allah'ın yeryüzündeki halifesidir. Vahyin insanla olan ilgisinin en önemli göstergesi Kur'an'da insandan altmış altı defa bahsetmiş olmasıdır. Aynı bağlamdaki diğer ayetlerle birlikte bu altmış altı ayette, onun beşerî yönünün bir parçası olarak kabul edilen övülmüş ve kınanmış çeşitli sıfatları bulunmaktadır. Ayrıca Kur'an-ı Kerim'de insana atfedilen mezmûm sıfatların ve uygun tedavi yöntemlerinin de gösterildiği düşünülmektedir. İlâhi vahiy, insan fıtratındaki her türlü kusurun şifa ve devası; kendisine emanet edilen imar ve halifelik sorumluluğuna layık hale getirecek bir kaynaktır.

Araştırmanın amacı, insana atfedilen mezmûm sıfatların konusunu derinlemesine incelemek, Kur'an ayetleri üzerinde düşünmek, müfessirlerin bu sıfatlarla ilgili görüşlerini analiz etmek ve karşılaştırmaktır.

Bu çalışmada insan ruhunu tedavi etmeye ve olumsuz etkilerinden kurtulmaya yardımcı olacak yolları gösterecek ve Kur'an-ı Kerim'de "insan" kelimesiyle ilişkilendirilen mezmûm sıfatları ortaya çıkaracak tümevarımsal yöntem izlenmiştir. Ayrıca bu mezmûm sıfatları incelemek, alimlerin ve müfessirlerin bunlarla ilgili sözlerini anlamak ve kınanmış sıfatları tedavi etmenin yollarını bulmak için analitik yöntem kullanılmıştır.

Araştırmanın ulaştığı en önemli sonuçlar şunlardır: Kur'an-ı Kerim'in mezmûm sıfatları ele alışı iki eksene dayanmaktadır: Birincisi; Kur'ân, tüm zemmolunmuş insan davranışlarını gerek kavramsal gerekse içerik olarak ortaya koymaktadır. Bu yönüyle nefsi hesaba çekmemek, nefsin arzularının karanlığına gömülmesine neden olmaktadır. Kişinin sorumluluk bilincinde olması kınanan sıfatlarını azaltacak ve kıyamet gününde çekilecek olduğu hesabını kolaylaştıracaktır. Kur'an-ı Kerim, insanlarda zemmolunmuş sıfatların tedavisinde teşvik ve korkutma (terhîb ve tergîb) ilkesini esas almıştır. Nefisle cihadın ve ardından hevâ ve heveslere, şeytana, dünya sevgisine ve onun zînetlerine karşı mücahedenin en iyi vasıtalar olduğu görülmektedir.

Kur'ân'da mezmûm sıfatlarla ilgili ikinci eksen bunların tedavi edilmesidir. İlahi vahiy, her türlü kınanmış sıfat ile baş etmek için uygun yol ve yöntemleri ortaya koymuştur. Tedavi, sıfatın yasaklanmasıyla başlamakta ve kişinin bu sıfattan ve her türlü olumsuz etkisinden kurtulmasıyla ortadan kalkmaktadır.

Anahtar Kelimeler: Tefsir; Kur'ân, İnsan; Mezmûm Sıfatlar; Zemmolunmuş Sıfatların Tedavisi.

ABSTRACT

Man, the most honourable living creature and God's successor on this planet has been mentioned by the holy Qur'an, sixty-six times. It is so to be evidence of the divine revelation's interest in him. This comes through the explanation of his various qualities - both good and reprehensible ones - which are considered part of his human nature and his real nature. We are quite certain that the reprehensible qualities attributed to man in the Holy Qur'an were not left without appropriate ways to find the suitable remedy for them. The divine revelation is a good treatment and healing for every defect in the nature of the human being. It is also a source of purifying man and elevating him so that he is worthy of the responsibility of reconstruction and caliphate laid to him. This research has come to go deeper into the subject of reprehensible traits attributed to humans, meditating on the verses of the Holy Qur'an, understanding the Interpreters' sayings about those characteristics, analysing them, and comparing them, with the aim of arriving at possible ways that help treat the human soul from them and get rid of their negative effects. For the sake of achieving the goal of the research, we followed all forms like the inductive approach through extrapolating the reprehensible characteristics associated with the word "human" in the Holy Qur'an and revealing them. And the analytical method; by studying and analysing these reprehensible characteristics, and understanding as well as analysing the statements of scholars and interpreters regarding them in order to gain the final goal of treating these reprehensible characteristics. Among the most important outcomes of the research is that the Holy Qur'an's treatment of reprehensible attributes was based on two patterns: the first; A general treatment of all the reprehensible of the human behaviour. We find that the Holy Qur'an has included that neglecting the soul punishment and giving it all the wishes makes the soul indulge in the darkness of desires, while at the same time the self-continuous education would reduce the reprehensible qualities of a person and make his attitude easy on the Day of Resurrection. Among the general methods of treatment, the Qur'an also relied on the principle of encouragement and intimidation in treating reprehensible traits in humans. Finally, we find in the Qur'an that jihad against oneself, and the subsequent jihad against desires, hopes and Satan, and love of the world and its adornments, is the best means of combating reprehensible human characteristics. As for the second pattern of treatment:

In it, the Divine Revelation established appropriate ways and methods of dealing with every reprehensible characteristic, starting with the prohibition of the characteristic and ending with releasing the person of it and every negative effect of it.

Keywords: Reprehensible Characteristics; Man In The Qur'an; Treatment Of Reprehensible Characteristics.

ARŞİV KAYIT BİLGİLERİ

Tezin Adı	İnsan Lafzıyla Bağlantılı Zemmedilen Nitelikler Ve Bunların Kur'an-I Kerim'e Göre Çözümü: Objektif Bir Çalışma
Tezin Yazarı	Omar Salih Omar FARES
Tezin Danışmanı	Doç. Dr. İbrahim Hakkı İMAMOĞLU
Tezin Derecesi	Doktora
Tezin Tarihi	19.02.2024
Tezin Alanı	Temel İslam Bilimleri
Tezin Yeri	KBÜ/LEE
Tezin Sayfa Sayısı	218
Anahtar Kelimeler	Mezmûm Sıfatlar; Kur'an'da İnsan; Zemmolunmuş Sıfatların Tedavisi.

بيانات الرسالة للأرشفة

عنوان الرسالة	الصفاتُ المذمومة المقترنة بلفظة الانسان وعلاجُها من خلال القرآن الكريم- دراسة موضوعية
اسم الباحث	عمر صالح عمر فارس
اسم المشرف	الأستاذ المشارك د. ابرهيم حقي إمام اغلو
المرحلة الدراسية	الدكتوراه
تاريخ الرسالة	19.02.2024
تخصص الرسالة	العلوم الإسلامية الأساسية
مكان الرسالة	جامعة كارابوك – معهد الدراسات العليا
عدد صفحات الرسالة	218
الكلمات المفتاحية	الصفات المذمومة، الإنسان في القرآن، معالجة الصافات المذمومة.

ARCHIVE RECORD INFORMATION

Name of the Thesis	The Condemned Attributes Associated With The Word "Human" And Their Solution According To The Qur'an: An Objective Study
Author of the Thesis	Omar Salih Omar FARES
Advisor of the Thesis	Assoc. Prof. Dr. İbrahim Hakkı İMAMOĞLU
Status of the Thesis	Ph.D.
Date of the Thesis	19.02.2024
Field of the Thesis	Basic Islamic Sciences
Place of the Thesis	UNIKA/IGP
Total Page Number	218
Keywords	Reprehensible Characteristics; Man In The Qur'an; Treatment Of Reprehensible Characteristics.

مشكلة البحث

وردت كلمة الإنسان في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، وضمن سياقات متعددة، ومقترنةً بصفاتٍ بعضها سلبية مذمومة، وأخرى إيجابية حميدة، وهذه الصفات المذمومة للإنسان والمذكورة في القرآن لم تُذكر بلا حلول، بل وضع لها حولاً بمعالجتها وتزكيتها بغية للارتقاء بالإنسان، وتأهيله للمسؤولية التي خُلق من أجلها، لكنني لم أجد هذا الموضوع مكتملاً في دراسة علميّة تغطي جميع تلك الصفات المذمومة، والذي يؤيد هذا الأمر ما أوصى به أحد الباحثين في بحثه بدراسة كل صفة مذمومة دراسة متعمقة من حيث المفهوم والبحث عن سبل علاجها وتزكية النفس منها،[1] فجاء البحث بغية البحث المتعمق في موضوع الصفات المذمومة المنسوبة للإنسان، والتأمل في آيات القرآن الكريم، وفهم أقوال المفسرين حول تلك الصفات وتحليلها ومقارنتها، وكذلك البحث عن السبل الممكنة التي تساعد على علاج النفس الإنسانية منها وتبيّن كيفيّة التخلص منها، واستبدالها بالصفات الحميدة التي تليق بالإنسان، وتعِين على تحقيق المقصد الحقيقي من وجوده في هذا الكون. وبناء على ما تقدم يمكننا إيجاز السؤال الرئيسي التي ستحاول الدراسة الإجابة عليه فيما يأتي:

ما هو العلاج القرآني للصفات المذمومة المقترنة بلفظ الإنسان الواردة في القرآن الكريم؟

ويتفرع من هذا السؤال الرئيس مجموعة من الأسئلة الفرعية التي سنذكرها بالتفصيل في فقرة أسئلة البحث التي ستأتي لاحقاً.

أهداف البحث

يرمي البحث إلى تحقيق أهداف عدة يمكن تلخيصها فيما يلي:

---

1 إبراهيم بن محمد بن عبد الله العيسى، **صفات الإنسان المذمومة في القرآن الكريم، وسبل التزكية منها في ضوء مصادر التربية الإسلامية**، جامعة أسيوط، كلية التربية، إدارة البحوث والنشر العلمي، مجلد35، عدد1، 2019، ص205.

1- توضيح معنى لفظ الإنسان في السياق القرآني والألفاظ المشابه له.

2- استقراء الصفات المذمومة المقترنة بلفظ الإنسان الواردة في القرآن الكريم، ودراستها في السياقات القرآنية المتعددة.

3- بيان منهج القرآن الكريم في معالجة الصفات المذمومة عن الإنسان.

4- استنباط السُبل الممكنة لعلاج النفس الإنسانية من الصفات المذمومة وطرق التخلص منها في ضوء القرآن الكريم.

أسئلة البحث

من المقدمة السابقة، ومشكلة البحث، وأهدافه تظهر عدة أسئلة يبذل الباحث جهداً للإجابة عنها، وهي:

1- ما هو معنى لفظ الإنسان في القرآن الكريم، وهل من فرق بينه وبين الألفاظ المشابهه ك " البشر- الناس"؟

2- كيف عالج القرآن الكريم الصفات المذمومة عند الإنسان، وما هو منهجه في ذلك ؟

3- ما هي الصفات المذمومة المقترنة بلفظ الإنسان الواردة في القرآن الكريم، وما دلالات تلك الصفات المذمومة ؟

4- ما هي السُبل التي من الممكن استنباطها من القرآن الكريم لعلاج الصفات المذمومة للنفس الإنسانية ؟

أهمية البحث

تبرز أهمية هذه الدراسة لأسباب عديدة أهمها:

1- تعلقه بأشرف كتاب على هذه البسيطة، ألا وهو القرآن الكريم.

2- تخصصه بالإنسان، كونه أكرم مخلوق عند الله سبحانه وتعالى، والذي قال عنه: ((ولقد كرمنا بني آدم))[1]

3- إبراز اهتمام القرآن الكريم بالإنسان وصفاته، فقد ذُكرت لفظة الإنسان في كتاب الله ستاً وخمسين مرة في السور المختلفة.

4- أهمية معرفة الإنسان لنفسه وصفاته وعيوبه، وكيفية معالجة صفاته المذمومة وعيوبه استنباطاً من كتاب الله تعالى، الذي يعُدّ دستوراً لحياته، وهدياً ومنيراً لدربهِ.

منهج البحث

يتبع البحث في دراسته الموضوعية مناهج عديدة للوصول إلى أهدافه، وهذه المناهج كما يلي:

المنهج الاستقرائي: ويطبّق البحث هذا المنهج من خلال جمع واستقراء الصفات المذمومة المقترنة بلفظ الإنسان في القرآن الكريم والكشف عنها.

المنهج الاستدلالي: من خلال الاستدلال بكل صفة من الصفات المذمومة للإنسان بما وردت فيها من آيات قرآنية وأحاديث نبوية.

المنهج التحليلي: من خلال دراسة وتحليل الصفات المذمومة للإنسان وتحليل أقوال العلماء والمفسرين فيها بغية الوصول لوسائل معالجة لهذه الصفات المذمومة.

حدود البحث

1 سورة الإسراء، الآية: 70.

انطلاقاً من القواعد المنهجية في كتابة الرسائل العلمية كان لابد من وضع حدود للموضوع الذي سنتاوله في الرسالة، حيث يكون ذلك بمثابة تعهد من الباحث بأن يلتزم بدراسة كل النقاط والمسائل الداخلة ضمن حدود بحثه، وبالمقابل لا تكون عليه مسؤولية علمية على عدم التطرق لما يعتبر خارج نطاق بحثه، كما ويستفاد القراء للرسالة –من الاطلاع على حدود البحث– معرفة المواضيع التي يعتبر البحث مناطاً لها. وفيما يأتي سنبين حدود موضوع الرسالة من خلال النقاط الآتية:

1– سنقوم بجمع واستقراء الصفات المذمومة المقترنة بلفظة الإنسان في القرآن الكريم دون غيرها من الصفات؛ وذلك تجنباً للاطالة التي لا تناسب الرسائل العلمية، لذا كان لزاماً على الباحث وضع قيد يجمع عدد ممحدود من الصفات ومناسب لرسالة علمية، فوقع اختيارنا على قيد "الصفات المقترنة بلفظة الإنسان"، حيث سيقوم الباحث عند دراسة كل صفة بنقل الآية القرآنية التي تضمنت الاقتران بين الصفة المذمومة ولفظ الإنسان، حتى يكون ذلك بمثابة بيان لسبب اختيار الباحث تلك الصفة دون غيرها.

2– توضيح السياقات القرآنية والمعاني المختلفة التي وردت فيها هذه الصفات المذمومة المقترنة بلفظ الإنسان.

3– النظر في الآيات القرآنية التي ذكرت فيها الصفات الإنسانية المذمومة والآيات التي أشارت إلى علاجها، في سبيل استنباط العلاج القرآني لتلك الصفات المذمومة.

الدراسات السابقة

على الرغم من أهمية الموضوع في حياة الإنسان المسلم، وعلى الرغم من كثرة الآيات القرآنية الواردة فيها، لم تتوفّر رسالة علمية مستقلة تُحيط بجميع جوانب هذا الموضوع، وذلك في حدود اطلاعي، ولكن لاشكّ أنّ هناك بعض الدراسات السابقة المتعلقة بالموضوع، وبعد البحث والمتابعة والسؤال عن الموضوع بواسطة الاساتذة في الجامعات المختلفة وجدت الدراسات السابقة التالية:

1- رسالة بعنوان: "الألفاظ السلبية المستخدمة في القرآن الكريم للإشارة إلى طبيعة الإنسان- Kur'3ân'da İnsanın Yapısına Dair Kullanılan Oumsuzı İfadeler " رسالة ماجستير قدمت لجامعة نجم الدين أربكان 2012م، للطالب: حسن إسلام سك.

تضمنت الرسالة عرضاً لمكونات الطبيعة الإنسانية؛ الروح والجسد والنفس، مع البحث في الدلائل على تقدير الله تعالى للإنسان وتكريمه له، وعرض الأدلة على ذلك من القرآن الكريم، كنفخ الله روحه في الإنسان، وأمر الله تعالى للملائكة بأن يسجدوا للإنسان وغيرها من الأدلة على تكريم الله تعالى للإنسان، وفي الفصل الأخير انتقل إلى عرض الصفات السلبية التي استخدمها القرآن الكريم في بيان الطبيعة التي خلق عليها الإنسان؛ كالضعف والكبر والغضب وغيرها من الصفات.

والمطلع على البحث يجد أنه اختصر على بيان الصفات السلبية التي استخدمها القرآن الكريم في الكشف عن طبيعة الإنسان، مع توضيح السياقات التي وردت فيها هذه الصفات، وبيان الفهم الصحيح لها، دون التطرق إلى المعالجة القرآنية لهذه الصفات، وذلك ما سنقوم به في بحثنا بحول الله تعالى.

2- بحث بعنوان: **الصفات الفردية للإنسان في القران الكريم – دراسة موضوعية:** للدكتور قيس جاسم حسين العيدي، وقد نشر في مجلة كلية العلوم الاسلامية العدد (47) 29/أيلول/2016م جامعة بغداد، وقد قسم الباحث بحثه إلى خمسة مباحث، وذكر فيها العديد من الصفات المذمومة للإنسان، ولكنه لم يبحث عن العلاج للعديد من الصفات.

وقد جاء البحث مختصراً، أما بحثي فيذكر الصفات المذمومة بشكل أوسع، مع التركيز على طرق العلاج لكل صفة من هذه الصفات.

3- بحث بعنوان: **ملامح الطبيعة الانسانية في القران الكريم**: وهو بحث مقدم من أجل استكمال متطلبات الحصول على شهادة الماجستير للباحثة: أروى طارق التل في جامعة جنوب افريقيا في كلية الآداب قسم اللغة العربية لعام 2004، وقد قسمت الباحثة بحثها إلى أربعة فصول وضحت في الأول المدارس التي حللت الطبيعة الإنسانية، وفي الثاني مكانة الإنسان في الوجود، وفي الثالث خلق الإنسان، ثم ذكرت في الرابع صفات الإنسان وبعض طبائعه.

ويختلف بحثي عن هذا البحث بأنه يركز على صفات الإنسان المذمومة المذكورة في القرآن وطرق العلاج لها.

4- بحث بعنوان: **الانسان في القرآن، وجوداً وغاية، دراسة موضوعية**: وهذا البحث عبارة عن رسالة ماجستير للطالب أحمد عبد الله علي الدروبي في كلية أصول الدين، جامعة أم القرى في المملكة العربية السعودية، وقد قسم الباحث بحثه إلى ثلاثة أبواب رئيسية، تكلم في الأول عن الوجود الإنساني والحكمة من وجوده، وتكلم في الباب الثاني عن الغاية من الوجود الإنساني في هذا الكون والسبل التي هيأها الله تعالى له لتحقيق تلك الغاية، وتكلم في الباب الثالث عن أثر هذه الغاية في حياة الانسان ومعوقات تحقيقها.

ونلاحظ أن هذا البحث يتكلم عن الإنسان ووجوده وغايته بصورة عامة، أما بحثي فيركز على توضيح الصفات المذمومة للإنسان في القرآن الكريم وعلاجها، وهذه الصفات هي جزء من وجوده.

5- بحث بعنوان: **النفس الإنسانية في القرآن الكريم**، للباحث محمد يوسف محمد سليمان، وقد بحث النفس البشرية في القرآن الكريم وفق التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، وقد جاءت هذه الرسالة في خمسة فصول، ففي الفصل الأول بيّن مفهوم النفس الإنسانية في القرآن الكريم

وعند علماء المسلمين والفلاسفة، وفي الفصل الثاني تناول الحديث عن دلالات قرآنية حول النفس، وألقى الضوء على هذه الدلالات أما من خلال التصريح القرآني المباشر أو من خلال السياق العام للآيات، وفي الفصل الثالث ألقى الضوء على أمراض النفوس من المنظور القرآني، وفي الفصل الرابع تكلم عن الدوافع أو البواعث أو الحاجات من المنظور القرآني، وفي الفصل الخامس تكلم عن قاعدة التغير من وجهة النظر القرآنية، وآلية التغيير وحقيقته.

ومن الملاحظ أن هذا البحث يدرس النفس الإنسانية من العديد من الجوانب، لكن بحثي يركز على موضوع الصفات المذمومة للنفس البشرية وسبل علاجها.

6- بحث بعنوان: **القرآن وقضايا الإنسان:** للدكتورة عائشة عبد الرحمن، وهو من منشورات دار المعارف، القاهرة، والكتاب مقسم إلى قسمين، تحدثت الكاتبة في الأول منه عن خلق الإنسان وأمانته وحريته وصفاته، وتكلمت في القسم الثاني عن بعض مسائل الغيب والوجود والعدم.

ومن الملاحظ أن هذا البحث يتكلم عن مسائل عدة عن الإنسان، أما بحثي فيتناول صفات الإنسان بصورة خاصة.

7- بحث بعنوان: **صفات الإنسان المذمومة في القرآن الكريم، وسبل التزكية منها في ضوء مصادر التربية الإسلامية،** للدكتور إبراهيم بن محمد بن عبد الله العيسى، وقد تكلّم الباحث عن العديد من الصفات المذمومة للإنسان والواردة في القرآن الكريم، وكذلك اقترح بعض العلاجات لتزكية النفس الإنسانية.

ونلاحظ التشابه بين هذا البحث وبحثي، ولكنه جاء مختصراً، والكثير من النقاط تحتاج إلى توضيح وتفصيل، وهذا ما اقترحه الباحث نفسه.

8- بحث بعنوان: **رياض أخلاق الصالحين**، للشيخ أحمد بن محمد عبدالله –مفتي داغستان، من منشورات دار الرسالة، الطبعة الأولى، عام 2015م، وقد قسم المؤلف بحثه إلى ثلاثة أبواب، الباب الأول: النفس وصلتها بالأخلاق الإنسانية، من الصفحة6 إلى الصفحة18 الباب الثاني: الأخلاق المذمومة، من الصفحة19 إلى الصفحة32. الباب الثالث: الأخلاق المحمودة، من الصفحة 33 إلى الصفحة141.

ويتبين من توزيع الفصول على صفحات الكتاب أن الباحث لم يتحدث عن الصفات المذمومة للإنسان إلا في بضع صفحات قليلة من غير تعمق فيها، وكان جل البحث في دراسة الصفات المذمومة.

بينما بحثي متخصص في الصفات المذمومة للإنسان المذكورة في القرآن الكريم، حيث تعمقت في دراستها وطرق معالجتها من القرآن الكريم، وهذا ما لم تفعله الدراسة السابقة.

9- بحث بعنوان: **الأقوال المذمومة في القرآن الكريم تحليلاً وتطبيقاً**، أطروحة دكتوراه للباحث جهاد محمد عبد الرحمن حماد، مقدمة إلى جامعة العلوم الإسلامية العالمية–قسم أصول الدين، عمّان–الأردن، عام2015م. وقد قسم الباحث أطروحته إلى أربعة فصول: الفصل الأول: أسلوب الذم في الآيات التي عرضت الأقوال المذمومة تحليلاً وتطبيقاً. الفصل الثاني: ما وقع في القرآن من الأقوال المذمومة بغير أفعال الذم في مجال الأخلاق تحليلاً وتطبيقاً. الفصل الثالث: الأقوال التي ذمتها الآيات في مجال العقيدة تحليلاً وتطبيقاً. الفصل الرابع: الأقوال التي ذمتها الآيات في مجال التشريع تحليلاً وتطبيقاً.

وبالنظر إلى فصول الرسالة يتبين أن دراسة الباحث انصبت على الأقوال التي تصدر من الإنسان والتي ذمها القرآن الكريم، ولا يخرج البحث عن الأقوال، أي ما يتلفظ به الإنسان مما ذمه القرآن.

بخلاف بحثي الذي يشمل جميع الصفات المذمومة للإنسان سواء أكانت صفة قولية أو فعلية أو نفسية، وطرق علاجها، وهذا ما لم يرد في الدراسة السابقة.

10- بحث بعنوان: **مفهوم تزكية النفس وأهميتها في القرآن الكريم والسنة النبوية**، لمحمد شهيد الإسلام الفاروقي، منشور في مجلة معهد الدراسات الحديث الشريف والعقيدة الإسلامية، العدد السابع، عام 2017م، وقد قسم الباحث بحثه إلى مبحثين اثنين، المبحث الأول: مفهوم تزكية النفس في اللغة والاصطلاح وبعض المصطلحات المستخدمة في كتابات السلف على معناها. المبحث الثاني: أهمية تزكية النفس في القرآن الكريم والسنة النبوية.

وبالنظر في البحث السابق فإنّه يتبين أنّه تعرض لمفهوم التزكية بشكل عام، بخلاف بحثي الذي تعرض للصفات المذمومة في القرآن وقام بدراستها بشكل دقيق وتفصيلي، ثم عالج هذه الصفات عن طريق بيان وسائل علاجها، وهذا ما لم يوجد في البحث السابق.

ونافلة القول إن الباحث سيستفيد من جميع الدراسات السابقة التي اطلع عليها، ويحاول أن يضيف إليها إضافات مهمة فيما يتعلق بالصفات المذمومة للإنسان في القرآن الكريم مع التركيز على بيان سبل العلاج القرآني لتلك الصفات المذمومة.

الفصل التمهيدي

التعريف بمفردات العنوان ومفهوم معالجة الصفات المذمومة ومنهج القرآن في ذلك

ويشتمل على خمسة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بمفردات العنوان.

المبحث الثاني: الألفاظ المشابهة للفظة الإنسان (البشر– النفس)

المبحث الثالث: لفظة الإنسان في القرآن. (من ناحية السياق والمعنى– ومن ناحية الإعراب).

المبحث الرابع: مفهوم المعالجة من الصفات المذمومة ومصادرها.

المبحث الخامس: منهج القرآن الكريم في معالجة الصفات المذمومة للإنسان.

المبحث الأول: التعريف بمفردات العنوان

لا تخفى الأهميّة الكبيرة لتعريف مفردات عنوان البحث، فعليه يتوقف فهم حقيقة موضوع البحث وحدوده وأهدافه، وبما أنّ الحكم على الشيء فرع عن تصوره، كان من المناسب استهلال هذا البحث ببيان معاني مفردات العنوان من الناحية اللغوية والاصطلاحية. وذلك من أجل تحري الدقة في معالجة الموضوع وكذلك من أجل الوصول إلى نتائج صحيحة.

المطلب الأول: المقصود بالإنسان

أولاً: الإنسان لغةً:

جاء في مختار الصحاح: الْإِنْسُ يراد به البشر الواحد، ويقال:إِنْسِيٌّ بالكسر وسكون النون، وأَنَسِيٌّ بفتحتين، أما الجمع فهو أَنَاسِيُّ، والإنسان أصله "إِنْسِيانٌ"؛ لأنَّ العرب قاطبة قالوا في تصغيره: "أُنَيْسِيانٌ"، إلا أنهم حذفوا الياء الأخيرة لما كثر الناس في كلامهم، وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: "إنما سميّ الإنسان إنساناً لأنه عُهِدَ إليه فنسيَ"، قال سيبويه: والأصل في النَّاسِ الأُناسُ مخفّفاً فجعلوا الألف واللام عوضاً من الهمزة وقد قالوا: "الأُناس".[1] كما ورد لفظ الإنسان في القرآن الكريم التي جذرها "إنس" ولكن بألفاظ مختلفة مثل: "إنس، ناس، أناسيَّ"[2]

ثانياً: الإنسان عند الفلاسفة:

لقد عرَّف الفلاسفة القدماء الإنسان بتعريفات عديدة، وسأذكر في هذا المقام أشهرها:

---

1 محمد بن أبي بكر الرازي، **مختار الصحاح**، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، (بيروت: المكتبة العصرية، ط5، ١٩٩٩م)، مادة (أ، ن، س)، ص 23. محمد ابن منظور، **لسان العرب**، (بيروت: دار صادر، ط3، 1993م، 14/6.

2 DOĞAN ،Recep ،**Kur'an'a Göre İnsanın Evrendeki Yeri** ANKARA ÜNİVERSİTESİ -2008.12.

1- تعريف الإنسان عند أفلاطون: هو الجسد والروح، لكنهما كيانان يفصلان عن بعضهما البعض، إذ إنّ الروح هي أثمن من ممتلكات الإنسان وأسمى من الجسد.

2- تعريف الإنسان عند أرسطو: "هو الحيوان العاقل".

ويُعد تعريف أرسطو من أشهر التعاريف وأكثرها تكراراً في كتب الفلسفة؛ وذلك لتركيزه على صفة العقلانية كصفة حاسمة ومميزة للإنسان عن باقي الحيوانات.

3- كما عرف الفيلسوف سيمون دي بوفار الإنسان: بأنّه الرجل الحرّ الذي يعزل ذاته عن الآخرين بصورة دائمة.[1]

ومن الفلاسفة المسلمين الذي تعرضوا لتعريف الإنسان الإمام الغزالي -رحمه الله- حيث جاء في كتابه المقصد الأسنى: "مفهوم الإنسان: حيوان ناطق عاقل".[2]

والملاحظ هنا أنّ الإمام الغزالي قد زاد على تعريف أرسطو للإنسان قيداً آخر غير العقل، وهو النطق، ولا شكّ أنّ الإنسان يعبر من خلال النطق عما يجول في عقله من أفكار، فالنطق هو ترجمة لأفكار الإنسان وخواطره.

ثالثاً: الإنسان عند علماء المسلمين:

جاء في كتاب الأشباه والنظائر للسبكي: "الصحيح عند أئمتنا وعليه أكثر المسلمين وجمهور المتكلمين أن المشار إليه بإنسان الهيكل المخصوص، ونعني به: هذا البدن المتقوم بالروح.[3] وخالف الرازي جمهور المتكلمين في تعريف الإنسان، وبيان المقصود بلفظ الإنسان، حيث قال:" إنّ الإنسان غير محسوس، وهو

---

1 هبه الجندي، **مفهوم الإنسان عند الفلاسفة**، مقال منشور على شبكة الإنترنيت، موقع حياتك، https://hyatok.com/

2 أبو حامد الغزالي، **المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى**، (قبرص: الجفان والجابي، قبرص، 1407هـ 1987م)، ص 35.

3 تاج الدين السبكي، **الأشباه والنظائر**، (بيروت: دار الكتب العلمية: 1411هـ)، 64/2.

أنّ حقيقة الإنسان شيءٌ مغاير للسطح واللون وكل ما هو مرئي فهو إما السطح وإما اللون، وهما مقدمتان قطعيتان وينتج هذا القياس أن حقيقة الإنسان غير مرئية ولا محسوسة."[1]

وبهذا النص يبدو جلياً مخالفة الإمام الرازي للمتكلمين في تصوره لطبيعة الإنسان فهو يرى أن لا يقصد بالإنسان الجسم والهيكل، وقد ساق سبع عشرة حجةً يرد بها على المتكلمين ويبين خطأ ما قد ذهبوا إليه. ومن خلال النظر في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة التي تناولت الإنسان من حيث طبيعته وتكوينه نجد أنها جاءت واضحة في تأكيد حقيقة هامة ألا وهي أن الإنسان مكون من روح وجسم، فالجسم يقصد به المركب الترابي الذي لا يتم أمره إلا بغيره، أما الروح فهي الجوهر الذي ليس من شأنها إلا التذكر والحفظ والتفكر، فبذلك يكون الإنسان مركب من مزيجي الروح والمادة؛ لذا فهو مطالَب بخدمة هذين المزيجين للحفاظ على بقاء كل منهما.

وبناءً على ما سبق يظهر مخالفة نظرة الإسلام للطبيعة الإنسانية عما ذهبت إليه الفلسفة الغربية والتي جعلت الإنسان فصيلة من الفصائل الحيوانية، ناهيك عن أولئك الذي اعتبروا الإنسان كائناً متطوراً لبعض الحيوانات.[2]

رابعاً: نظرة العلماء المسلمين إلى طبيعة النفس الإنسانية كونها خيّرة أم شريرة:

بناءً على ما تقدم في الفقرة السابقة من أنّ الإنسان مكوَّن من جسد وروح (النفس)، ومعلوم أنّ الجسد هو تابع للنفس، ويأتمر بأوامرها، وبالتالي فالنفس هي المسؤولة عن سلوكيات الإنسان وصفاته الحميدة والمذمومة، من هنا انقسم علماء المسلمين-في نظرتهم لطبيعة النفس الإنسانية من حيث أنها خيّرة في فطرتها أم هي شريرة- إلى إتجاهين اثنين:

---

1 محمد بن عمر الرازي، **مفاتيح الغيب**، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1431هـ)، 397/21.

2 آمنة محمد نصير، **إنسانية الإنسان في الإسلام**، (دار الشروق، بيروت، 1904هـ 1989م)، ص22.

الاتجاه الأول: يرى أصحاب هذا الاتجاه أنَّ النفس الإنسانية شريرة بطبيعتها ومتعدية، فهي مصدر لكل شرّ وسُوء يتصف بها الإنسان، جاء في كتاب الأمد الأقصى للدبوسي: "والنفس موصوفة بالذم حتى سميت طاغوتاً، وأمَّارة بالسوء، وكان هواها مخالفاً لهدى الله"[1]، وإلى مثل ذلك ذهب ابن قيم الجوزية، ويظهر ذلك عند حديثه عن مرض القلب باستيلاء النفس عليه، فقد اعتبر النفس هي الباب التي تدخل منه سائر الأمراض، وهي وجهة المواد الفاسدة لتنتقل بعد النفس إلى القلب ومنه إلى بقية أعضاء الجسم، لذا كانت النفس مما كان يكثر النبي صلى الله عليه وسلّم من الاستعاذة من شرها.[2]

الاتجاه الثاني: يرى أصحاب هذا الاتجاه أن النفس الإنسانية تولد حيادية؛ تكون على مسافة واحدة من الخير والشر، فهي مهيئة للشر كما هي مهيأة للخير، فإذا قادها صاحبها للخير، ووفقه الله لذلك غلب عليها جانب الخير واضمحل جانب الشر، وأما إذا اتبع صاحبها الهوى وغرتها الشهوات طغى عليها الشر وخمد صوت الخير فيه، ومن الذين مالوا إلى هذا الاتجاه أبو حيان التوحيدي، حيث جاء في كتابه القابسات: "إن النفس قابلة للفضائل والرذائل، والخيرات والشرور، والأخلاق التي تعسر من وجه في تهذيبها ويتأتى ذلك من وجه آخر لعلة عجيبة... وليس يجب على الناظر المتحرز، والمجتهد المتعزز، أن ييأس من صلاح ما يمكن صلاحه لتعذر ما لا يمكن ذلك فيه."[3]، وإلى مثل ذلك ذهب ابن حزم الظاهري في تفسيره لطبيعة النفس الإنسانية حيث قال: "وقد علمنا أن الله عز وجل ركّب في الإنسان طبيعتين متضادتين: إحداهما لا تشير إلا بخير ولا تحضُّ إلا على حسن، ولا يُتصوَّر فيها إلا كل أمر

---

1 عبدالله بن عيسى الدبوسي، **الأمد الأقصى**، (بيروت- دار الكتب العلمية)، ص 36.

2 محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، **إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان**، (الرياض- مكتبة المعارف-1431هـ)، 77/1.

3 أبو حيان التوحيدي، **المقابسات**، (الكويت- دار سعاد الصباح-1431هـ)، ص247.

مرضي، وهي العقل، وقائده العدل؛ والثانية ضد لها، لا تشير إلا إلى الشهوات، ولا تقود إلا إلى الردى، وهي النفس، وقائدها الشهوة"[1].

ونلاحظ هنا أنّ ابن حزم اصطلح على الجانب الخير من الإنسان بـــــ "العقل"، بينما اطلق على جانب الشر في الإنسان بـ "بالنفس".

المطلب الثاني: المقصود بـ "الصفات المذمومة"

الصفة في اللغة: جاء في معجم اللغة المعاصرة: وصَفَ يصِف، صِفْ، وَصْفًا وصِفَةً، فهو واصِف، والمفعول مَوْصوف، والجمع أوصاف، وتأتي كلمة وصف في اللغة للتعبير عن كثير من المعاني، ومن ذلك: وصَف فلانًا: أي نعَته بما فيه، ومثاله: وصَفه بالشَّجاعة، ويقال: وصَف رفيقَهُ أو بلدَه أي: رسم صورته، كما يقال: وصَف الخبرَ: أي حكاه بتفاصيله، ويقال: وصف الطبيب الدواء، ويعني: عيَّنه باسمه ومقداره وطريقة علاج الجسد به.[2]

وعليه يمكن القول أنّ أهم معاني الصفة في اللغة هي النعت والرسم وحكاية الحال وتحديد الشيء بنوعه وجنسه ومقداره.

أما الصفة اصطلاحاً: ذكر الجرجاني في كتابه التعريفات أنَّ الصفة: "هي الاسم الدال على بعض أحوال الذات، وذلك كطويل وقصير وعاقل وأحمق وغير ذلك من الصفات".[3] وقيل إنَّ الصفة هي ما دلّ على معنى زائد على الذات؛ وهذا المعنى إمّا يكون محسوساً كالأبيض أو معقولاً كالعِلم.[4]

---

1 علي بن أحمد بن حزم الأندلسي، **طوق الحمامة في الألفة والألاف**، (بيروت- المؤسسة العربية للدراسات والنشر-1431هـ)، 267.

2 أحمد مختار عمر، **معجم اللغة العربية المعاصر**، (بيروت- عالم الكتب-1432هـ)، مادة: و ص ف، 2447/3.

3 علي بن محمد الجرجاني، **التعريفات**، (بيروت- دارا الكتب العلمية- 1403هـ)، 133.

4 عبدالرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي، **التوقيف على مهمات التعاريف**، (القاهرة: عالم الكتب، الطبعة الأولى 1410هـ)، 217.

وقد فرَّق أبو هلال العسكري بين الصفة والهيئة حيث قال: "إنّ الصفة من قبيل الأسماء واستعمالها في المسميات مجاز، وليس الهيئة كذلك؛ وكانت هيء الشيء صفةً له لكان الهيء له واصفاً له".[1]

ولو أردنا أن نبيّن مقصود الصفة من موضوع البحث (الصفات المذمومة للإنسان) لرأينا أنّ الصفة المقصودة هي بيان لبعض أحوال الذات أو النفس البشرية، وكذلك فإن البحث يقتصر على ذكر أحوال الذات المعقولة كالجهل والضعف والعجلة، ولا يتطرق إلى أحوال الذات المحسوسة، كالطول واللون وصفات الأعضاء.

المذمومة لغة: المذمومة من الذم، وذممته أذمه ذما خلاف مدحته فهو ذميم ومذموم أي غير محمود، والذِّمام –بالكسر– ما يذم به الرجل على إضاعته من العهد، والتهاون به. وتقول العرب: ذمّ يذمّ ذماً، وهو اللَّوْمُ في الإساءة، والمذّمة: الْملامة، وأذّم الرجلُ: أَتى بما يُذَمُّ عليه[2].

وعليه فإن المذموم من الصفات هو غير المحمود وغير المرغوب وجوده في الأشخاص أو الأشياء، وما لا يُحمد عاقبته.

أما اصطلاحاً: المذمومة صفة لفعل الذّمُّ: وهو ضدّ المدح وهو قولٌ أو فعلٌ أو ترك قول أو فعل يؤدي إلى افتضاح حال الغير وانحطاط شأنه.[3]

ومن هنا يظهر أن لفظ "مذمومة" لغةً واصطلاحاً لا يخرج عن كونه: وصف لأفعال الإنسان وسلوكه، حيث تجمع تحتها كل فعل مردودٍ شرعاً أو عرفاً أو عقلاً.

يقصد في بحثنا هذا بالصفات المذمومة للإنسان: مجموع السمات السلبية التي وردت في القرآن الكريم

---

1 الحسن بن عبد الله العسكري، **الفروق اللغوية**، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، (القاهرة: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع)، ص154.

2 ابن منظور، **لسان العرب**، 220/12. أحمد بن محمد بن علي الفيومي، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، (بيروت: المكتبة العلمية)، 210/1.

3 محمد عميم البركتي، **التعريفات الفقهية**، (باكستان– دار الكتب العلمية– 1424هـ)، ص 100.

كوصفٍ لغفلة الإنسان وتقصيره، وقد تنوعت سياقات هذه الصفات والأسباب الناجمة عنها، فمنها ما يرجع لضعف الإيمان بالله كاليأس والقنوط ومنها ما يرجع للجهل كالجدل والخصومة والكفر، ومنها ما يرجع للطبيعة التي جبلت عليه نفس الإنسان كالهلع والعجلة، وغيرها الكثير من الصفات والأخلاق المذمومة التي عرضها القرآن الكريم؛ وذلك بغية بيان الضعف التي خُلِق الإنسان عليه ما لم يتقوى بالإيمان بالله تعالى.

فرع: أسباب ذم القرآن الكريم للإنسان من حيث العموم:

عند النظر في هذه المسألة، يمكن الكشف عن الملاحظات الآتية:

1- أراد القرآن الكريم من هذا الموقف النقدي إظهار الإنسان أمام نفسه، وتعريفه بنقاط ضعفه، من خلال التركيز على مجموعة من الصفات المذمومة ذات التأثيرات النفسية والأخلاقية والفكرية والاجتماعية، كي يتنبه لها دوماً، وبصورة مستمرة، في كافة المراحل والأطوار الزمنية والنفسية والفكرية التي يمر بها، وفي مختلف الظروف والأوضاع التي يعاصرها ويتفاعل معها، ومع جميع الأحداث والتغيرات التي يصادفها ويتبادل معها التأثُّر والتأثير. وتحديد هذه الصفات جاء بقصد تذكير الإنسان بها، وتحذيره منها، والكشف له بأنّه معرض للوقوع فيها، والابتلاء بها دائماً وأنه معرّض للإصابة بها، وذلك بوصفه إنساناً مكلفاً ومسؤولاً، ومعرضاً للامتحان والابتلاء، وهذا التأثر.

2- الإنسان كائن بحاجة إلى إصلاح، وعليه أن يبادر بنفسه لإصلاح ذاته من النقص، وإذا لم يبادر، وبقي على حاله من دون إصلاح فإنه سيكون من أهل النقص، وليس من أهل الكمال.

فحديث القرآن عن تلك الصفات الذميمة، جاء بقصد أن يخبر الإنسان بأنه كائن بحاجة إلى إصلاح، وأنه قادر على إصلاح ذاته، إذا أراد ذلك وسعى سعيه، ومن جانب آخر، إن القرآن الذي جاء رحمة وهداية وبشيراً ونذيراً، إنما يريد إصلاح الإنسان فعلاً وحقيقة.

وعليه، فليس الغرض من تلك الصفات المذمومة تكريسها في الإنسان إنما السعي المستمر إلى

التخلص منها.

3- إنّ ما أشار إليه القرآن هو ما حصل وتقرر فعلاً في عالم الإنسان، وما زال يحصل إلى اليوم، وسيظل إلى المستقبل، فالإنسان يشعر في داخله بالضعف، وليس هناك إنسان إلا ويشعر في داخله بالضعف، مصداقا لقوله تعالى:﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴾ النساء: (28)، وما أكثر النوع الإنساني الذي صدر ويصدر منه الظلم، ويقع في الكفر، مصداقاً لقوله تعالى﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ إبراهيم: (34)، وهكذا حال الإنسان مع العجل والقتور واليأس وغيرها من الصفات المذمومة التي وردت بشأنها آيات عديدة. وبهذا تبيّن لدينا أسباب ذم القرآن الكريم للإنسان[1].

المطلب الثالث: المقصود بالمعالجة

في هذا المطلب سنتعرض لتعريف المعالجة لغة، ثم سنعرج إلى المعالجة النفسية لقربه من موضوع بحثنا، ثم نختم ببيان المراد من "معالجة الصفات المذمومة في ال.قرآن الكريم".

المعالجة في اللغة: عِلاج: مصدر عالج، وعالج الشيء معالجة وعلاجاً: زاوله، وأُعالجه أي أمارسه، وأكاري عليه، والمعالج: المداوي سواءٌ عالج جريحاً أو عليلاً أو دابة، ويستعمل العِلاج كاسم بمعنى "دواء" أي المداواة لدفع المرض.[2]

أما المعالجة من ناحية المعالجة النفسية فهي: الطريقة المتبعة لعلاج المشاكل والاضطرابات النفسية والأمراض ذات الصبغة الانفعالية، والتي تؤثر في سلوك الإنسان، ويُدعَى المتعرض لهذه العلل بالمريض النفسي، والعلاج

1 انظر: مقال للأستاذ زكي الميلاد، منشور على موقع: مركز الإشعاع الإسلامي للدرسات والبحوث الإسلامية، على الرابط: https://www.islam4u.com/ar/maghalat

2 ويستخدم في أيامنا هذه مصطلح" العلاج عن بعد" أي الاستشارة الطبية عن بعد باستخدام الحاسوب ووسائل الاتصال الحديثة. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، 327/2. مختار، **معجم اللغة العربية المعاصر**، 1537/2.

النفسي قديم قِدم البشرية[1]، وقد مرّ بأطوار ومراحل عديدة، وله أنواع كثيرة، منها العلاج بالعمل والعلاج باللعب والعلاج بالقراءة والعلاج العقلاني والعلاج بالموسيقى، ومن أنواعه ذات الصلة بموضع بحثنا العلاج النفسي الديني.

ومن منظور العلاج النفسي الديني، فإنّ من أهم الأسباب المؤدية للاضطرابات النفسية: هي البعد عن الدين وتعاليمه والإلحاد وضعف القيم الدينية عند الشخص.

أما بالنسبة للأعراض الناتجة عن الاضطرابات النفسية، فمن وجهة النظر الدينية فهي تتمثل في: العدوان والسلوك الجنسي المنحرف والانتحار والخوف المرضي والاكتئاب والتشاؤم، وفي مقابل هذه الأعراض المرضية يضع العلاج النفسي الديني وسائل وقائية حمايةً للنفس من الصفات السلبية–التي تتسلل من خلالها الوساس والاضطرابات النفسية–، وفي مقدمتها بناء العقيدة الراسخة المصاحبة للعمل، والسلوك الصالح الموافق للعقيدة.[2]

أما المراد بـ "معالجة الصفات المذمومة للإنسان في القرآن الكريم"، فإن المقصود منها يظهر عند تدبر آيات القرآن الكريم وما تضمنته من ذكر للصفات السلبية للإنسان، حيث نجد أنها لم تقتصر على ذكر تلك الصفات والعلل التي تعتري نفس الإنسان، وإنما كان يذكر في مقابل كل صفة وعلّة علاجاً لها وطريقة للتغلب عليها، والتخفيف من آثارها.

وقد اشتملت هذه المعالجة على شقين متكاملين، الأول: المعالجة المعرفية: وذلك بتشخيص الصفة السلبية وتعرية مظهرها وآثارها على الإنسان ومحيطه.

---

1 حامد عبدالسلام زهران، **الصحة النفسية والعلاج النفسي**، (القاهرة–عالم الكتب– 1426هـ)، 183.

2 زهران، **الصحة النفسية والعلاج النفسي**، ص354 .

والثاني: المعالجة العملية: وهذا الشق من العلاج لا يقل أهمية عن العلاج المعرفي بل هو مكمل له، فعلى سبيل المثال: صفة القلق والتوتر التي تصيب الإنسان نتيجة البعد عن الله أو التمادي في الغفلة عنه، وصف الله تعالى لها علاجاً عملياً، وهو ذكر الله، قال تعالى: (أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ)، الرعد: 28. وكذلك أرشدنا النبي صلى الله عليه وسلم إلى علاج للتخفيف من التوتر، وذلك باللجوء للصلاة، لما توجده من الانطفاء التدريجي للقلق والتوتر، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لسيدنا بلال بن رباح رضي الله عنه عندما يطلب منه الأذان للصلاة:" يا بلال أقم الصلاة وأرحنا بها"[1]، فنجد كلمة " أرحنا" إشارة واضحة إلى الشق العملي لعلاج القلق والتوتر، والأمثلة على ذلك كثيرة، سنعرضها بالتفصيل في قادم الصفحات.

1 أخرجه أبو داود في سننه، كتاب: الأدب، باب: في صلاة العتمة، رقم الحديث: 4985.

المبحث الثاني: الألفاظ المشابهه للفظة الإنسان (البشر– النفس)

من أجل توضيح المعنى الدقيق للفظة الإنسان، والوصول إلى المزيد من الفهم لهذه اللفظة، لابد من عرض الألفاظ المشـــابهه لها، والقريبة منها في المعنى، ومن هذه الألفاظ (البشـــر– النفس)، ونبين هنا الفرق بين هذين اللفظين ولفظة الإنسان، وذلك في المطلبين الآتيين:

المطلب الأول: ماهية البشر

كلمة "البشر" في اللغة: تعني الخلق، وُيطلق على الأنثى، وعلى الذكر، وعلى الواحد والاثنين والجمع، فهو بذلك لا يثنّى ولا يجمع؛ يقال: هي بَشَرٌ، وهو بَشَرٌ، وهما بَشَرٌ، وهم بَشَرٌ، ونقل عن بعض أهل الاشتقاق أنه سُمّي الإنسان بشراً؛ لتجرد بشرته من الشعر والصوف والوبر، بمعنى أن بشرته كانت ظاهرة غير مغطاه بشيء كسائر الحيوانات.[1]

ثمت فرق بين لفظي "البشـر" و "الإنســان"، حيث جاء في كتاب الفروق في اللغة للعســكري: "إن قولنا البشر يقتضي حسن الهيئة، وذلك أنه مشتق من البشارة وهي حسن الهيئة...فسمي الناس بشراً؛ لأنهم أحسن الحيوان هيئة...وقولنا الناس يقتضي النوس وهو الحركة، والناس جمع، والبشر واحد وجمع".[2]

هذا بالنســـبة للفرق بين اللفظين في اللغة، أمّا اســـتخدامها في القرآن الكريم فكذلك ثمة فروق بين معنى اللفظين، والسياقات التي يستعملان فيها، فنجد ما يلي:

1– اسـتخدم القرآن الكريم لفظ البشـر؛ لإظهار معنى المسـاواة في مقابل الاختلاف الذي يظهر في الإنسـانية، ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ﴾، الكهف: 110. أي إني مساوٍ لكم في صفاتي البشرية، وكذلك قوله تعالى: ﴿فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٗا مِّنَّا وَٰحِدٗا نَّتَّبِعُهُۥٓ﴾، القمر:

1 ابن منظور، لسان العرب، 59/4. محمد الزبيدي، تاج العروس، (وزارة الإرشاد والأنباء– الكويت، 1422هـ 2001م)، 183/10.
2 أبو هلال العسكري، الفروق في اللغة، (دار الأفاق الجديدة– بيروت، 1400هـ 1980م)، 270.

24. وهذا يدل على أنّ جميع البشر متساوون كونهم بشراً، لكن مختلفون في الإنسانية من حيث أنّ بعضه يأنس إلى بعض، ويعين بعضهم بعضاً.

2- استخدم القرآن الكريم الكلمتين في سياقين متضادين، ففي حين يستخدم القرآن لفظ "البشر" للدلالة على المدح، نجده يستخدم لفظ "الإنسان" للدلالة على الذم، ومن الأمثلة على ذلك استخدام لفظ البشر لوصف النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى : ﴿هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾، الأنبياء: 3. بينما استخدم لفظ الإنسان في سورة إبراهيم في موضع الذم[1] حيث قال تعالى: ﴿آتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾، إبراهيم:34.

المطلب الثاني: النفس

النفس في اللغة: جمعها النُّفُوس، ومن معانيها: الرّوح الذي به حياة الجسد، وكل إنسان نَفْسٌ حتّى آدم عليه السّلام، والذكَر والأنثى سواء، ويقال ثلاثة أنفس، فيُذكّر، لأنّ المراد به الإنسان.

وأيضاً تطلق كملة النفس ويراد بها: العَينُ اللتي تصِيبُ المعِينَ، وهو مجازٌ.[2]

أما في الاصطلاح: فمن التعريفات التي تعرضت لطبيعة النفس ما جاء في كتاب التعريفات للجرجاني، فقد عرفها بأنها: الجوهر البخاري اللطيف الحامل لقوة الحياة والحس والحركة الإرادية وسماها الحكيم الروح

1 إيمان محمود، **الفرق بين البشر والإنسان في القرآن الكريم**، مقال منشور في موقع المرسال على شبكة الإنترنيت. https://www.almrsal.com/post/622384

2 الخليل بن أحمد الفراهيدي، **العين**، (دار ومكتبة الهلال، 1431هـ)، 268/7. الرازي، **مختار الصحاح**، ص312. الزبيدي، تاج العروس، 16/ 559.

الحيوانية فهو جوهر مشـرق للبدن، فعند الموت ينقطع ضـوءه عن ظاهر البدن وباطنه، وأما في وقت النوم فينقطع عن ظاهر البدن دون باطنه.[1]وقد شـاع اسـتعمال لفظ "النفس" للدلالة على "الإنسـان" بشـكل خاص؛ فعندما تطلق يراد بها ذلك المركب، أو الجملة المشتملة على الجسم والروح.[2]

أما لفظ "النفس" في القرآن الكريم: فنجد أنّ القرآن الكريم يورد لفظ "النفس" ويريد بها عدة معانٍ منها الروح، ومنها ما يدور في فكر الإنســـان، وأحياناً يســـتخدم النفس للدلالة على الإنســـان، أي تلك الشخصية البشرية بكليته؛ بدمه ولحمه وروحه وشخصيته، ومن الأمثلة على الاستخدام الأخير ما ورد في خطاب الله تعالى لبني إســرائيل: (وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَــيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَــفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ) البقرة: 48.

ومما سـبق يتبين لنا أنّ لفظ "النفس" أعمّ من لفظ "الإنسـان"؛ فقد يطلق لفظ النفس ويراد به الإنسـان بكليته وقد يراد به جزء من مكوناته كالروح أو الجســـد أو الدم، كما قد يراد به المعاني الأخرى التي تدل عليه لفظ "النفس" بمدلولها اللغوي، أما لفظ الإنسان فينحصر المراد به في ذلك المخلوق الناطق العاقل.

---

1 الجرجاني، **التعريفات**، 312/1.

2 مجموعة من المؤلفين وبإشراف محمود حمدي زقزوق، **الموسوعة الإسلامية العامة**، (وزارة الأوقاف- القاهرة-1424هـ)، ص1409.

ينظر أيضاً:

Fatih İBİŞ. **Kur'an Bağlamınnd Nefs Olgusu ve İnsanın Teo-Ontolojik Yapısı Üzerine Bir Deneme**. Toplum Bilimleri • Temmuz - Aralık 2012 • 6 (12). 5

المبحث الثالث: لفظة الإنسان في القرآن (من ناحية السياق والمعنى– ومن ناحية الإعراب)

في هذا المبحث نستقرأ لفظة الإنسان في القرآن الكريم للنظر فيه من ناحيتين، الأولى: السياق والمعنى؛ وذلك بتوضيح السياقات المختلفة التي وردت ضمنها لفظة الإنسان والمعاني الدالة عليها، والثانية: الإعراب؛ وذلك ببيان المواقع الإعرابية المختلفة التي حل بها لفظ الإنسان.

المطلب الأول: لفظة الإنسان في القرآن الكريم من ناحية السياق والمعنى.

قبل البدء بعرض السياقات المختلفة التي ورد فيها لفظ الإنسان في القرآن الكريم لابد من إعطاء لمحة سريعة عن المراد بالسياق القرآني ومدى تأثيره على تغيير معنى اللفظ:

فالمراد بالسياق القرآني كما ورد في أحد التعريفات الشاملة والدالة على معنى السياق القرآني للمعاصرين: "ما يحيط بالنص من عوامل داخلية أو خارجية لها أثر في فهمه، سابق أو لاحق، أو حال المخاطِب أو المخاطَب، والغرض الذي سيق لأجله، والجو الذي نزل فيه"[1].

والسياق القرآني خمسة أنواع: السياق القرآني العام، والسياق الزمني للآيات، وسياق السورة والمقطع، والسياق المحيط بالآية، وأخيراً السياق الموضوعي الخاص والذي ينتج عنه التفسير الموضوعي للقرآن، وفي ضوء هذه السياقات المختلفة وقواعدها المعتبرة نجد أن لفظة الإنسان وردت بمعانٍ ودلالات مختلفة في القرآن، وفيما يأتي سأعرض أهم هذه المعاني:

أولاً: لفظة الإنسان الدالة على آدم عليه السلام. ومن الأمثلة عليها:

1– قوله تعالى: (خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ) سورة الرحمن الآية: 14، ذهب المفسرون إلى أن المقصود بالإنسان في الآية السابقة من سورة الرحمن هو سيدنا آدم عليه السلام؛ وذلك تبعاً

1 سعيد الشهراني، **السياق القرآني وأثره في تفسير المدرسة العقلية الحديثة**، (رسالة دكتوراه– جامعة أم القرآى) ص22.

للسـياق الوارد فيه، فسـيدنا آدم عليه السـلام كانت بداية خلقه من تراب ثم صـار طينا ثم حمئاً مسنوناً ثم صلصالاً.[1]

2- قوله تعالى: (هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا) سورة الإنسان، الآية: 1، قيل في تفسـير الآية السـابقة أنَّ المراد بالإنسـان هو سـيدنا آدم عليه السـلام، وأنّه أتى عليه حين من الدهر، قيل: مدة الدهر أربعون سنة.[2]

ثانياً: لفظة الإنسان الدالة على اسم الجنس (العموم). ومن الأمثلة عليها:

1- قال تعالى: (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ) سورة البلد، الآية: 4.

جاءت لفظة الإنسـان هنا في سـياق القسـم، وجمهور المفسـرين على أن الإنسـان هنا اسـم جنس يراد به كل إنسان.[3]

2- قوله تعالى: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُ) سورة ق، الآية: 16.

فقد جاءت لفظة الإنسـان في سـياق القسـم؛ أي تالله نحن من أوجد الإنسـان ونعلم بجميع أموره، حتى ما يختلج في قلبه وضـميره، والإنسـان هنا يراد به كل ما يطلق عليه اسـم جنس الإنسان عاماً.[4]

3- قوله تعالى: (لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ) سورة التين، الآية: 4.

---

1 محمد بن أحمد القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، (القاهرة- دار الكتب المصرية- 1384هـ)، 160/17. أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (مكة المكرمة-دار التربية والتراث)، 24/22.

2 الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، 87/24. محمد مختار الشنقيطي، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، (بيروت- دار الفكر-1425هـ)، 378/8.

3 عبد الرحمن بن مخلوف الثعالبي، **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، (بيروت- دار إحياء التراث العربي- 1418هـ)، 590/5.

4 وهبه الزحيلي، **التفسير المنير**، (دمشق- دار الفكر-1411هـ)، 293/26.

فلفظة الإنسان هنا والتي وصِفَ بحسن التقويم، اسم جنس يشمل كل إنسان.[1]

ثالثاً: لفظة الإنسان الدالة على المؤمن والكافر:

وردت لفظة الإنسان في بعض المواضع للدلالة على المؤمن والكافر على حدٍّ سواء، أذكر من هذه المواضع قوله تعالى: (وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَى) سورة النجم، الآية 39.

فقد ذهب صاحب تفسير البحر المحيط إلى أن ظاهر الآية يدل على أنّ الحصر في السعي يشمل المؤمن والكافر، فتكون لفظة الإنسان هنا شاملة لكليهما، أما جمهور المفسرين فذهبوا إلى أنَّ الإنسان هنا يدل على الكافر فقط؛ فالمؤمن له سعيه وسعيُ غيره من المؤمنين.[2]

رابعاً: لفظة الإنسان الدالة على الكافر فقط. ومن الأمثلة عليها:

1- قوله تعالى: (قُتِلَ الإنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ) سورة: عبس، الآية: 17. نقل الطبري عن مجاهد: ما كان في القرآن "قُتِلَ" الإنسان، أو فُعل الإنسان، فإنما يراد به: الكافر.[3]

2- قوله تعالى: (إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ) سورة العصر، الآية: 2. المراد بالإنسان هنا: الكافر؛ بدليل أنّ الله تعالى في الآية التالية استثنى المؤمنين من الخسران والنقصان والذان يعدان وصفاً لحال الكافر دون المؤمن.[4]

خامساً: لفظة الإنسان الدالة على شخص معين. ومن الأمثلة عليها:

---

1 الثعالبي، **الجواهر الحسان**، 605/5.

2 محمد بن حيان الأندلسي، **البحر المحيط في التفسير**، (بيروت- دار الفكر-1420هـ)، 24/10. الرازي، **مفاتيح الغيب**، 276/29.

3 الطبري، **جامع البيان**، 222/24. الحسين بن مسعود البغوي، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، (الرياض-دار طيبة- 1417هـ)، 337/8.

4 البغوي، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، 522/8. محمد بن أحمد السمرقندي، **تفسير السمرقندي**، (1431هـ)، 615/3.

1- قوله تعالى: (وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا) سورة الزلزلة، الآية: 3. اختلف المفسرون في المراد بالإنسان في هذه الآية: فذهب بعضهم إلى أنّ المقصود بالإنسان هنا: كل كافر من بني آدم، بينما ذهب ابن عباس رضي الله عنهما إلى أنّ الإنسان هنا يراد به: الأسود بن عبد الأسود.[1]

2- قوله تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ) سورة الإنشقاق، الآية: 6. اختلف المفسرون في لفظة الإنسان، فمنهم من قال بأنّ المراد: جميع الكفار، بينما ذهب آخرون إلى أنّ المراد به شخص معين؛ فقال مقاتل: هو الأسود بن عبد الأسد، وقيل إنه: أبي بن خلف.[2]

3- وقوله تعالى: (وَكَانَ الإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلا) سورة الكهف، الآية: 54. والمراد بالإنسان المجادل في هذه الآية: النضر بن الحارث، وقيل: نزلت الآية في أبيّ بن خلف، وقال الزجاج: المراد بالإنسان أي كافر جادل في الحق، دون تحديد شخص معين.[3]

وبعد النظر والاطلاع على ما قاله المفسرون في المراد من لفظة الإنسان الواردة في مختلف المواضع والسياقات نقول: وإن كان بعض المفسرين يرى أن المراد باللفظ آدم عليه السلام أو غيره من المعاني إلا أنّ هذه التفسيرات كانت دائما يقابلها ما يخالفها ويفسر لفظ الإنسان بالعموم دون حصره بشخص أو بصفة كمؤمن وكافر؛ ودليلهم على ذلك أن: "المفرد المعرف بلام الجنس يَعمُّ"[4]، ولفظ الإنسان مفرد عُرّفَ بلام الجنس فيكون المراد به كل إنسان مطلقاً.

---

1 القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، 148/20.

2 السمرقندي، **تفسير السمرقندي**، 560/3. القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، 271/19.

3 القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، 5/11. الأندلسي، **البحر المحيط في التفسير**، 193/7. وينظر أيضاً:
Ömer Nasuhi BİLMEN. **Kur'an-ı Kerim'in Türkçe Meali Alisi ve Tefsiri**.SERDAR BİLMEN. İstanbul. 4/1969-

4 الأندلسي، **البحر المحيط في التفسير**، 35/8.

المطلب الثاني: لفظة الإنسان في القرآن الكريم من ناحية النحو والإعراب.

وردت لفظة الإنسان في القرآن الكريم ستاً وستين مرة (65)[1]، وقد جاء في غالب المواضع معرفاً بالألف واللام، هذا من ناحية العدد، أما من ناحية الإعراب والعوامل المختلفة التي دخلت على لفظة الإنسان ففيها عدة حالات:

حالة الرفع: جاءت لفظة الإنسان مرفوعة في ست وعشرين موضعاً، آخذاً معظم حالات الرفع سواء المبتدأ والفاعل ونائب الفاعل واسم كان، وذلك كالنحو التالي:

عدد المرات التي جاءت لفظة الإنسان في محل رفع مبتدأ: (2) مرتان.

عدد المرات التي جاءت لفظة الإنسان في محل رفع فاعل: (15) مرة.

عدد المرات التي جاءت لفظة الإنسان في محل رفع نائب فاعل: (4) مرات.

عدد المرات التي جاءت لفظة الإنسان في محل رفع اسم كان: (5) مرات.

وبالنظر في حالات الرفع السابقة والتباين الواضح بين أعداد الحالات المختلفة، يظهر أنّ لفظة الإنسان جاءت في نصف الحالات تقريباً بحالة رفع الفاعل، فكانت الحصة الأكبر لكونه فاعلاً بلا منازع؛ الأمر الذي ينبئ بكثرة إخبار القرآن الكريم ووصفه لأفعال الإنسان وتصرفاته.

حالة النصب: جاءت لفظة الإنسان منصوبة في سبعة وعشرين موضعاً، حيث تناوب بين حالتي المفعول به واسم إن من حالات النصب، وذلك على النحو التالي:

عدد المرات التي جاءت لفظة الإنسان في محل نصب مفعول به: (20) مرة.

عدد المرات التي جاءت لفظة الإنسان في محل نصب اسم إن: (7) مرات.

---

1 محمد حسين أبو الفتوح، **قائمة معجمية بألفاظ القرآن الكريم ودراجات تكرارها**، (بيروت- مكتبة لبنان-1410هـ)، ص 38.

وبالنظر في أعداد ورود لفظ الإنسان في حالة النصب يبدو جلياً تركز ثلثيها في حالة المفعول به، وهذا فيه إشارة جلية إلى حجم ما يقع على عاتق الإنسان من أفعال، وهذا يبدو متوازناً مع ما يصدر منه من أفعال كما مر معنا في الفقرة السابقة.

حالة الجر: جاءت لفظة الإنسان مجرورة في إحدى عشرة مرة، حيث وقع في موضعي الاسم المجرور والمضاف إليه، وذلك على النحو التالي:

عدد المرات التي جاءت لفظة الإنسان في محل جر بحرف الجر: (9) مرات.

عدد المرات التي جاءت لفظة الإنسان في محل جر بالإضافة: (2) مرتان.

حالة الاتباع: اقتصر مجيء لفظة الإنسان في حالة الاتباع على موضعين فقط في حالة البدل دون غيرها من حالات التوابع.

وبعد عرض الحالات الخمس والستين للفظة الإنسان في القرآن الكريم والتي توزعت على حالات الإعراب المختلفة، نجد بروز حالات النصب على غيرها من الحالات، تلتها حالات الرفع ثم الجر وأقلها الاتباع؛ وهذه الصدارة لحالات النصب جاءت نتيجةً لما يعرف عن العرب من شيوع النصب في كلامهم لخفته على اللسان.

المبحث الرابع: معالجة الإنسان من الصفات المذمومة ومنهج القرآن الكريم في ذلك.

يقصد من معالجة الصفات المذمومة أو السلبية: التخلص منها، واستبدالها بغيرها من الصفات الحميدة، التي ينبغي للإنسان المسلم التحّلي بها، ويمكن أن تُسمّى عملية المعالجة بالتزكية أيضاً- وهو المصطلح القرآني-، فالإنسان الذي يزكّي نفسه من الصفات المذمومة، هو الذي يعالج نفسه عن طريق التخلص من هذه الصفات المذمومة، ونبيّن في هذا المبحث تعريف تزكية النفس، وكذلك مصادر التزكية للنفس أو معالجتها، وذلك في المطالب الآتية:

المطلب الأول: مفهوم تزكية النفس، ومصادرها.

أولاً: مفهوم التزكية:

التزكية لغة: الطهارة، والزيادة، والنماء، فيقال: زكا يزكو زكاءً، ويعنى نما أو زاد، وتزكّيهم بها، يعني تُطهّرهم، وزكاة المال هو تطهيره ونماؤه وزيادته.[1]

أما في الاصطلاح: انتزاع ما هو غير مرغوب فيه، وتعزيز ما هو مرغوب فيه.[2]

وبالنظر في هذا التعريف نجد أنّه جاء عاماً، وقصد انتزاع ما هو مذموم في أي شيء، وإضافة ما هو مرغوب ومطلوب في أي شيء، فالشخص الذي يزيل الأوساخ مثلاً عن جسده بالماء وجميع أنواع المطهرات أو المنظفات، ثم يضع على جسده الملابس النظيفة وأنواع العطورات اللطيفة، فهو بذلك يكون قد زكّى جسده،

1 ابن منظور، **لسان العرب**، 359/14.

2 ماجد عرسان الكيلاني، **تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية**، (دمشق: مكتبة دار التراث، 1985) ص41.

وكذلك فإنّ الشخص الذي يصلح شؤون بيته بإزالة أوساخه ونفاياته، ويضيف إليه ما هو جميل ومرغوب يكون قد زكى منزله، وهكذا فإزالة الأوساخ عن أي شيء واستبداله بما هو حسنٌ هو تزكية.

والذي نعنيه من تزكية النفس هنا هو ذات المعنى، ولكن من خلال التزكية الرّبانية والدينية الصحيحة للنفس البشرية من أدرانها أي ذنوبها.

وبناءً على ما سبق فإن مفهوم تزكية النفس هو:

تنقية النفس من العيوب والرذائل والآفات الظاهرة والباطنة، وتحليتها بالفضائل والاجتهاد المتواصل في تنميتها وإصلاحها بما يرضي الله عز وجل، وبما يرضي رسوله صلى الله عليه وسلم، ويحقق الاستقامة لصاحبها في الحياة الدنيا والفلاح والنجاة في الآخرة[1].

أما حاجة النفس الإنسانية إلى التزكية: فالنفس الإنسانية بحاجة دوماً إلى التزكية والتهذيب والرعاية كما يفعل صاحب الأرض بأرضه، فالأرض الزراعية حتى تنتج بشكل جيد، فإنّه لابدّ من تعهدها الدائم بالسقاية والرعاية الدائمة والمستمرة، وإلا فإنها لن تنتج شيئاً، وهذا هو الحال مع النفس الإنسانية أيضاً، التي تحتاج إلى الممارسة الدائمة للفضائل وفعل الخيرات حتى تتخلص من شوائبها وصفاتها السلبية، كي تنال رضوان ربها، وذلك عن طريق مراقبتها، وقد عبَّر عن ذلك ابن الجوزي فقال: "أما رأيت الزارع يتخير الأرض الطيبة ويسقيها ويرويها ثم يثيرها ويقلبها، وكلما رأى حجراً ألقاه، وكلما شاهد ما يؤذي نحاه، ثم يلقي فيها البذر

1 أبو الحسن علي الحسني الندوي، العقيدة والعبادة والسلوك في ضوء القرآن والسنة والسيرة النبوية، (الكويت: دار القلم. ط2، 1983م) ص134. محمود خليل أبو دف، **ممارسات طلبة الجامعة الإسلامية التربوية لتزكية النفس وعلاقتها ببعض المتغيرات**، (غزة: كلية التربية، الجامعة الإسلامية) ص9.

ويتعاهدها من طوارق الأذى؟ وكذلك الحق عز وجل إذا أراد عبداً لوداده حصد من قلبه شوك الشرك، وطهره من أوساخ الرياء والشك، ثم يسقيه ماء التوبة والإنابة".[1]

ثانياً: مصادر تزكية النفس

ذكر ابن القيم أنَّ تزكية النفس الإنسانية لا تحصل إلا عن طريق بعثة الرسل عليهم السلام فيقول: "وتزكية النفوس مُسلّم إلى الرسل، وإنما بعثهم الله لهذه التزكية وولاهم إياها، وجعلها على أيديهم دعوة، وتعليماً، وبياناً، فهم المبعثون لعلاج نفوس الأمم"[2].

فهم مرسلون لهداية الأفراد والأمم، وقد قال الله تعالى في هذا الشأن: ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياتهِ ويزكيهم ويعلّمهم الكتابَ والحكمةَ وإن كانوا من قبلُ لفي ضلالٍ مبين﴾. الجمعة: (2) .

فمن حاول أن يزكي نفسه بالرياضة أو المجاهدة أو الخلوة، أو أي طريقة أخرى لم يأتِ بها رسل الله، ولم يأمروا بها، فهو كالمريض الذي يعالج نفسه برأيه، دون مراجعة الطبيب واستشارته، وأين يقع رأيه من دراية الطبيب وخبرته، لذا فالرسل هم أطباء للقلوب، ولا سبيل إلى تزكيتها وتخليصها من شرورها إلا عن طريقهم، والسير على نهجهم، واتخاذهم قدوة، وبمحض الانقياد، والتسليم لهم.

1 عبد الرحمن بن علي الجوزي، **مواعظ ابن الجوزي**، (بدون معلومات). ص97.

2 ابن القيم الجززية، **مدارج السالكين**، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط3، 1416هـ - 1996م)، 300/2.

المطلب الثاني: منهج القرآن الكريم في معالجة الصفات المذمومة للإنسان

أنزل الله تعالى كتابه المبين هدايةً للناس وإخراجاً لهم من ظلمات النفس والهوى إلى نور الهداية والإيمان، فخالق الإنسان خبيرٌ بعيوبه وعلات نفسه، لذا نجد القرآن الكريم نَهَجَ في معالجته للسلوك البشري المذموم طريقين اثنين:

الأول: المعالجة المباشرة للصفات المذمومة كلّاً على حدة، وذلك بتصوريها وبيان سوءِ حالِ المتصف بها، مع التحذير منها، ثم بيان العلاج المناسب لتلك الصفة وكيفية التخلص منها.

ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعاً ٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا ٢١ إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ ٢٢ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ ٢٣ وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقٌّ مَّعۡلُوم ٢٤ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ٢٥ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ٢٦ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ٢٧﴾، المعارج، (19-27).

فالملاحَظ هنا أنّ القرآن قد ذكر الصفة المذمومة في الإنسان، وهي الهلع وما يتولد منها من صفات كالجزع والمنع، إلّا أنَّ القرآن لم يكتف بذكر الصفة المذمومة فقط، بل ألحقها ببعض وسائل العلاج، أو استثنى من هذه الصفات المذمومة فئات من الناس، وهم المصلون المواظبون على صلواتهم، والمزكون الذين يؤدون حق أموالهم للمستحقين من الفقراء والمحتاجين، والمصدقون باليوم الآخر والذين يخشون عذاب الآخرة.

الثاني: المعالجة العامة للسلوك الإنساني المذموم؛ وذلك باتباع منهج إصلاحي عام من خلال وضع مبادئ من شأنها معالجة كل ما قد يتصف به الإنسان من سلوك مذموم، وفيما يأتي سأعرض أهم هذه المبادئ والسمات العامة، وهي:

أولاً: محاسبة النفس.

أرشد القرآن الكريم الإنسان إلى أسلوب يقي به نفسه من السقوطِ في براثن المعصية واتباع الهوى، وذلك بانتهاج نهج "محاسبة النفس"، وذلك بمحاسبةٍ عامةٍ شاملةٍ لكل ما يصدر عن جوارح الإنسان من أفعال، كما تشمل ما قد يدور في نفس الإنسان من سوء وخبث، كالكبر واليأس وغيرها من الصفات المذمومة، وقد تكلم عن هذا المبدأ علماء المسلمين على اختلاف علومهم ومسالكهم.

فعلماء التفسير تحدثوا عن هذا المبدأ، فقد ذكر الثعالبي في تفسيره إجماع العلماء على وجوب محاسبة النفس، حيث قال: "أجمع العلماء على وجوب محاسبة النفس فيما سلف من الأعمال وفيما يستقبل منها"[1].

وإلى معنى محاسبة النفس أشار الماوردي–الفقيه الشافعي– في كتابه أدب الدين والدنيا ضمن حديثه عن الآداب المأثورة، حيث قال: " ثم عليه أن يتصفح في ليله ما صدر من أفعال نهاره، فإنَّ الليل أخطر للخاطر وأجمع للفكر. فإن كان محمودا أمضاه وأتبعه بما شاكله وضاهاه، وإن كان مذموماً استدركه إن أمكن وانتهى عن مثله في المستقبل." [2]، وما ذكره الماروردي هو تعريف لماهية جوهر محاسبة النفس وإن لم يذكر هذا المصطلح، وبذلك نجد أن مبدأ محاسبة النفس كثمرة غرسها الوحي الإلهي في قلوب المؤمنين فظهرت ثماره في مختلف العلوم، وليس آخرها علم التصوف وتزكية النفس، فقد جاء في كتاب أعمال القلوب للإمام المحاسبي أحد أبرز أئمة الصوفية من السلف، حيث قال: "التثبت قبل الفعل والترك من العقد بالضمير أو الفعل بالجارحة، حتى يتبين له ما يترك وما ويفعل، فإن تبين له ما كره الله جانبه بعقد ضمير قلبه، وكفّ جوارحه عمّا كرهه الله، ومنع نفسه من الإمساك عن ترك الفرض وسارع إلى أدائه"[3]. بالنظر في تعريف

---

1 عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، **الجواهر الحسان**، 568/5.

2 علي بن محمد البصري البغدادي، **أدب الدنيا والدين**، (بيروت: درا مكتبة الحياة، بدون طبعة)، ص 365.

3 الحارث بن أسد المحاسبي، **المسائل في أعمال القلوب والجوارح**، (بيروت، دار الكتب العلمية، 2019م)، ص 200.

الإمام المحاسبي نجد أنه رفع من مستوى المحاسبة حيث جعلها سابقةً على الفعل، وذلك بالتريث وعدم الاقدام على فعل أو حتى العزم عليه قبل التحقق من مدى موافقته ومطابقته لشرع الله وحكمه، فهو الفاصل في ذلك؛ فإن كان مما نهى عنه الشرع أحجم عنه وانتهى، أما إن كان مما أمر به فَيُلزِمُ نفسه الفعل دون انقطاع أو تأخر في الأداء.

الفرع الأول: مبدأ محاسبة النفس في القرآن الكريم.

إنَّ مبدأ محاسبة النفس الذي فيه علاج لانحراف الإنسان وسوءِ سلوكهِ، مستنَدُه وأصل مشروعيته من القرآن الكريم، فما هو إلا من هدي القرآن الكريم، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ الحشر: (18).

فقد بدأت الآية بتوجيه الخطاب لعموم المؤمنين، لتنبيههم لأهمية ما سيأتي ولعموم حاجة المؤمنين لمراقبة النفس ومحاسبتها، كما دلّت لام الأمر في "ولتنظر" على وجوب نظر الإنسان في ما يقوم به من أعمال، فهذه الآية هي الأصل في مبدأ محاسبة الإنسان لنفسه ومستندها الشرعي[1].

وقد فهم الصحابة رضوان الله عليهم جميعاً جوهر ما جاءت به الآية، ويظهر ذلك في الأثر المروي عن سيدنا عمر رضي الله عنه حين قال: "حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا، وزنوها قبل أن توزنوا، وتزينوا للعرض الأكبر يوم لا تخفى منكم خافية"[2]، هذا الأثر المروي عن سيدنا عمر رضي الله عنه فيه تنبيه وإرشاد إلى أصلٍ عظيمٍ وعلاجٍ لا يستغني عنه كل إنسان بين جنباته نفس أمارة بالسوء، فيستدرك الأمر ويصحح

1 محمد بن أحمد بن حزم الكلبي، **التسهيل لعلوم التنزيل**، (بيروت: شركة دار الأرقم بن الأرقم، الطبعة الأولى، 1416هـ)، 362/2. عبدالرحمن بن ناصر السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنام**، (بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1420هـ)، 853.

2 أخرجه **الترمذي في سننه**، أبواب: صفة القيامة والرقائق والورع، رقم الحديث: 2459، 683/4. **مصنف أبي شيبة**، كتاب: الزهد، باب: كلام عمر بن الخطاب، رقم الحديث: 34459، 97/7.

المسار قبل أن ترفع الأقلام وتجف الصحف، ويعضّ على يده ندماً على أقدم عليه من سلوك ومخالفات شرعية.

وعلى نهج الصحابة سار التابعون في تطبيقهم لمبدأ محاسبة النفس وتوصية الناس بهم، فقد روي عن إمام التابعين الحسن البصري رضي الله عنه أنه قال: "إنَّ المؤمن قوّام على نفسه، يحاسب نفسه لله عزّ وجل. وإنما خفّ الحساب يوم القيامة على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا، وإنما شق الحساب يوم القيامة على قومٍ أخذوا هذا الأمر من غير حساب." [1].

وبالعودة إلى القرآن الكريم نجد فيه من الآيات ما تضمنت الإشارة إلى محاسبة النفس، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ القيامة: (2). حيث اختلف أهل التأويل في مراده جلّ وعلا من كلمة " اللَّوَّامَةِ"، فقد روى الطبري عن ابن عباس أنها النفس المذمومة[2]، بينما ذهب سيدنا عمر رضي الله عنه في تفسيرها إلى معنى مغاير للمعنى الأول، حيث فسرها باللّوم الحسن الذي يحمل معنى محاسبة النفس، فقد روي عنه أنه قال: "ما من نفس برة وفاجرة، إلا تلوم نفسها، إن كانت محسنة تقول: يا ليتني زدت إحساناً، وإن كانت سيئة تقول: يا ليتني تركت"[3]، وإلى قريب من ذلك ذهب الحسن البصري في تفسيره لكلمة "اللوامة"، حيث روي عنه أنه قال: "وهو نفس المؤمن، إنّ المؤمن لا تلقاه إلا وهو يلوم نفسه، يقول: ما أردت بكلامي، ما أردت بكذا، ما أردت بكذا، يندم على ما فات، ويلوم نفسه"[4].

ومن الآيات التي تضمنت تذكيراً للإنسان بمحاسبة نفسه كونه مسؤولاً عن كل ما يصدر عنه من تصرفات وأفعال، قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ

1 أبو نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني، **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، (مصر: مطبعة السعادة، 1394هـ)، 157/2.

2 الطبري، جامع البيان في تفسير آي القرآن، 50/24.

3 أبو الليث نصر بن محمد السمرقندي، **بحر العلوم**، 520/3.

4 محمد بن عبدالله ابن أبي مزنين المالكية، **تفسير القرآن العزيز**، (القاهرة: الفاروق الحديثة، الطبعة الأولى، 1423هـ)، 63/5.

عَنْهُ مَسْئُولً ﴾ الإسراء: (36). حيث بدأت الآية الكريمة بالنهي عن الخوض فيما ليس للإنسان علم به؛ وذلك باتباع الناس بما يقولون وبما يؤمنون دون بصيرة، ثم أشارت إلى مجموعة من أعضاء الإنسان التي تكون سبباً في عمل الجوارح، وهي السمع والبصر والقلب، ثم جاء تحذير الإنسان وتنبيهه إلى أنه سيحاسب على كل ما استعمل فيهما هذه الجوارح وغيره من أفعال؛ فيسأل السمع عما سمع والبصر عما أبصر والقلب عما عزم عليه[1]، فيقتضي ذلك وجوب محاسبة الإنسان لنفسه استعداداً لما ينتظره من حسابٍ يوم القيامة.

الفرع الثاني: نتائج محاسبة الإنسان لنفسه.

إن إهمال محاسبة النفس وإرخاء الحبل لها يجعل النفس تنغمس في ظلمات الشهوات، في حين أن المداومة على محاسبة النفس من شأنه أن يقلل من الصفات المذمومة لدى الإنسان ويجعل حسابه يسيراً يوم القيامة، ومن أهم نتائج محاسبة النفس:

- **استشعار العبد بمراقبة الله الدائمة له.**

إنّ مداومة العبد على محاسبة نفسه تورثه استشعار مراقبة الله عزّ وجلّ في كل أحواله وشؤونه، وهذا من أرفع الدرجات التي يبلغها العبد المؤمن، وقد وصفها النبي صلى الله عليه وسلم بالإحسان، فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه في الحديث الذي جاء فيه سيدنا جبريل عليه السلام في صورة رجل يسأل النبي صلى الله عليه وسلم تعليماً للصحابة، حيث ورد فيه ما يلي:"قال: الإحسان: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك." [2]. فكما أن محاسبة النفس تكون سبباً في تقوية الشعو بمراقبة الله، فإن استشعار

---

1 محمد بن محمد أبو منصور الماتريدي، **تأويلات أهل السنة**، (بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 2005م)، 45/47. السمرقندي، **بحر العلوم**، 311/2. ابن أبي زمنين، **تفسير القرآن العزيز**، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة – محمد بن مصطفى الكنز، (القاهرة: الفاروق الحديثة، ط1، 1423هـ-2002م)، 21/3.

2 البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب: التفسير، باب: إن الله عنده علم الساعة، رقم الحديث: 4499، 1793/4. مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب: الإيمان، باب: الإيمان ماهو وبيان خصاله، رقم الحديث: 9، 30/1.

العبد مراقبة الله الدائمة له تكون سبباً في تقوية محاسبة العبد لنفسه والتحكم بشهواته ونزواته، أي كل أمرٍ منهما هو سبب للآخر ونتيجة له في نفس الوقت.

- **استشعار الحساب في اليوم الآخر.**

من المعلوم أن محاسبة النفس منطلقها الإيمان بالحساب يوم القيامة، فقد جاء في الوحي المبين: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ البقرة: (281). فمن آمن بيوم الرّجعة إلى الله، والوقوف وحيداً بين يديه حاسب نفسه ونزهها عن كل صفة مذمومة تكون سبباً في معصية ربه، فإذا اعتاد العبد محاسبة نفسه وداوم على ذلك زاد عنده الإيمان باليوم الآخر واستشعاره لأحواله وأهواله؛ ويصبح معتاداً على عَرْضِ الأعمالِ التي قام بهاَ ومحاسبة نفسه عليها، وما يتبع ذلك من حزنٍ على معصية وفرحٍ على طاعة.

ثانياً الوقاية من الصفات المذمومة.

بعد مبدأ محاسبة النفس–والذي يكون عادةً بعد القيام بالفعل– نجد أن القرآن جاء بمبدأ "الوقاية من الصفات المذمومة" الذي يشكلّ حائط صدٍّ لكل معصيةٍ وذنب، ويدل على اهتمام القرآن بهذا المبدأ والعمل على تكريسه، تكرارُ ورودِ مشتقات كلمة "وقى" 16 مرة[1].

وقد وضع القرآن الكريم الأساس الذي تقوم عليه الوقاية، وذلك بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ الأنعام: (151). فقد جاء هذا التحذير الإلهي بالوقاية من قرب الفواحش في آيةٍ بدأت بالنهي عن الشرك–وهو أعظم الذنوب وأفحشها– ثم ذكرت القتل ثم أعقب ذلك بقاعدة عامة شكلت أساس مبدأ الوقاية من الصفات المذمومة ألا وهي قاعدة: "ولا تقربوا الفواحش"، فجاءت "ما" في الآية دالةً على العموم؛ فشملت كل أنواع الذنوب والآثام، صغيرها وكبيرها، ظاهرها وباطنها، قال أهل

1 أبو الفتوح، **قائمة معجمية بألفاظ القرآن الكريم ودرجات تكرارها**، ص 127.

التفسير: "ما ظهر منها" ما يكون من عمل الجوارح، و"ما بطن" ما يكون بالقلب، فتكون بذلك الآية عامة تشكل كل المعاصي والآثام [1].

ويقوم مبدأ الوقاية من الصفات المذمومة على أساسين اثنين:

الأول: تقوية الإيمان بالله، ويساعد في ذلك تزكية الإنسان لنفسه وتطهيرها من الذنوب والخطايا، وإبعادها عن كل ما نهاه الله عنه، فإذا قوي الإيمان وكمل جاء الأساس.

الثاني: حماية النفس؛ وذلك بالوقاية من الصفات المذمومة، والتي تكون كالسياج الحامي للإيمان، فيكون بذلك كل من قوة الإيمان وحماية النفس ووقايتها من الذنوب يقوي كل واحدٍ منها الآخر ويسانده[2].

الفرع الأول: آيات دالة على مبدأ "الوقاية من الصفات المذمومة" في القرآن.

كما سبق ذكره فقد تكرر ورود كلمة "وقى" في القرآن الكريم ست عشرة مرة، وذلك في مواضع مختلفة وضمن مواضيع متنوعة، فيما يلي سأذكر بعض هذا المواضع:

- قوله تعالى: ﴿ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ ۚ وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ غافر: (9). فالآية هي دعاء من الملائكة لبني آدم بأن يحفظهم الله من عاقبة وسوء ما يحلّ بهم يوم القيامة بسبب الذنوب والآثام صغيرها وكبيرها[3]؛ وهذا الدعاء من الملائكة لا يتحقق إلا بتوفيق الله سبحانه وتعالى لعباده المؤمنين بوقاية أنفسهم مما نهاهم الله سبحانه وتعالى عنه.
- قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ الحشر: (9).

---

1 الماتريدي، **تأويلات أهل السنة**، 310/4. عبد الحق ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، (بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1422هـ)، 362/2. وينظر أيضاً:
Ömer Nasuhi BİLMEN. **Kur'an-ı Kerim'in Türkçe Meali Alisi ve Tefsiri**. 2/976.

2 نعيمة عبدالله البرش، **آفات النفس كما يصورها القرآن الكريم**، (رسالة ماجستير في تقسم التفسير وعلوم القرآن، الجامعة الإسلامية، غزة)، 164.

3 القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، 296/15. محمد بن الحسن ابن فورك، **تفسير ابن فورك**، تحقيق: علال بندويش، (السعودية: جامعة أم القرى، الطبعة الأولى، 2009م)، 344/2.

قال عبدالله بن مسعود في تفسيره لمعنى "شح النفس": بأن يعمد الإنسان إلى مال غيره فيأخذه، بينما ذهب عبدالله بن عباس رضي الله عنهما إلى أنّ شح النفس: هو اتباع هوى النفس؛ وذلك باتباع الشهوات واقتراف المعاصي، والابتعاد عن هدي الله تعالى وأوامره[1].

وفي الآية دفعٌ من الباري عزّ وجلّ لعباده باتجاه مبدأ الوقاية من شح النفس، فتكون وقايتهم لأنفسهم من الصفات المذمومة سبباً في فلاحهم وفوزهم بالجنة، وإلا وقعوا في مهالك شح النفس الذي يحمل في معناه العام اتباع الهوى الموصل للهاوية.

- قوله تعالى: ﴿51﴾إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴿52﴾فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴿53﴾يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ﴿54﴾كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ سورة الدخان.

الآيات السابقة هي بيان إلهي لنتيجة مبدأ الوقاية من الصفات المذمومة؛ وذلك بعرض ما أعده الله من أنواع النعيم وحسن المقام لعباده المتقين الذين ألجموا أنفسهم، وألزموها الوقاية والبعد عن كل ما نهى الله عنه من صفات سلبية تكون سبباً في معصية الخالق.

قال أهل التأويل في التفسير الإجمالي للأيات السابقة: بعد أن ذكر الباري وعيد أهل الكفر والشرك، وما يصيبهم من الأهوال يوم الحساب، أعقب ذلك ببيان ما أعده لأهل التقوى مما سيلاقونه في جنات الخلد من أصناف النعيم والتكريم في ملبسهم، وما أعدّ لهم من حسن المسكن والمجلس إضافةً لما ينتظرهم من زوجاتٍ وصِفنَ بالحور العين، ويكمّل ذلك النعيم وجود كل ما يشتهيه المرء من المأكل والمشرب، ثم ختم وعده لهم بأنّ هذا النعيم كله أبديّ خالد لا يعقبه ولا يعكر صفوه الموت[2].

الفرع الثاني: وسائل تنمي مبدأ الوقاية من الصفات المذمومة عند الإنسان.

---

1 مجموعة من المؤلفين، **موسوعة التفسير المأثور**، 697/21. إسماعيل بن عمر ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: سامي سلامة، (القاهرة: دار طيبة، الطبعة الثانية، 1999م)، 101/8.

2 أحمد بن مصطفى المراغي، **تفسير المراغي**، (مصر: مصطفى البابي الحلبي، ط1، 1365هـ)، 136/25.

الناظر في كتاب الله تعالى يجد فيه إضافةً للآيات التي ذكرت مبدأ الوقاية وحثّت عليه، آياتٍ أخرى تضمنت ذِكرَ وسائلٍ من شأنها تمكين مبدأ الوقاية في نفس الإنسان المؤمن وزيادته، ومن أهم تلك الوسائل:

الوسيلة الأولى: خشية الله في قلب الإنسان، ومخافة حسابه.

خشية الله والخوف منه أساسٌ لفلاح الإنسان، وسببٌ لنجاته يوم الحساب؛ وذلك لأنَّ صفة الخشية وحضور مخافة الله في قلب الإنسان ما هي إلا دليل على كمال الإيمان بالله والشعور بمراقبته لكل ما يصدر من العبد من أفعال وأقوال.

ونجد في الذكر الحكيم ارتباطاً وثيقاً بين خشية الله والتقوى–والتي هي فعل كل ما أمر الله به واجتناب ما نهى عنه–، فتقوى الله ما هي إلا نتيجة لخشيته وخوف عذابه، وبالمقابل خشية الله هي ومن وسائل زيادة تقوى الإنسان وتمكين ذلك من قلبه وعقله، فإذا تقرر ذلك كانت خشية الله من وسائل وقاية النفس من الصفات المذمومة أيضاً؛ كون مبدأ الوقاية يدخل تحت مظلة التقوى باعتبار النتيجة، فنتيجة كل من التقوى والوقاية هي فعل أوامر الله تعالى واجتناب نواهيه، وفيما يأتي سأعرض بعض الآيات التي تظهر فيها علاقة السببية بين خشية الله والوقاية من نواهيه:

- قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا ۚ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ لقمان: (33). بدأت الآية الكريمة بأمر الناس بالتقوى الذي يكون سبباً لنجاتهم يوم الحساب[1]، ثم أعقب الأمر بالتقوى، أمرهم بخشية الله، في إشارة إلى أنّ خشية الله هي ومن وسائل تحقيق تقوى الله وتمكينه في القلب.

1 ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، 314/6.

- ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾ الرعد:(21).

بينت الآية الكريمة أحد ثمرات التقوى ألا وهي صلة الرحم[1]، ولا يكون ذلك إلا من المتقين، ثم جاء ذِكر خشية الله والخوف من الحساب كوسيلة لتحقيق التقوى، فكان اللاحق (خشية الله) سبباً ووسيلةً للسابق (التقوى).

- ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ النور: (52).

بيّن الوحي الإلهي أن كلاً من طاعة الله ورسوله والخشية والتقوى هي أسباب للفوز في الآخرة؛ فتكون خشية الله داعمة للتقوى ومساندة لها في تحقيق النتيجة المرجوة بالفوز يوم الحساب، وقد فصّل أهل التفسير في ذلك فذهبوا إلى أن طاعة الله تكون في الفرائض، وطاعة رسوله تكون باتباعه في السنن، أما الخشية فتكون فيما مضى من أعمال، والتقوى لما سيفعله من أعمال في المستقبل، فيتوج ذلك كله بالفوز بالجنة[2].

الوسيلة الثانية: معرفة الله تعالى والعلم بصفاته.

بقدر معرفة الإنسان بصفات الله تعالى وإدراكه لمعانيها بقدر ما يزداد حرصه على وقاية نفسه مما نهاه الله من السيئات، فكلما زادت معرفة الإنسان للأسد وصفاته كالوحشية والإفتراس والسرعة في الجري، زادت خشيته من الأسد، ولله المثل الأعلى.

لذا نجد القرآن الكريم يزخر بالآيات المبينة لصفات الله تعالى وقدراته، بغاية تعريف العباد بخالقهم فيكونوا على قدر كافٍ من الحرص الوقاية، فيفعلوا أوامره ويجتنبوا نواهيه، وفيما يأتي سأذكر بعض من تلك الآيات:

- ﴿ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ * سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ﴾ الرعد: (8-

1 الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، 507/13.

2 السمرقندي، **بحر العلوم**، 520/2. **الماتريدي، تأويلات أهل السنة**، 584/7.

10). البيان الإلهي في هاتين الآيتين هو من جوامع الكلم؛ حيث بدأت ببيان مدى علم الله وتحكمه بكل ما يجري للإنسان من حين كونه نطفةً في رحم أُمّه، فكل شيء داخل في تقديره سبحانه وتعالى، فلا يزيد على ما قدره الله ولاينقص عنه، ثم جاءت الآية الثانية لبيان أن علم الله تعالى محيطٌ بكل ما قد يصدر من الإنسان من أفعال وأقوال، فما يصدر منه بالسر وما كان بالجهر وما كان تحت جنح ظلام الليل أو في وضح النار فكل ذلك بعلم الله وتحت مراقبته[1]، فمن علم هذه الصفات وأدركها وقى نفسه من السيئات وأسبابها، وكذلك وقى نفسه من الصفات المذمومة.

- ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ * ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ﴾ الملك: (1-2).

تبارك: أي تعالى الله وتعاظم عن جميع صفات المخلوقين، وهو المالك المستولي على كل ما في الكون، وجاءت اليد هنا مجازية للدلالة على الاستيلاء[2]، وبعد بيان القدرة والملك التام لله تعالى في الآية الأولى جاءت الآية الثانية لبيان الغاية من وجود الإنسان وسبب خلق الله له؛ وهي غاية اختبار الإنسان وابتلائه، وما يتبع ذلك من مكافئة أو عذاب. فما تقدم من البيان الإلهي من إخبارٍ عن صفات الله، وكشفٍ لغاية خلق الإنسان، تكون وسيلة لزيادة تقوى الإنسان المؤمن لوقاية نفسه عن كل ما يجره إلى الاخفاق في اختبار الله له.

- ﴿ قَالَ وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾ الحجر: (56).

---

1 البغوي، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، 4/298-299.

2 محمود بن عمرو الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، (بيروت: دار الكتاب العربي، الطبعة الثالثة، 1407هـ)، 4/574-875.

الآية تحكم على من ييأس من رحمة الله الواسعة بأنه من الضآلين؛ فمن يعرف أن الرحمة هي مما وصف الله بها نفسه، وأنّه تعالى سمّى نفسه بالرحمن، فلا يجوز له أن يقنط من رحمة الله، وذلك علاج ناجع يقي الإنسان من الصفات المذمومة كالقنوط واليأس.

الوسيلة الثالثة: عبادة التّفكّر في خَلقِ الله.

إن للتفكر في خلق الله تعالى ثمرات كثيرة، منها أنّ التأمل في ملكوت السموات والأرض يُعرِّف الإنسان بقدرة الله ومدى سلطانه جلّ وعلا، فهو المتحكم بالكون والمدبّر فيه، فتكون هذه المعرفة سبباً في زيادة حرص الإنسان المؤمن على وقاية نفسه عن كل ما نهاه الله فلا يعصي خالقه في مُلكِه وسلطانه. كما أن عبادة التّفكر تورث الإنسان الاستشعار بنعم الله عليه وما سخره الله له من مخلوقات، فتكون معرفته بهذه النعم سبباً ودافعاً له لوقاية نفسه من الصفات المذمومة وما تؤول إليه من سيئات ومعاصي تكون عقوبتها فقداناً للنعم وزوالها، وفيما يأتي سنعرض بعض الآيات التي دعت الإنسان للتأمل والتفكر في خلق الله وربط ذلك بتقوى الإنسان لنفسه ووقايتها من الآثام والذنوب:

- قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ آل عمران: (191).

فالآية الكريمة حضّت الإنسان على الذِّكر والدوام عليه في كلّ أحواله؛ فليزم الذكر سواءً كان قائماً أو قاعداً، وحتى إن كان مستلقياً على جنبه، كما تضمنت الآية تبياناً لأفضل أنواع الذكر–وأكثرها تأثيراً في يقين الإنسان وإيمانه–، وهو ذكر الله من خلال التأمل والتّفكر في مخلوقاته الدالة عليه

وعلى بديع صنعه وتدبيره[1]، وختمت الآية بالتنبيه إلى وقاية الإنسان لنفسه من عذاب الله، ولزوم محافظته على دعائه لله بأن يوفّقه لوقاية نفسه من كل ما يعرضه لعذاب الله الشديد.

- قوله تعالى: ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ۚ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ۚ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾ النمل: (88). الآية الكريمة دعوةٌ للنظر في عظيم صنع الله وقدرته؛ ومن ذلك سير تلك الجبال الشاهقة–العظيمة الحجم والكتلة –بقدرة الله وحوله، مع هذا التقديم ببيان قدرة الله تعالى جاء الوعيد منه سبحانه وتعالى؛ بأنّه خبير عالمٌ بكل ما يصدر من الإنسان من أفعال[2]، وبناءً على ما تقدم يظهر لنا كيف ربط الله تعالى بين التأمل والنظر في خلقه بلزوم وقاية الإنسان لنفسه من عذاب وبطش خالقه الذي خلقه من عدم.
- قوله تعالى: ﴿ قُلْ سِيرُواْ فِي الأَرْضِ ثُمَّ انظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ الأنعام: (11).

يقول الإمام الرازي في تفسير الآية: إنّ الله تعالى أباح لعباده السير في الأرض للتجارة ولغيرها من المنافع، مع إيجاب النظر والتأمل في آثار من أهلكهم الله لشركهم وطغيانهم[3]. وبذلك تكون الآية التي بين أيدينا كسابقتها من سورة النمل بدأت بالدعوة للتأمل وانتهت بالإشارة إلى وجوب الوقاية من الذنوب وإلا سيكون المصير كمصير من سبقهم من الغافلين العاصين لله تعالى والعياذ بالله.

ثالثاً: الترغيب والترهيب.

الناظر في آي القرآن الكريم يجد أنه اعتمد كثيراً على مبدأ الترغيب الترهيب–كأسلوبٍ وقاعدةٍ عامةٍ– في معالجة الصفات المذمومة عند الإنسان، وإبعاده عن كل ما نهاه الله عنه، وقبل الشروع في الحديث عن هذا

---

1 الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، 476/7. وينظر أيضاً:
ALTUNTAŞ - Muzaffer ŞAHİN. **Kur'an-I Kerim Meâli.** DİYANET İşleri Başkanlığı Yayınları. 2011. 80.

2 الماتريدي، **تأويلات أهل السنة**، 143/8.

3 الرازي، **مفاتيح الغيب**، 488/2.

المبدأ لابد لنا من تعريف كل من "الترغيب" و "الترهيب" كمصطلحين يشكِّلان معاً المبدأ الذي نحن في صدد الكلام عنه:

الترغيب اصطلاحاً: "وعدٌ يصحبه تحبيبٌ وإغراءٌ بمصلحة أو لذة أو متعة آجلة مؤكدة خيرة، خالصة من الشوائب، مقابل القيام بعمل صالح، أو الامتناع عن لذة ضارة، أو عمل سيئ ابتغاء مرضاة الله." [1]

وما تقدم هو تعريف لأحد المعاصرين بيّن فيه أن جوهر الترغيب هو وعدٌ بما فيه منفعة، إلا أن التعريف غفل عن مُستند الترغيب ألا وهو الإيمان واليقين؛ فمع انعدام الإيمان بالواعد والتصديق به لا فائدة مرجوة من الترغيب.

الترهيب اصطلاحاً: "وعيدٌ وتهديدٌ بعقوبةٍ تترتب على إقتراف إثم أو ذنب مما نهى الله عنه، أو التهاون في أداء الفريضة مما أمر الله به." [2]، وهنا أيضا بيَّن المؤلف أن جوهر الترهيب هو "الوعيد" المنذر بعقوبة شديدة، مع إغفال جانب وجوب الإيمان والتصديق بالمتوعِّد والوعيد.

الفرع الأول: الغاية من أسلوب الترغيب والترهيب.

إنّ الغاية المرجوة من اتباع أسلوب الترغيب والتهذيب في دعوة الإنسان لطريق الحق هي: الموازنة بين الخوف والرجاء؛ فيكون الإنسان المؤمن خائفاً من وعيد الله وعذابه فيقوده خوفه هذا إلى اللجوء لخالقه والرجاء بالأمل في رحمته تعالى، ووعده بالمغفرة والصفح عما بدر منه من خطايا وذنوب، وبهذا المعنى يقول ابن القيم رحمه الله: "القلب في سيره إلى الله –عز وجل– بمنزلة الطائر، فالمحبة رأسه، والخوف والرجاء جناحاه فمتى سلم الرأس والجناحان فالطائر جيد الطيران، ومتى قطع الرأس مات الطائر، ومتى فقد الجناحان فهو عرضة لكل صائد وكاسر"[3].

---

1 عبد الرحمن النحلاي، **أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع**، (دمشق: دار الفكر، 1428هـ)، 287.

2 النحلاوي، **أصول التربية الإسلامية**، 287.

3 ابن القيم، **مدراج السالكين في منازل السائرين**، 188/2.

وإلى غاية أخرى لأسلوب الترغيب والترهيب يُشير الإمام الشوكاني في كتابه فتح القدير في معرض الكلام عن سبب جمع الله تعالى بين الوعد والوعيد وذكر جزاء الكافرين عقب جزاء المؤمين: "لما في ذلك من تنشيط عباده المؤمنين لطاعاته، وتثبيط عباده الكافرين عن معاصيه"[1].

الفرع الثاني: الترغيب والترهيب في القرآن الكريم.

المتأمل في القرآن الكريم يجد فيه تعاقباً بين الآيات المتضمنة للترغيب والآيات المتضمنة للترهيب دون فصلٍ بينهما؛ وهذا يعود إلى حرصه تعالى على الموازنة بين جانبي الترغيب والترهيب؛ فسماع الإنسان لآيات الترغيب لوحدها يورث في الإنسان التساهل في أوامر الله والطمع بمغفرته دون مجاهدة النفس والصبر على الطاعة، وكذلك الأمر إن سمع الإنسان آيات الترهيب لوحدها لتسرب إلى نفسه اليأس والقنوط من رحمة الله ومغفرته، فيكون مصيره الاستسلام للشيطان ودعواته، لذا كان الاقتران بين آيات الترغيب والترهيب رحمة بالإنسان وحرصاً على هدايته، ومن الأمثلة في القرآن الكريم كثيرة على اقتران الترغيب بالترهيب، نذكر منها:

- قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ* وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ الانفطار: (13-14).

الآيتان الكريمتان تضمنتا مصير كل من المتقين والضالين؛ فجعلت النعيم للأبرار في مقابلة العذاب للفجّار، وقد توسع الإمام الرازي في تفسيره لكل من الـ"نعيم" و "جحيم" حيث قال: النعيم القناعة، والجحيم الطمع، وقيل: النعيم التوكل، والجحيم الحرص، وقيل: النعيم الاشتغال بالله، والجحيم الاشتغال بغير الله تعالى[2].

- قوله تعالى: ﴿ فَأَمّا مَن طَغى*وآثَرَ الحَياةَ الدُّنْيا*فَإِنَّ الجَحِيمَ هي المأْوى* وأَمّا مَن خافَ مَقامَ رَبِّهِ ونَهَى النَّفْسَ عَنِ الهَوى* فَإِنَّ الجَنَّةَ هي المأْوى﴾ النازعات: (37-41).

1 محمد بن علي الشوكاني، **فتح القدير**، (دمشق، دار ابن كثير، ط1، 1414هـ)، 64/1.

2 الرازي، **مفاتيح الغيب**، 31/ 78.

فيما مضى من الآيات القرآنية تقدم الترهيب على الترغيب وذلك خلاف لغالب المواضع التي يسبق فيه الترغيب الترهيب؛ ففي هذا الموضع جاء بيان مصير الطغاة، والذي هو الجحيم والعذاب، ثم تبعه الترغيب ببيان أنّ الجنة ستكون مأوى للمتقين والمتبعين لشرع الله ثواباً لهم[1].

- قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴾ محمد: (12).

الترهيب والترغيب في الآية السابقة سار على وفق القاعدة الغالبة في أسلوب الترغيب والترهيب، وذلك بتقدم الترغيب على الترهيب، فقد بدأت بذكر مصير المؤمنين وما ينتظهرهم من حسن مقام في الجنة، ثم أعقبت بالكشف عن محدودية مُتَعِ الكافرين وقبح فعالهم حيث شبهم بالبهائم والأنعام؛ لعدم تفكرهم في معاد ولا معتبرين لحجج الله وآياته في خلقه[2]، ثم ينقلب وينتهي بهم المطاف إلى عذاب شديد وأبدي.

- قوله تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴾ محمد: (15).

في الآية وصف للنعيم الذي أعده الله تعالى للمتقين، وهذا من العناصر التي يقوم عليها أسلوب الترغيب؛ وذلك بتشويق المخاطب وترغيبه بوصف وتصوير ما ينتظره من جوائز ومكافأة ثواباً له على التزامه وطاعته، فنجد الآية بدأت بوصف نعيم الجنة بإسهابٍ وتفصيل ثم ختمت بالترهيب، وذلك بالتذكير بأنّه كما أُعدَّ النعيم للمتقين، هناك جحيم ونار تلظى بانتظار البعيدين عن هدي الله والمنكِرين له[3].

---

1 السمرقندي، **بحر العلوم**، 544/3.

2 الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، 164/22.

3 عبد الله بن أحمد النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، تحقيق: يوسف بديوي، (بيروت: دار الكلم الطيب، الطبعة الأولى، 1998م)، 326/3. وينظر أيضاً:
Muhammed Hamdi Yazır. **Hak Dini Kur'an Dili**. Sadeleştiren:Prof. Dr. Sadık Kılıç. 6/4383-4384.

رابعاً: جهاد النّفس وتهذيبها.

جهاد النفس وتهذيبها يسمَّى بالجهاد الأعظم والجهاد الأكبر؛ فقد روي عن بعض الصحابة قولهم عند عودتهم من جهاد الكفار: رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر[1]؛ يعنون بذلك جهادهم لأنفسهم في بتهذيبها وتنقيتها مما ذُمّ من صفات وإلجامها عن اتباع الهوى والشهوات.

والأساس الذي بنيت عليه هذه الوسيلة من القرآن الكريم هو قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ العنكبوت: (69). في هذه الآية الكريمة جعل الله تعالى مجاهدة النفس شرطاً وسبباً للهداية، وانطلاقاً من هدي الوحي الإلهي قسم ابن القيم هذا الجهاد إلى أربعة أجزاء: جهاد النفس، وجهاد الهوى، وجهاد الشيطان، وجهاد الدنيا، ثم اعتبر أنّ درجة الإنسان من الهداية والرّشاد تكون بقدر نصيبه من الجهاد ضدّ الأجزاء الأربعة السابقة[2].

وبناءً على ما سبق من أهمية جهاد النفس وما يتبعه من جهادٍ للهوى والشيطان وحب الدنيا وزينتها، يتبين لنا مدى نجاعة هذه الوسيلة التي وضعها القرآن الكريم-من خلال الآية السابقة- في محاربة عموم صفات الإنسان المذمومة؛ فصفة الكِبر والعجلة والبخل وغيرها من الصفات المذمومة المنسوبة للإنسان في القرآن الكريم، كلها يكون جهاد النفس جزءاً مهماً من علاجها، فالذي لا يجاهد نفسه ليس بإمكانه أن يتخلص من تلك الصفات ومن المعاصي الناتجة عنها كلياً.

ومن المواضع الأخرى في القرآن الكريم التي تضمنت إشارة إلى وسيلة مجاهدة النفس وتهذيبها قوله تعالى: ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖ ﴾ الحج: (78).

---

1 أبو حامد الغزالي، **إحياء علوم الدين**، (بيروت: دار المعرفة) 244/2.

2 ابن القيم، **الفوائد**، 59.

اختلف علماء التأويل في المراد من الجهاد في الآية السابقة، فذهب بعضهم إلى أن المراد بالمجاهدة هنا طاعة الله وطلب مرضاته، وروي عن الحسن البصري: أنّ المجاهدة في الآية هي أن يؤدي الإنسان ما أمره الله به ويجتنب ما نهاه عنه، وأن يترك الدنيا ونعيمها لينجو في الآخرة[1].

بينما ذهب آخرون منهم ابن المبارك إلى أنّ المقصود من الجهاد في الآية السابقة: مجاهدة النفس والهوى، واعتبار هذه المجاهدة الجهاد الأكبر[2]. وقيل إنّ المجاهدة هنا تشمل جميع أنواع الجهاد؛ من ضمنها جهاد النفس بتزكيتها، وجهاد القلب بتنقيته من شوائب حب الدنيا والتعلق بها، وجهاد الروح بإفناء الوجود[3].

1 السمرقندي، **بحر العلوم**، 472/2.

2 البغوي، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، 402/5. جمال الدين أبو الفرج ابن الجوزي، **ذم الهوى**، تحقيق: مصطفة عبد الواحد، ص 40.

3 المرجعين السابقين.

الفصل الأول: صفات الضعف واليأس والجحود لنعم الله في الإنسان وسبل علاجها

المبحث الأول: صفة الضعف في الإنسان وسبل علاجها.

المبحث الثاني: صفة اليأس والقنوط في الإنسان، وسبل علاجها.

المبحث الثالث: صفة الجحود في الإنسان، وسبل علاجها.

تمهيد: تم بيان معنى الإنسان في اللغة وفي السياقات القرآنية في الفصل السابق، وكذلك تم بيان نظرة علماء المسلمين إلى طبيعة النفس الإنسانية من حيث مدى وجود الخيّر والشر فيها، وفي هذا الفصل والفصول القادمة نبيّن الصفات المذمومة في الإنسان، ونشرحها بطبيعتها ومقتضياتها، وسبل علاجها، وقد حوى هذا الفصل على عدة صفات مذمومة، نذكرها، ثم نبينها في المباحث الآتية:

المبحث الأول: صفة الضعف في الإنسان وسبل علاجها

جاء في القرآن الكريم: ﴿وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفاً﴾، النساء: (28).

في هذه الآية الكريمة قرن الباري عزّ وجل صفة الضعف بلفظ الإنسان؛ وبذلك تكون ضمن حدود بحثنا، وفيما يأتي سندرس صفة الضعف كونها من الصفات المذمومة في الإنسان، وذلك من خلال ورودها في القرآن الكريم، مع بيان سبل علاجها، وذلك في المطالب الآتية:

المطلب الأول: صفة الضعف في اللغة والقرآن

أولاً: الضعف في اللغة:

الضاد والعين والفاء في اللغة أصلان لمعنيين متباينين، أولهما خلاف القوة، والجمع ضُعفاء، وضَعُف فهو ضَعيف، وأضعفه غيره، أي جعله ضعيفاً، واستضعفه، أي اعتبره ضعيفاً. أما المعنى الثاني زيادة الشيء بمثله، فضاعفت الشيء أي أضفت إليه مثله[1].

ثانياً: ضعف الإنسان في القرآن الكريم:

الإنسان ذلك المخلوق العجيب الذي هو صنعة الله تعالى، المحكمة الدقيقة، والذي يشتمل على كل أشكال التعقيد، ويبدو قوياً مخيفاً، مع أنه في حدِّ ذاته ضعيف في كل جانب من جوانب شخصيته، على الرغم مما

1 الرازي، **مختار الصحاح**، ص184.

يدّعيه من القوة والعزة والسطوة، ثم إنّ الضعف الإنساني سمة تلازم الإنسان من لحظة البداية في خلقه، وفي أصل تكوينه، فهو مجبولٌ على الضعف والوهن مهما علت النفوس وتكبَّرت، فهي في حقيقتها ومآلها ضعيفة لا تقوى إلا على ما يناسبها ويشاكلها، ونبرز هنا في هذا الفرع الآيات الدالّة على ضعف الإنسان، وآراء العلماء حول معاني تلك الآيات ودلالاتها، وكذلك نبيّن عدداً من صور ومظاهر ضعف الإنسان، وذلك من خلال الفقرات التالية:

1- الآيات القرآنية الدالّة على ضعف الإنسان:

ورد في القرآن الكريم عدد من الآيات دلّت على ضعف الإنسان وهي: قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا﴾، النساء (28).

وقوله تعالى: ﴿ٱلۡـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗاۚ﴾، الأنفال: (66).

وكذلك قوله تعالى: ﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾، الروم: (54).

فقد دلت هذه الآيات بمجموعها على الضعف الكامن في الإنسان، ولا يقتصر الضعف على شخص دون آخر، أو جنس دون آخر، بل يشمل جميع بني البشر، فكل إنسان خلق ضعيفاً.

2- أقوال العلماء والمفسرين في معاني هذه الآيات ودلالاتها:

تكلم مفسرو القرآن عن معاني هذه الآيات، وحدود الضعف المقصود منها، وأنواعه، ولهم في ذلك ثلاثة أقوال:

القول الأول: أنّ الضعف الوارد في قوله تعالى تعالى: ﴿وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ﴾، النساء: (28). يقصد به الضعف من جهة النساء، وصعوبة تحمل عناء الشهوة، فالإنسان قليل الصبر عنه، ويعجز عن ترك جماع

النساء، وهذا ما ذهب إليه الطبري في تفسيره، فيما نقله عن طاووس بقوله، "ليس يكون الإنسان في شيء أضعف منه في أمر النساء"[1].

القول الثاني: الضعف المقصود من الآيات، هو الضعف في أصل الخلقة،[2] ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾، المرسلات: (20). أي من ماء ضعيف وحقير، والمقصود به: النطفة[3]، وفي الحديث عن بسر بن جحاش القرشي قال: بزق النبي صلى الله عليه وسلم في كفه، ثم وضع أصبعه السبابة وقال: "يقول الله عز وجل: أنّى تعجزني ابن آدم وقد خلقتك من مثل هذه[4].

ففي الحديث دلالة على ضعف ما خُلق منه ابن آدم وهي النطفة، فهي ضعيفة لولا أن وضعها الله في قرار مكين وبث فيها الروح.

القول الثالث: الإنسان ضعيف العزم عن قهر الهوى، أي ضعيف على مقاومة شهواته وغرائزه، وتابعٌ لها، ومما يشير إلى ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيراً لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم﴾، الأنعام (119). وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ﴾، الأعراف: (176).

ولكن القاعدة المهمة في تفسير القرآن الكريم أنه كلما كان من الممكن حمل معاني القرآن على العموم والشمول كان أقرب إلى الصواب؛ وأن الأقوال إذا لم تكن متناقضة، وأمكن حمل الآية عليها جميعها كان أوفق في التفسير[5].

---

1 الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، 215/8. وينظر أيضاً:
Ömer Nasuhi BİLMEN. **Kur'an-ı Kerim'in Türkçe Meali Alisi ve Tefsiri.** 2/579-580.

2 عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، **زاد المسير في علم التفسير**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (بيروت: دار الكتاب العربي، 1422هـ، ط1)، 395/1.

3 القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، 159/19.

4 أخرجه ابن ماجة في سننه، في باب النهي عن الإمساك في الحياة والتبذير عند الموت، برقم: 2707، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (دار إحياء الكتب العربية)، ج2، ص903. وقد علّق عليه المحقق بأنّ إسناده صحيح.

5 حسين بن علي بن حسين الحربي، ، **قواعد الترجيح عند المفسرين، دراسة نظرية تطبيقية**، (دار القاسم، ط1، 1996)، 41-44.

ويقول ابن القيم –رحمه الله– بعد ذكر بعض أقوال السلف في تفسير الآية:

"والصواب أَن ضعفه يعمُّ هذا كله، وضعفه أَعظم من هذا وأَكثر، فَإنّه ضعيف البنية، ضعيف القوة، ضعيف الإرادة، ضعيف العلم، ضعيف الصبر، والآفات إليه مع هذا الضعف أَسرع من السيل في الحدور"[1]

ولذلك فالأنسب في تفسير أوجُه "الضعف البشري" في الآية الكريمة حملها على إطلاقها، لتشمل جميع جوانب الضعف النفسية، والبدنية، والعقلية، والعاطفية، فالإنسان ضعيف النفس بسبب نوازع الخير والشر المخلوقة فيه، إلى جانب الوساوس والأهواء التي تعرض له أيضا، وهو ضعيف البدن أيضاً بسبب ما يعرض له من الآفات والأسقام.

وهذا الذي اختاره العلامة الطاهر بن عاشور رحمه الله من حمل "الضعف" في الآية على جميع أنواع الضعف البشري[2].

المطلب الثاني: مظاهر ضعف الإنسان، والسبل الشرعية لعلاج صفة الضعف في الإنسان.

أولاً: مظاهر ضعف الإنسان: ويمكن تسليط الضوء هنا على بعض الصور والحالات التي يظهر فيها ضعف الإنسان جلياً، كما في النقاط التالية:

1- إنّ معرفة بني الإنسان –رغم التقدم العلمي والمعرفي الكبير– بأجسامهم مايزال محدوداً إلى اليوم، فالكثير من أجزاء جسم الإنسان لاتزال مناطق مجهولة، فالأنسجة والسوائل المختلفة في جسم الإنسان وتفاعلها مع بعضها مازال مجهولاً في العديد من جوانبها، وكذلك مناطق المشاعر والإدراك وصلاتها وتفاعلاتها بالجوانب العضوية عند الإنسان لا تعدو في كثير من الأحيان حدود الظنون والتوقعات دون أن تصل إلى درجة الحقيقة واليقين.

---

1 ابن القيم الجوزية، **طريق الهجرتين وباب السعادتين**، تحقيق: محمد أجمل الإصلاحي، (الرياض: دار عطاءات العلم، ط4، 1440-2019)، 229/1.

2 محمد الطاهر بن عاشور، **التحرير والتنوير**، (تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م) 22/5.

ويتّضح ضعف الإنسان أكثر حين يدخل في صراع بين عقله ومشاعره، ويعجز عن دفع مشاعره، والخلاص من وساوسه، والتغلب على مخاوفه، أو التعرف على مصدرها في بعض الأحيان ، ليدرك ضعفه وعجزه عن السيطرة على نفسه.

2- هذا الإنسان الضعيف لا يستطيع أن يبصر الأمور إلا ضمن شروط ومعطيات زمانية ومكانية وثقافية خاصة ومحدودة، ولا يستطيع أن يتخلص من رؤيته المحدودة، وهذا سبب اختلاف الإنسان في كثير من المسائل والقضايا المطروحة، فإن خصوصية تكويننا وظروفنا ومشاعرنا تدفع مواقفنا وآراءنا إلى التفرد والاختلاف، وتمنعنا من توحيد الرؤية في كثير من شؤون حياتنا.

3- لِضعف الإنسان فهو يعجز عن إدراك الأشكال النهائية لكثير من حقائق الكون بصورة مباشرة أو دفعة واحدة، فالحقائق لا تُكتشف إلا تدريجياً وبمرورها بفرضيات ومراحل عديدة. ويظل الإنسان الضعيف يكتشف عجزه باستمرار، فكل ما يحققه من التقدم اليوم ليس إلا عنواناً على ما كان يجهله بالأمس، وما سيصل إليه غداً ليس إلا رمزاً على ما يجهله اليوم.

4- إنّ هذا الإنسان الضعيف لا يستطيع الجزم بشيء مقطوع من حوادث المستقبل، فمهما أدرك المرء الظروف والعوامل التي تحيط به لا يستطيع أن يعرف ماذا سيحدث له بعد شهر أو يوم أو ساعة، وأعظم أطباء الدنيا وأكثرهم عبقريةً لا يستطيع ضمان استمرار حياته أو حياة غيره ساعة من زمان في المستقبل، ومن ثمّ فإن القلق والخوف من المستقبل هما الهاجس الأكبر في حياة الإنسان الحديث الذي فقد الإيمان وفضيلة التوافق بين حياة الدنيا والآخرة[1].

1مقال للدكتور عبد الكريم بكار، على موقع صيد الفوائد، على الرابط:
http://www.saaid.net/Doat/bakkar/017.htm

وبهذا يمكن اختصار القول بأنّ عجز الإنسان عن فهمه للكثير من الحوادث والوقائع، وكذلك عجزه عن فهم واقعه وحاضره، وعدم قدرته على معرفة مستقبله، دليل واضح على ضعفه ونقصانه.

ثانياً: السبل الشرعية لعلاج صفة الضعف في الإنسان: كما ذكرنا سابقاً نصّ القرآن الكريم على صفة الضعف في الإنسان ونسبها إليه في أكثر من موضع، إلا أنّ الوحي الإلهي لم يكتف ببيان تلك الصفة وإنما تضمنت آياته علاجاً لهذه الصفة؛ وذلك إمّا بالنص على ذلك مباشرة أو بالإشارة إليه، بما فيه تقوية لأحد جوانب الضعف في الإنسان، أو بحثّه على ضبط نفسه من خلال ذكر جزاء ذلك من نعيم أخروي، وفيما يأتي سأفصل القول في معالجات القرآن الكريم لصفة الضعف وغيرها، مستشهداً بآيات قرآنية:

- **لإيمان هو مصدر قوة للإنسان.**

الإنسان المؤمن حقّ الإيمان لا سبيل للخوف والضعف إلى نفسه، فإيمانه بالله يمنحه قوة تجعله لا يخشى أحداً إلا الله، إذ إنّ الإنسان المؤمن يكون قوياً مؤهلاً لحمل رسالة الهداية وتبلغيها لغيره، وإلى هذا المعنى نجد الإشارة في سورة الأعراف،حيث يقول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ الأعراف: (171).

في هذه الآية الكريمة إخبار عما حدث مع بني إسرائيل عندما رفضوا العمل بما جاء في التوراة من أوامر ونواهي فأخافهم الله برفع الجبل فشعورا به فوق رؤسهم، حينها ظهر خوفهم وضعفهم الذي جُبلوا عليه فآمنوا وخضعوا لأمر الله، فخاطبهم الله تعالى بقوله " خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ"، أي خذوا أوامر الله بجدٍ وعزيمة كاملة ولا تجعلوا للتغافل والتكاسل إلى قلبكم من سبيل[1].

---

1 الرازي، **مفاتيح الغيب**، 397/15. القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، 313/7. البيضاوي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى، – ١٤١٨ هـ)، 41/3.

وبالنظر في الآية السابقة وما جاء في تفسيرها يظهر لنا كيف ربط القرآن الكريم بين الإيمان والقوة؛ فحين آمن بنو إسرائيل وخضعوا لأمر الله خاطبهم الله تعالى بصفة "القوة"، في إشارة إلى أنّه متى ما وجد الإيمان في قلب الإنسان كان مؤهلاً للاتصاف بالقوة وقادراً على أن يتخلص مما في قلبه من ضعف وهوان، فهذا تكريس وإظهار لمعنى أنّ الإيمان هو مصدر قوة للإنسان رغم ما جبلت عليه نفسه من ضعف.

ومن الأمثلة القرآنية الأخرى على ربط القرآن الكريم القوة بالإيمان قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ الأعراف: (171). هذه الآية الكريمة كسابقتها هي إخبار عن قصة سيدنا موسى مع قومه من بني إسرائيل، حيث أمر الله تعالى نبيه موسى بأن يأمر قومه بالالتزام بكل ما جاء في الألواح (التوراة) من أحكام النهي والوجوب بجدٍ وعزيمة[1]، وهنا نجد كما في الآية السابقة من ربط بين إيمان سيدنا موسى بربه ونبوته وبين القوة المنبثقة من ذلك اليقين، فلولا ذلك كان يكفي قوله تعالى "وأمر قومك" للدلالة على وجوب تبليغه لقومه، ولكن شاء الله تعالى أن يبرز العلاقة بين الإيمان والقوة حيث استعمل فعل "الأخذ" الدّال على القوة والعزيمة، تلك القوة التي تنتج عن الإيمان وتكون سبباً في تنزيه الإنسان المؤمن من صفة الضعف فيه.

- **معالجة ضعف النفس بتذكير الإنسان بما ينتظره من نعيم آخروي.**

نصّ القرآن الكريم على ما ينتظر الإنسان المؤمن من نعيم أبدي جزاءً له على ضبطه لنفسه ومقاومته لضعفها وميلها لابتاع الهوى؛ فنجد في كتاب الله وصفاً تفصيلياً لهذا النعيم بأسلوب مشوّق ومؤثر فيه تحفيز للإنسان على الصبر على مغريات الدنيا ونعيمها المؤقت القاصر ليظفر بنعيم الآخرة الدائم الخالي من الشوائب والمنغصات، ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ

1 الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، 109/13. الرازي، **مفاتيح الغيب**، 359/14.

تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ * الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ آل عمران: (15-16).

قال الإمام الرازي في تفسيره لهذه الآيات أنّ المعنى العام المراد من هذه الآيات: أنّ الباري عزّ وجلّ جعل الدنيا محلاً لابتلاء الإنسان وامتحانه، فوضع في طبعه الميل إلى اللذات والشهوات فيكون ضعيفاً في مقابلتها، إلا أنّ طبعه هذا ليس على سبيل الإلجاء الذي لا سبيل إلى تركه، بل على سبيل الضعف والتحبيب وميل النفس مع إمكانية إلجامها، وهنا يكون الامتحان والمجاهدة، فالإنسان المؤمن يتغلب على ضعف نفسه وميلها ويقتصر على ما أبيح له في الدنيا[1]، مع تذكيره لنفسه بما ينتظرها من ثواب في الآخرة، ففيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر[2].

ومن الآيات التي هي في السياق ذاته من التذكير بنعيم الآخرة جزاءً لكل من تغلب على نفسه وضعفها في مقابلة الشهوات قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا﴾ النساء : (122).

يقول الإمام الرازي في تفسير هذه الآية: أن هذه الآية تكررت في سورة النساء، وفي ذلك فوائد أهمها: أنها فيها تأكيد على رحمة الله بعباده؛ يدل على ذلك تكرار هذه الآية المتضمنة لوعد الله لعباده بالجنة ونعميها، في مقابل عدم تتكر أي آية من آيات الوعيد الذي تتضمن العذاب[3].

- **معالجة ضعف الإنسان من خلال أمثلة يحتذى بها في القوة والثبات.**

---

1 الرازي، **مفاتيح الغيب**، 368/6.

2 ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، 22/2. وينظر أيضاً:
ALTUNTAŞ - Muzaffer ŞAHİN. **Kur'an-I Kerim Meâli**. 61

3 الرازي، **مفاتيح الغيب**، 220/11. البضاوي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، 99/2.

الناظر في القرآن الكريم يجد فيه أمثلة يحتذى بها في قوة الإيمان والثبات في سياقات مختلفة، فمنها ما ثبت أصحابها في اختبار البقاء على إيمانهم بالله وعدم الشرك به بالرغم من المحن والعذاب الشديد، ومن الأمثلة على ذلك ثبات سحرة فرعون بعد إيمانهم بالله لما روأوه من آيات الله، وخيرُ مثال على ذلك صحابة النبي صلى الله عليه وسلم عند محاولة المنافقين تخويفهم من العدد، وأخيراً نأتي إلى خير مثال عن مقاومة شهوة النفس وهواها الموقف الذي سجله سيدنا يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز عندما راودته عن نفسه، وفيما يأتي سأعرض نماذج من الآيات القرآنية التي تناولت هذه الأمثلة وقدمتها كقدوة يحتذى بها الإنسان المؤمن في معالجة ضعفه الذي جبل عليه:

أ. ثبات سحرة فرعون وقوة إيمانهم:

قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ﴾ طه : (72).

عرضت الآية الكريمة صورة من أبلغ الصور لقوة الإيمان واليقين بوعد الله؛ حيث يظهر ذلك في تحدي السحرة لفرعون بقسمهم "والذي فطرنا" أي نقسم بالإله الذي خلقنا لن نفضلك ونتبعك في ضلالك وكفرك بعد أن أرانا الله من الحجج والبراهين على وجوده، فاصنع ما أنت صانع فلن يتجاوز فعلك هذه الحياة الدنيا المؤقتة[1]، ولهذا الموقف الذي عرضه القرآن الكريم عظيم الأثر في نفس الإنسان المؤمن الذي قد يكون في امتحان لمدى ثباته على إيمانه، فيستذكر مثل هذا الموقف فيكون مثبتاً له في مواجهة ما قد تظهره النفس من ضعف وتزعزع في المواقف.

ب. ثبات أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعد غزوة أحد.

1 ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، 304/5. الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، 340/18.

قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ آل عمران : (173).

الآية نزلت في أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم؛ فعندما انصرف أبو سفيان ومعه المشركون بعد معركة أحد وجدوا عيراً–ذكر ابن كثير إلى أنهم من بني خزاعة– متجهاً إلى المدينة فطلب منهم أبو سفيان أن يخبروا النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه بأنّ أبا سفيان قد جمع لهم جموعاً كثيرة؛ ليخيفهم ويدفعهم للرجوع وعدم ملاحقتهم، فعندما لقي العيرُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم وصحبه رضوان الله عليهم نفذوا طلب أبي سفيان وحاولوا إخافة المسلمين بجموع المشركين ولكن ما كان جواب النبي صلى الله وصحبه إلا أن قالوا: "حسبنا الله ونعم الوكيل"[1].

في هذه المشهد الذي نقله القرآن الكريم ضرب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خير مَثلٍ في القوة والثبات؛ حيث غطى يقينهم بالله وبنصره على الخوف والضعف الذي هو من طبيعة الإنسان ومن فطرته، فكان صوت الإيمان ونداءه قوياً لا يسمع معه نداء آخر، فبرهنوا بثباتهم هذا أنّ الإيمان يقاوم صفة الضعف في الإنسان، إن لم يقضِ عليها بالكلية.

ت. ثبات سيدنا يوسف عليه السلام ضد دعوة امرأة العزيز.

قال الله تعالى: ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحْسَنَ مَثْوَايَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ يوسف : (23).

قال أهل التأويل في هذه الآية: المراودة طلب الفعل، والهاء عائدة على امرأة العزيز، أي أنها دعت سيدنا يوسف ليواقعها، وأطبقت الأبواب، وقيل إنها كانت سبعة أبواب، وقالت: هلمّ وأقبل[2]، وقد بين الإمام

1 الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، 409/7. الرازي، **مفاتيح الغيب**، 433/9. ابن كثير، **تفسير القرآن الكريم**، 170/2.
2 البغوي، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، 277/4.

الرازي الغاية وراء اشتمال جواب سيدنا يوسف على أمور ثلاث، حيث قال: "معاذ الله إشارة إلى أن حق الله تعالى يمنع عن هذا العمل، وأيضا حقوق الخلق واجبة الرعاية، فلما كان هذا الرجل قد أنعم في حقي، فإنّه يقبح مقابلة إنعامه وإحسانه بالإساءة، وأيضا صون النفس عن الضرر واجب، وهذه اللذة لذة قليلة يتبعها خزي في الدنيا، وعذاب شديد في الآخرة."[1].

قصة سيدنا يوسف مع امرأة العزيز هي خير مثالٍ يحتذي به الإنسان لمواجهة أبرز وجوه الضعف عنده ألا وهو الضعف أمام شهوة النساء، فهذه الشهوة هي من أبرز نقاط الضعف الذي يفشل كثير من الناس في مقاومتها، فجاء هذا المشهد من قصة سيدنا يوسف ليكون مثلاً يُحتذَى به في معالجة هذا الضعف، وذلك بالاحتذاء بمقاومة سيدنا يوسف لامرأة العزيز بالرغم من اجتماع كل أنواع المغريات فيها من جمال وجاه ومكانة إجتماعية مما يصعب مقاومته إلا من كان ذو قلب مفعمٍ بالإيمان.

- **وضع الضعف الإنساني في سياقه الطبيعي.**

إنَّ مما عالج به القرآن الكريم الضعف عند الإنسان، أنْ وضع الضعف الإنساني-الذي هو من فطرة الإنسان ومما جُبِلَ عليه- في سياقه الطبيعي؛ أي النظر إليه أنّه أمر طبيعي قد يزداد عند الإنسان في أحوال معينة وقد ينقص في أخرى، وأنّ ضعفه هذا الذي يكون سبباً لمعصية خالقه هو نفسه الذي يدفعه للتوبة والالتجاء إلى ربه، ففي هذه الحالة تتكون قناعة عند الإنسان أنّ ضعفه مفتاحٌ للخير ومغلاقٌ للشر، فإذا أدرك ذلك توضحت له الصورة الكاملة للحياة، والتي بيّنها الله تعالى في كتابه الكريم، قال الله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ البقرة : (251).

الآية الكريمة هي بيان لسنة من سنن الله تعالى في خلقه؛ فالله يدفع بالمؤمين بعضهم عن بعض، فيدفع بالمجاهدين في سبيله عن القاعدين والمتقاعسين عن أداء واجب الجهاد، وكذلك يدفع الله بالمؤمنين والأبرار

1 الرازي، **مفاتيح الغيب**، 438/18.

عن الكفار والفجار[1]، وبهذا يكون تحقيق التوازن لسير الحياة ودوامها، وإلا فالنتيجة الهلاك كما بينته الآية الكريمة.

- **مراعاة ضعف الإنسان بالتيسير عليه في الأحكام.**

إنّ مراعاة الضعف الإنساني بالتيسير عليه في الأحكام الشرعية يأتي استكمالاً وثمرةً لوضع القرآن الكريم صفة الضعف عند الإنسان في سياقها الطبيعي؛ فإقرار القرآن الكريم بالضعف كصفة جبل عليها الإنسان يستتبع ذلك مرعاة لتلك الصفة والخاصية، وذلك بوضع الأحكام الشرعية بما يتوافق مع ضعف الإنسان وعدم تكليفه بما لا يطيق، ونجد الإشارة إلى ذلك في القرآن الكريم في كثير من المناسبات، منها قوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ النساء : (28).

فهذه الآية الكريمة هي نصٌ عام من الخالق عز وجل على تخفيف الأحكام الشرعية على الإنسان بسبب ضعفه على قول أكثر أهل التأويل، بينما ذهب بعضهم ومنهم مجاهد ومقاتل أنها رخصة في نكاح الإماء لمن يعجز عن نكاح الحرائر، وليس صبرٌ على الجماع[2]؛ فأباح الله لهم ذلك تخفيفاً وخشيةً من وقوعهم في الزنا لضعف الإنسان أمام الشهوات عموماً وشهوة النساء خصوصاً.

ومن الآيات القرآنية التي تشير إلى التخفيف عن الإنسان في الأحكام قوله تعالى: ﴿ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ الأنفال : (66).

الآية السابقة تكشف عن نموذج آخر من نماذج التخفيف عن الإنسان في القرآن الكريم، وذلك انطلاقاً من الضعف الذي خلق عليه الإنسان، فبعد أن كان حكم الله بأنّه يجب على المجاهدين في سبيله أن يصبروا

1 الرازي، **مفاتيح الغيب**، 515/6. الماتريدي، **تأويلات أهل السنة**، 424/7.

2 الرازي، **مفاتيح الغيب**، 55/10. السمرقندي، **بحر العلوم**، 297/1.

ويثبتوا في ملاقاة العدو لحدّ عشرة أضعاف عددهم، جاء التخفيف في هذه الآية بأنّه يجب عليه الثبات إن كان العدو يفوقه بضعفٍ واحدٍ فقط، وذهب النسفي إلى أنَّ الضعف الذي بُني عليه التخفيف في هذه الآية هو الضعف البدني[1].

1 النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، 655/1. القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، 44/8.

المبحث الثاني: صفة اليأس والقنوط في الإنسان

جاء في القرآن الكريم: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ﴾، .هود (9).

في هذه الآية الكريمة قرن الباري عزّ وجل صفة اليأس بلفظ الإنسان؛ وبذلك تكون صفة اليأس والقنوط والتي هي من الصفات المذمومة عند الإنسان ضمن نطاق بحثنا، وفيما يأتي من مطالب سنسلط الضوء على المعاني التي وردت بها هذه الصفة وبيان المقصود منه مع سبل علاجها، وذلك في المطالب الآتية:

المطلب الأول: مفهوم اليأس والقنوط في القرآن الكريم.

أولاً: معنى اليأس والقنوط في اللغة والاصطلاح.

اليأس والقنوط يأتيان بمعنى واحد في اللغة، وهو انقطاع الرجاء في تحقيق أمر ما.

فاليأس هو القنوط، أو قطع الأمل، والعكس الرجاء، والمصدر اليأس واليآسة، وقد استيأس وأيأَسْته وإنه ليائس ويؤوس[1].

والقنوط: قنط يقنط قنوطاً، وهو قانط، ومعنى القنوط اليأس[2].

وجدير بالذكر أنّ هناك من فرّق بينهما، وذهب إلى أنَّ القنوط أشد مبالغة من اليأس في انقطاع الأمل والرجاء[3].

معنى اليأس والقنوط عند العلماء:

لليأس والقنوط حالتان فيما ذهب إليه العلماء، وهاتان الحالتان هما:

---

1 ابن منظور، **لسان العرب**، 259/6. محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، (بيروت، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، طبعة8، ٢٠٠٥م) 582.

2 ابن منظور، **لسان العرب**، 386/7.

3 العسكري، **الفروق اللغوية**، 245

الأولى: انتفاء الطمع والرجاء والأمل في الحصول على الشيء، وانتفاء الأمل من تحقيق رحمة الله تعالى وكرمه في عباده.

الثانية: استبعاد الإنسان زوال المكروه الذي أصابه، وأن يقطع الأمل من زوال الابتلاءات والمصائب النازلة عليه[1].

وبالنظر إلى معنى اليأس عند العلماء يتّضح لنا التقارب بين المعنى اللغوي لليأس والقنوط، والمعنى الذي ذكره العلماء.

ثانياً: يأس الإنسان وقنوطه في القرآن الكريم

الفرع الأول: اقتران صفة اليأس والقنوط بالإنسان في القرآن الكريم.

وردت آيات كثيرة في القرآن الكريم تؤكد صفة اليأس والقنوط في الإنسان، ومن هذه الآيات قوله تعالى: ﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ﴾، فصلت (49). وقوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ﴾، .هود (9). وكذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوساً﴾، الإسراء (83).

الفرع الثاني: أقوال العلماء والمفسرين في معاني هذه الآيات ودلالاتها. تقاربت أقوال المفسرين في تفسير الآيات السابقة، فموضوعها واحد، وهي إخبار عن طبيعة الإنسان، من حيث هو، وعدم صبره، لا على الخير ولا على الشر، فقال تعالى: ﴿لَا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ﴾ أي: لا يمل دائمًا، من دعاء الله، في الغنى والمال، وغير ذلك من مطالب الدنيا، ولا يزال يعمل على ذلك، ولا يقتنع بقليل، ولا

---

1 الراغب الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، (دمشق: دار القلم، ط1، ١٤١٢هـ)، 892. عبد الرحمن بن محمد الجوزي، **نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر**، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، ١٤٠٤هـ)، 633. محمد بن صالح بن محمد العثيمين، **القول المفيد على كتاب التوحيد**، (السعودية: دار ابن الجوزي، ط2، ١٤٢٤هـ) 107/2.

كثير منها، فلو حصل له من الدنيا، ما حصل، لم يزل طالبًا للزيادة، ولكن ﴿وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ﴾ أي: المكروه، كالمرض، والفقر، وأنواع البلايا ﴿فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ﴾ أي: ييأس من رحمة الله تعالى، ويظن أن هذا البلاء هو القاضي عليه بالهلاك، ويتشوش من إتيان الأسباب، على غير ما يحب ويطلب، وعبّر الله تعالى بيئوس وقنوط وهما من صيغ المبالغة، للإشارة إلى شدة حزنه وجزعه عندما يعتريه الضرر والشر[1].

والمراد بالإنسان في هذه الآية وأمثالها جنسه الغالب، وإلا فهناك مؤمنون صادقون، إذا رزقهم الله النعم شكروا، وإذا ابتلاهم بالمحن صبروا.

الفرع الثالث: حكم اليأس والقنوط. لقد بيّن القرآن الكريم حكم هذه الآفة النفسية من عدة وجوه:

1. ورد النهي عن القنوط في صريح قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾، الزمر: (53). والنهي يفيد التحريم؛ لأنّ الأصل في النهي أنّه للتحريم.
2. ورد النهي عن اليأس والقنوط بصورة غير صريحة في آيات القرآن، وذلك في سياق الذم والزجر، فدلّ ذلك على وجوب التخلص من هذه الصفة الذميمة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ﴾ هود: (9). وقوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا﴾ الإسراء: (83).
3. استسلام الإنسان لمشاعر اليأس والقنوط، فيه سوء ظن بالله، وهذا من أعظم المحرمات وأقبح الذنوب، وإنكار لقدرته تعالى في تصريف الأقدار والسوء عنه كيفما يشاء، وحينما يشاء، وفيه

---

1 عبد الرحمن بن ناصر السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص752**. محمد سيد طنطاوي، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، (القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى) 364/12.

إنكار للآيات التي تدل على سعة رحمة الله ومغفرته[1]. ومن هذه الآيات قوله تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ الأنعام: (12).

من خلال ما سبق يتبين أن **حكم اليأس والقنوط هو التحريم**، فعلى الإنسان المسلم ألا ييأس من رحمة الله وكرمه، وألا يقطع أمله ورجاءه من الله.

المطلب الثاني: أسباب اليأس والقنوط، والآثار المترتبة عليه.

إنّ مشاعر اليأس والقنوط الناشئة في النفس الإنسانية لابدّ لها من أسباب ساهمت في سيطرتها على النفس، ومن خلال آيات القرآن الكريم يبدو أن الأمور التي تؤدي إلى وصول الإنسان إلى مرحلة من اليأس والقنوط هي ثلاثة:

1. الكفر بالله عز وجل: فإن الكافرين بالله، والمنكرين لأدلته، والجاحدين بيوم القيامة وإمكانية البعث، تمكّن منهم اليأس، واستقر في أعماق نفوسهم؛ فهم لكفرهم بالله عز وجل لا يرجون خيرًا في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ العنكبوت: (23).

ومن يتأمل الواقع في الكثير من المجتمعات الكافرة يجده كذلك، وإحصائيات الانتحار المتزايدة تدل على ما ذُكر، فاليأس والقنوط يزداد بالرغم من توفر الوسائل المادية المعدّة لراحة الإنسان ورفاهيته، وذلك لقلة الإيمان بالله تعالى.

---

1 ابن العثيمين، **القول المفيد على كتاب التوحيد**، 107/2. خالد عثمان السبت، **قواعد التفسير جمعاً ودراسة**، (الرياض: دار ابن القيم، ط1، 1434هـ)،38/2.

2. الإسراف في المعاصي، والقنوط من رحمة الله: ويؤخذ هذا من قوله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾ الزمر: (53). فحين تنزلق أقدام العبد في المعاصي والحرام، ويزين له الشيطان الانغماس في الشهوات، وارتكاب ما نهى الله عنه، يجد نفسه غارقاً بين ذنوبه وآثامه، فيتسلل إليه اليأس، ويتمكن منه، ويظن أن الله لن يغفر له هذه الذنوب العظام، وينسى أن الله واسع الرحمة والمغفرة، فتضعف إرادته، ويبالغ في خوفه من الله، ويستسلم اعتقاداً منه أن الله لا يقبل توبته لو تاب وعاد إليه. والمتأمل للواقع يجد أن الإفراط في الخوف من الله يقع كثيراً من الذين ارتكبوا المعاصي، وغرقوا في الذنوب؛ وذلك لأن الشيطان حريص دوماً على ألا يتوب الإنسان لربه ويرجوه ويحسن الظن به.

3. المصائب والابتلاءات، وعدم تحقق ما يريده الإنسان: إنّ من الأسباب التي تجعل مشاعر اليأس والقنوط تسيطر على الإنسان، هي المصائب والابتلاءات التي تنزل عليه، وفقدان ما كان يتمتع به من النعم، وعدم حصول ما يسعى إليه، ويتأمله من الأمور الدنيوية، وتلك هي طبيعة الإنسان، كما قال تعالى: ﴿وَلَئِنۡ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ ثُمَّ نَزَعۡنَٰهَا مِنۡهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٞ كَفُورٞ﴾ هود: (9). فالإنسان حين تنزع منه نعمة يستسلم لليأس، ويظن أن الله لن يردها له مرة أخرى، أو يعطيه أفضل منها، ويكفر بكل ما كان فيه من النعيم. ومما يُعبّر عن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ فَرِحُواْ بِهَاۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ إِذَا هُمۡ يَقۡنَطُونَ﴾ الروم (36)، فالإنسان ينعم بما آتاه الله من الخيرات، وبما رزقه من مال، ومنحه من صحة، وجميع أمور الدنيا، ولكن إذا مسه البلاء، والشدة، أو والفقر، والمرض، فتراه يقنط من رحمة الله ويأس من زوال تلك الابتلاءات.

وهذا السبب يلاحظه الانسان في نفسه، وكذلك في الناس من حوله. وهو من أكثر الأسباب الداعية إلى يأس الإنسان وقنوطه[1].

4. الجهل بالله تعالى وتعلق قلب الإنسان بالدينا وشهوتها وزخرفها.

فرع: الآثار المترتبة على اليأس والقنوط.

ينتج عن آفة اليأس والقنوط عدة آثار، ومن أهمّها ما يلي:

1. سوء الظن بالله: فالمذنب القانط واليائس من مغفرة الله ورحمته يظن أن ذنوبه أعظم من أن يغفرها الله له، وإذا كان في نعمة من نعم الله ثم نزعت منه هذه النعمة فيظن أن الله غير قادر على إعادتها إليه، وأنه لن ينعم عليه، ولن يلطف به، وإن سعى في حاجة له ولم يحصل على مراده، ييأس، ويظن أنَّ الله لا يريد له الخير.
2. الاستمرار في المعاصي وترك الطاعات: فاليائس والقانط حين يشعر أنّه هالك لا محالة لا يبالي بالمعاصي التي يرتكبها، ولا يهتم لفعل الطاعات، وكسب الحسنات. ثم إنّ الشيطان حريص على استغلال ضعف الإنسان حال اليأس والقنوط؛ ليضله عن سبيل الله ويغويه، لأنّ من أهداف الشيطان إيقاع العباد في المعاصي، وصدهم عن طاعة الله، وقد قال تعالى: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ* ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ﴾ الأعراف: (17).

---

1 عبد الرحمن بن ناصر السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى، – ١٤١٨ هـ)،63. عبد الرحمن بن ناصر السعدي، **القول السديد شرح كتاب التوحيد للإمام المجدد محمد بن عبدالوهاب**، تحقيق: صبري بن سلامة شاهين، (الرياض: دار القبس، ط2، 1431هـ).

3. الإصابة بالهم والغم والحزن: فالقانط من رحمة الله ومغفرته يحزن لما صدر منه من معاصي وذنوب، ويناله الغم والهم لمعرفته بمصيره من العذاب، وكذلك فاليائس يحزن كلما تذكر مكروهاً ماضياً ويغتم لأمره في المستقبل فلا يتأمل خيراً، ولا يتفاءل بحال أفضل.

4. الإحساس بالعجز والكسل وضعف الهمة: فلا يسعى اليائس ولا يعمل بالأسباب؛ ليحصل على ما يرجوه ويتأمله، بل يبقى مستسلماً لحاله وضعفه، حيث تراه ضعيف الإرادة، فاتر الهمّة[1].

المطلب الثالث: معالجة صفة اليأس والقنوط في القرآن الكريم.

كما هو معلوم أن اليأس كشعور إنساني لا تنحصر حدود تأثيره في شعور الإنسان وقلبه فقط بل يتعداه في الحالات المتقدمه من اليأس إلى التأثير في السلوك، بل قد يصل بالإنسان إلى حد التهلكة، لذا نجد القرآن الكريم الذي أنزله الله هدىً ورحمةً وشفاءً للمؤمنين عالج اليأس- بوصفه مرضاً قد يصيب الإنسان- بعلاجات عدة؛ منها ما ينحصر تأثيرها في القلب والإيمان، ومنها ما يتعلق بسلوك الإنسان ومؤثراً فيه، وفيما يأتي سنذكر هذه العلاجات حيث سنبدأ أولاً بما يعتبر وقايةً للإنسان من اليأس، ومن ثم يأتي العلاجات التي تخص القلب، وأخيراً ما يخص العمل والسلوك:

أولاً: ربط الإنسان بخالقه والإلتجاء إليه في كل أحواله؛ وقايةً له من اليأس.

من المعالجات التي وضعها القرآن الكريم -وقايةً للإنسان من صفة اليأس- هي جعل الإنسان دائم الارتباط بخالقه عزّ وجلّ في كل أحواله التي يمرّ بها -سرائها وضرائها-، وفي سبيل ذلك ضرب الله أمثلة على ذلك

1 أمل بنت عبدالعليم عبدالعظيم بستوي، **اليأس والقنوط وعلاجهما في القرآن الكريم**، (بحث مقدم إلى اللقاء العلمي الثامن لطلاب وطالبات جامعة أم القرى، محور الأبحاث العلمية-مسار العلوم الإنسانية، 1341هـ)، 13.

من خير خلقه؛ وهم رسله الذين اصطفاهم من سائر البشر، فنجد في قصص الأنبياء التي سردها القرآن الكريم مشاهد تدل على ارتباط أنبياء الله ورسله به ودوام إلتجاءهم إليه، ومن ذلك:

- ما ورد في قصة سيدنا أيوب عليه السلام، قال تعالى: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ * فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۖ وَكَذَٰلِكَ نُنجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ الأنبياء : (87-88).

فالآية الكريمة تصور مشهد من قصة سيدنا أيوب عليه السلام، وذلك حين وصلت محنته عليه السلام ذروتها؛ حيث فقد المال والولد وتسلط عليه المرض حتى تركه أقرب الناس إليه، ولم يبقَ معه سوى زوجته تخدمه، وقد اختلف في مدة بقائه في محنته، فقال ابن عباس: سبع حجج، وقال وهب: ثلاثة أحوال، وبعد أن ضرب مثلاً في الصبر، دعا الله أن يرفع عنه ما به من بلاء، وهو على يقين بالاستجابة من ربه[1]، فمن العبر والعظات التي يمكن استخلاصها من هذا المشهد القرآني، وجوب ارتباط العبد بربه والالتجاء إليه في كل الشدائد والنوائب، عوضاً عن اليأس والقنوط الذي يكون منفذاً للشيطان لقلب الإنسان ليهوي به لدروب الهلاك.

- قوله تعالى: ﴿ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ*فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾ الأنبياء : (90).

فقد جاءت هذه الآية الكريمة تأكيداً لما ورد في الآية السابقة من وجوب ارتباط المؤمن بربه والتوجه إليه في محنه وشدائده؛ فها هو سيدنا زكريا عليه السلام يسير على نهج سيدنا أيوب وغيره ممن سبقه من

1 منصور بن محمد السمعاني، **تفسير القرآن**، تحقيق: ياسر ابراهيم وغنيم عباس، (الرياض: دار الوطن، الطبعة الأولى، 1997م)، 398/3. الرازي، **مفاتيح الغيب**، 171/22.

الأنبياء، وذلك بالالتجاء والتوجه إلى خالقه بالدعاء بأن يهبَ له ولداً وارثاً له وأن لايبقيه وحيداً، فجاءت الاستجابة سريعةً ومعللةً بأن سيدنا زكريا وزوجته كانوا ممن يداومون على الدعاء راغبين بما عند الله من فضل، مع الخوف من عذابه الأليم[1]، فكان هذا التعليل بمثابة توجيه من الله تعالى لعباده المؤمين لِأَنْ يسيروا على نهج أنبيائه بالرغبة بفضل الله دوماً.

- ﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ * قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴾ الشعراء : (61-62).

الآية الكريمة هي تصويرٌ لأصعب المواقف وأكثرها حرجاً لسيدنا موسى عليه السلام ومن معه من المؤمين، حيث اقترب عدوهم-فرعون وجموعه- حتى أصبح يرى كل من الطرفين الآخر، وتعالت الأصوات بأنهم مُدركون[2]، فكان جواب سيدنا موسى بـ "كلا" والتي تحمل في طياتها ثقة كاملة بربه وبارئه بأنه سينقذه مما هو فيه من ضيق، فجوابه هذا رسالة طمأنة لقومه ولمن سيأتي من بعدهم من المؤمنين بأنَّ الله مع عباده المخلصين.

ثانياً: معالجة اليأس بالزهد بالدنيا وما فيها من نعيمٍ زائف.

الزهد كما بينه العلماء هو: الرغبة عن الدنيا عدولاً إلى الآخرة، أو الرغبة عن غير الله تعالى عدولاً إلى الله[3]، وما الزهد إلا حالٌ ودواءٌ استنبطه العلماء من توجيهات الوحي الإلهي بشقيه القرآن والسنة، وذلك لكثرة ذمهمها للدنيا وما فيها من نعيم زائف، والتحذير من الانغماس في الشهوات والانجرار وراء هوى النفس، فذلك بابٌ يدخل منه ما فيه شقاءُ الإنسان وتعاسته، كشعوره باليأس عند فقده ما تعلق به قلبه من نعيم

1 الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، 520/18. ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، 370/5.

2 ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، 143/6.

3 الغزالي، **إحياء علوم الدين**، 1572.

زائف، لذا نجد القرآن الكريم وفي مناسبات عدة يبين لنا الترابط والتلازم بين تعلق الإنسان بالدنيا وبين شعوره باليأس القنوط، وفيما يأتي سأذكر بعض هذه المواضع:

- ﴿ إِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَا۟ بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا﴾ الإسراء: (83).

الآية الكريمة هي بيان لحال الإنسان المغترّ بالدنيا والمتطلع للتمتع بها الغافل عن الآخرة، فيكون الإنسان بين حالتين: الأولى: أن ينعم الله عليه من متع الدنيا ويتمكن منها، فيغترَّ بذلك فينسى ذكر الله، والحالة الثانية؛ أن يحرمه الله من نعم الدنيا ويضيق عليه في العيش، فيستولي على قلبه الحزن واليأس ويمنعه ذلك من ذكر الله، فما تقدم هو إخبار لنا عن طبيعة الإنسان ومدى تعلقه بالدنيا إلا من عصمه الله تعالى[1].

- ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴾ هود: (9).

ذهب علماء التأويل إلى أنّ هذه الآية تقرر: أنَّ الإنسان الكافر إذا زالت عنه النعمة يصبح يؤوساً؛ لاعتقاده بأنَّ ما كان فيه من نعمة جاءته عن طريق الصدفة والاتفاق، وأنه يستبعد أن يتكرر ذلك الاتفاق، أما الإنسان المؤمن فيعتقد أنّ تلك النعم هي من عند الله وبفضلٍ منه، فيقول: لعلَّ الله يردها إليّ بأفضل مما كانت، وفي تأويل آخر: إنّ هذه الآية هي إخبار من الله تعالى عن صفات الإنسان الذميمة إلا من رحم الله من عباده المؤمنين[2].

- ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴾ هود: (36).

هذه الآية كسابقتها تبين فرح الإنسان بالنعمة ويأسه بزوالها إلا أنها زادت عليهما بالإشارة إلى سبب زوال النعم وهي "بما قدمت أيديهم" أي بما أسلفوا من الذنوب والمعاصي والبعد عن هدي الله تعالى[3].

---

1 الرازي، **مفتايح الغيب**، 391/21. ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، 103/5.

2 الرازي، **مفاتيح الغيب**، 321/17. ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، 268/4.

3 الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، 102/20. البيضاوي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، 60/4.

فما تقدم من آيات وغيرها –والتي ربطت بين تعلق الإنسان بالدنيا ومتعها وبين اتصافه باليأس كنتجية لزوال الدنيا أو بعض نعمها عنه– تضمنت إشارة إلى العلاج من اليأس؛ هو مجاهدة الإنسان لنفسه في جعلها زاهدة بالدنيا وما فيها، الأمر الذي يساعد في الابتعاد عن صفة اليأس التي تكون مدخلاً وباباً لكثير من الشرور والمفاسد.

ثالثاً: معالجة اليأس ببيان سنن الله في خلقه.

إنَّ من القواعد التي أرساها القرآن الكريم: أنّ من سنن الله في خلقه أن يختبرهم ويمتحنهم وذلك بالتضييق عليهم في مختلف ميادين الحياة (كالمال والولد والصحة والأهل...الخ)، وقد يطول هذا الاختبار أو يقصر، وقد يشتدّ أو يخف، فذلك كله مرده إلى إرادة الله ومشيئته، وفي مقابلة هذا الاختبار والتضييق يأتي وعد الله بالفرج والتيسير، فكانت سنة الله في خلقه أن ما يجدونه من ضيق وحرج سيتبعه فرج وتيسير من خالقهم عزّ وجل، فمن عرف هذه السنة الإلهية والقاعدة الربانية كانت عوناً له في مواجهة العسر والضيق، وواقياً له وعلاجاً من اليأس الذي يريد الشيطان أن يجعله مسيطراً على مشاعره وقلبه.

ونجد أن القرآن الكريم قد نصّ على هذه السنة الإلهية وبينها بصيغة لا تحتمل الشك والتأويل، وذلك في عدة موضع، اذكرها منها:

- قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ الشرح: (5-6).

نقل الإمام الرازي عن ابن عباس رضي الله عنه في تفسير هذه الآية: "خلقت عسراً واحداً بين يسرَين، فلن يغلب عسرٌ يسرَين"، وقد اختلف في الغاية من إفراد العسر وتكرار اليسر في الآية، فقيل: التكرار كان لغرض تمكين المعنى في القلوب، وقيل المراد باليسر الأول: يسر الدنيا، واليسر الثاني: يسر الآخرة[1]، وقيل:

1 الرازي، **مفاتيح الغيب**، 208/32. البغوي، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، 275/5.

ليكون أبعث على الصبر وأقوى للأمل[1]، وهذه المعاني كلها مما تتحمله الآية الكريمة بنصها الصريح الباعث على الأمل والطارد لليأس والقنوط وغيرها من وساوس الشيطان.

- قوله تعالى: ﴿ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ الطلاق: (7).

بعد أن جاء الوعد باليسر في سورة الشرح عاماً يشمل جميع أنوع الضيق التي قد يواجهه الإنسان في حياته جاءت هذه الآية في سورة الطلاق لتكرر الوعد بالتوسعة في الرزق على المتزوجين إن هم أنفقوا ما قدروا عليه ولم يقصروا في ذلك[2]، فكان الوعد هنا في مقابلة الضيق المادي الذي قد يمر به الإنسان.

- قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ يوسف: (110).

الآية الكريمة تصوير لنوع خاصٍ من أنواع اليأس ألا وهو يأس الأنبياء، فأنبياء الله تعالى يكرسون حياتهم وكامل جهدهم لدعوة الناس إلى الإيمان فإذا ماوجدوا الانكار وعدم الاستجابة أصابهم اليأس وظنوا أنهم غير منصورين، جاء فرج الله ونصره "جآءهم نصرنا"[3]، وما هذا إلا تقعيدٌ لسنة من سنن الله في خلقه وتأكيد لها: العسر يعقبه يسر فلا تيأس.

رابعاً: معالجة اليأس بالتّوكل عليه وحسن الظن به.

وصف الإمام الغزالي التّوكل بعد أن ساق مجموعة من الآيات القرآنية في بيان فضل التوكل على الله فقال: "وأعظِم بمقام موسومٍ بمحبة الله تعالى صاحبَه، ومضموم بكفاية الله تعالى ملابسه، فمن كان الله حسبه وكافيه ومحبه ومراعيه فقد فاز الفوز العظيم." [4]، فهذا الوصْفُ من الإمامِ الغزالي مأخوذ مما تضمنه الوحي

1 علي بن محمد بن محمد الماوردي، **النكت والعيون**، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود، (بيروت: دار الكتب العلمية،)، 296/6.

2 السخاوي، **تفسير القرآن العظيم**، 483/2. وينظر أيضاً:
Muhammed Hamdi Yazır. **Hak Dini Kur'an Dili**. Sadeleştiren:Prof. Dr. Sadık Kılıç. 6/5074.

3 القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، 274/9. ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، 424/4.

4 الغزالي، **إحياء علوم الدين**، 1602.

الإلهي من وعودٍ ومكانةٍ لأصحاب التوكل الحق على الله تعالى، ونجد ذلك في موضع عدة في القرآن الكريم، منها:

- قوله تعالى: ﴿ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴾ الطلاق: (3).

هذه الآية من سورة الطلاق بشرى لكل معسرٍ ويائسٍ بالفرج، فقد وعد الباري عزّ وجلّ بأنه سيكفيهم ما أهمَّ بهم من ضيق وعسر بشرط أن يثقوا بخالقهم ويتوكلوا عليه، وإن كان في هذا الفرج تأخيراً، فما هو إلا ليبلغ الله أمراً يريده منهم، وكل شيءٍ عنده بتقدير وتوقيت وحكمة بالغة.[1]

- ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ الزمر: (36).

هذه الآية كالتي سبقتها تتضمن وعداً من لله تعالى لعباده المؤمنين بأنه سينصرهم ويعزهم، وقد جاء الوعد بصيغة الاستفهام ليفيد التحقيق، أي تحقيق الوعد بالنصر[2]، فمن تحققت فيه شروط العبودية الحقة بالاستسلام لله تعالى وشريعته حقيقٌ عليه أن لا يصيبه اليأس والقنوط؛ لأنّه داخل حينها ضمن وعد الله بالنصر والعزة.

خامساً: الإيمان بقضاء الله تعالى وقدره يعالج اليأس.

عالج القرآن الكريم اليأس الذي قد يصيب الإنسان بسبب ابتلائه- بمصيبة في ماله أو ولده أو صحته أو أي شيء تعلق قلبه به- بأن غرس في قلب المؤمن الإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره، فمتى تمكن الإيمان بالقضاء والقدر من قلبه واستسلم لذلك، وجد في نفسه راحة وطمأنينةً تغلق الأبواب أمام اليأس والقنوط

1 الراز.ي، **مفاتيح الغيب**، 561/30. ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، 145/8.

2 الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، 294/21. السمرقندي، **بحر العلوم**، 186/3.

التي يحاول الشيطان أن يدخلها إلى قلب المؤمن، ومن المواضع التي بين فيها القرآن الكريم هذا العلاج قوله تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ الحديد: (22).

فالآية الكريمة تبيّن أنَّ كل المصائب التي تحدث في الأرض بمختلف أصنافها وتأثيراتها كالقحط والجدب وفساد الزروع والثمار والأسقام والأمراض، مكتوبة في أمّ الكتاب من قبل أن يخلق الله الأرض ومن عليها من بشر وكائنات[1]، وإيمان الإنسان بأنّ كل ما يحدث له في مسيرة حياته من خير وشر ما هو إلا بقضاء الله وقدره ينجيه من مرض اليأس، فيكون بذلك مدركاً بأنّ كل ما أصابه أو ما قد يصيبه من سوء أو ضيق هو من عند الله، وهو القادر على كشفه وإزالته، لذا لا مبرر لليأس والقنوط بل عليه بالصبر والدعاء بأن يرفع الله ما به من بلاء.

1 الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، 195/23. الرازي، **مفاتيح الغيب**، 466/29.

المبحث الثالث: صفة الجحود في الإنسان، وسبل علاجها.

جاء في القرآن الكريم: ﴿ إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴾، العاديات: (6).

قال المفسرون في معنى "لكنود": هي جحود النعمة وكفرها[1]؛ وبذلك تكون صفة الجحود من بين الصفات التي اقترنت بلفظ الإنسان، وفيما يأتي سندرس صفة الجحود في الإنسان، وما نزل بشأنها من آيات في القرآن الكريم، وسبل العلاج منها، وذلك في عدة مطالب فيما يلي:

المطلب الأول: مفهوم صفة الجحود في اللغة والاصطلاح، واقترانها بالإنسان في القرآن الكريم

أولاً: الجحود في اللغة، والاصطلاح.

الجُحْد والجُحُود، نقيض الإقرار، كالإنكار والمعرفة، ويكون الإنكار مع العلم، فجحده حقه أي أنكره وهو على علم به[2].

الجحود في اصطلاح العلماء: الإنكار لما سبق له وجود، وهو تكذيب وإنكار لوجود نعمة الله تعالى رغم العلم المسبق بوجودها[3].

ومما يدلّ على هذا قوله تعالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً﴾ النمل: (14)، أي أنهم أنكروا آيات الله تعالى رغم يقينهم بها، وبحقيقة وجودها، فالجحود أن ينكر الإنسان أمراً رغم يقينه بها، أو يعمل عملَ المنكِرِ لها فلا يؤدي شكرها.[4]

---

1 الثعلبي، **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، 181/30. البغوي، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، 509/8.

2 ابن منظور، **لسان العرب**، 106/3. الفيومي، المصباح المنير، 91/1.

3 المناوي، **التوقيف على مهمات التعاريف**، ص121. الراغب الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، 715.

4 محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، تحقيق: علي عبد الباري عطية، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، ١٤١٥هـ) 320/1.

ولكن هناك فرق ذكره العلماء بين الجحود والإنكار، وهو أنّ الجحد مختصّ بالماضي، والإنكار عامّ يشمل الماضي والحاضر، والجحد يقال فيما ينكر باللّسان دون القلب، والإنكار يقال فيهما[1]

ثانياً: اقتران صفة الجحود بالإنسان في القرآن الكريم

فرع: الآيات القرآنية الدالّة على صفة الجحود في الإنسان.

هناك العديد من الآيات القرآنية التي تشير إلى صفة الجحود في الإنسان ومنها قوله تعالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً﴾ النمل: (14). وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعاً وَأَبْصَٰراً وَأَفْئِدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُواْ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُون﴾ الأحقاف: (26). وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ يونس: (60)، وكذلك قوله تعالى: ﴿ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْراً وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ سبأ: (13).

فهذه الآيات وغيرها تدل على جحود العبد لآيات الله ونعمه، وقد صرحت الآية الأولى بذلك، أما الآيات الأخرى فقد عبرت عن الجحود بعدم الشكر للنعم، وعدم الشكر ذاته هو إنكارٌ وجحودٌ لنعم الله تعالى أيضاً.

فرع: حكم الجحود بآيات الله ونعمه.

ينقسم حكم الجحود بالله ونعمه إلى نوعين، ونذكر هنا كل نوع على حدة، ثم نبين حكم كل نوع فيما يلي:

- **الجحود كفر مطلق عام:** وهو جحود الإنسان ما أنزله الله تعالى جملة وبالكلّية، وقد ذكر القرآن الكريم جحود المشركين بآيات الله رغم معرفتهم بها، وشدّد النّكير عليهم، وذلك في قوله سبحانه

1 المناوي، **التوقيف على مهمات التعاريف**، ص121.

وتعالى: ﴿لكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآياتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ الأنعام: (33)، فوصفهم الله تعالى في هذه الأية بالظلم.

ووصف القرآن الذين يجحدون بآيات الله تعالى بالكفر أيضاً، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَما يَجْحَدُ بِآياتِنا إِلَّا الْكافِرُون﴾ العنكبوت: (47)، بالإضافة إلى أنّ القرآن وصفهم بأنهم أهل الإفك والختر، فقال تعالى: ﴿كَذلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كانُوا بِآياتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ غافر: (63)، وقال سبحانه: ﴿وَما يَجْحَدُ بِآياتِنا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ لقمان: (32).

لذا فالنّتيجة الحتميّة للجحود هي الخلود في النّار، لأنهم أعداء لله فاستحقّوا بذلك الوعيد الشّديد.

- الجحود كفر مقيد خاص: وذلك كأن يجحد الإنسان فرضاً من فروض الإسلام، أو يحلل محرماً من محرماته، أو يجحد صفة وصف الله بها نفسه، أو خبرًا أخبر الله به، أو غير ذلك من الأمور المشابهة. وفي هذه الحالة إذا جحد شخصٌ ذلك جهلاً أو تأويلاً يُعذر فيه صاحبه ولا يكفر[1].

المطلب الثاني: آثار الجحود، وسبل علاجه في القرآن الكريم.

أولا: آثار الجحود. للجحود آثار شديدة، منها ما يعود على الانسان نفسه، ومنها ما يعود على النعمة ذاتها، ولو عرف المرء أثر الجحود وفائدة الشكر لسارع إلى شكر نعم الله، ولما بطر وجهل، ومن آثار الجحود ما يلي :

- **تبديل النعم وذهابها:**

1 ابن قيم الجوزية، **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، 347/1.

إذا جحد المرء نِعَم ربه فإن الله يسلب منه هذه النعم ويبدلها نِقماً، وقد ذكر الله سبحانه وتعالى حال بعض الأمم التي جحدت وكفرت بأنعم الله فسلب الله منهم هذه النعم، قال الله تعالى ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ سبأ: (15-16). فها هم قوم سبأ أنعم الله عليهم هذه النعم العظيمة إلا أنهم أعرضوا وجحدوا فَسُلِبَت منهم هذه النعم وأبدلوا مكانها شراً وعذاباً. والخَمْط: كل ثمر أخذ طعماً من مرارة.[1]

- **إفاضة النعم استدراجاً:**

ومن آثار الجحود هو أن يفيض الله تعالى نعمه ويزيدها للجاحدين ابتلاءً لهم من الله واستدراجاً ليزدادوا غياً، قال تعالى ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الأعراف: (182). والاستدراج: هو أخذهم بالتدريج منزلة بعد منزلة حتى يصلوا الى حالة يكثر فيها كفرهم وفسوقهم فيأخذهم الله تعالى بالعذاب درجة بعد درجة، بعد الترك وإدامة الصحة وازدياد النعمة.[2]

- **العذاب الشديد :**

ومن آثار الجحود ونكران النعم هو العذاب الذي يواجه المنكر والجاحد لنعم الله، وهذا العذاب قد يكون في الدنيا وقد يكون في الآخرة، أما عذاب الدنيا فهو ما أعده الله للجاحدين عقاباً لهم وقد يكون بالإهلاك وقد يكون بالخسف الى غير ذلك، يضاف إلى عذاب الآخرة الذي توعد الله تعالى به الجاحدين

وأكثر الأمم السابقة التي جحدت نِعَم الله وطغت وتجبرت أخذهم الله من حيث لا يشعرون، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ

1 البيضاوي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي)**، 245/4.

2 الآلوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، 118/5.

مُبْلِسُونَ﴾ الأنعام: (44). ومعنى بغتةً: أي نزل بهم العذاب فجأة ليكون أشدّ وأعظم وقعاً وأفظع هولاً، ومبلسون: أي متحسرون أشد الحسرة.[1]

ثانياً: سُبل العلاج من صفة الجحود.

جاءت معالجة القرآن الكريم للجحود كصفة مذمومة للإنسان في شقين اثنين: الأول؛ في بيان أنه خلق سيء، وذي عاقبة وخيمة، لذا نجد أن القرآن الكريم نعت المتصف بالجحود بالظلم والفساد، أما الشق الثاني: فكان التركيز فيه بمواجهة الجحود ومحاربته من خلال حثِّ الإنسان على خُلق الشكر- كونه على نقيض للجحود- وجعل شكر الله والثناء عليه صفة ملازمة للإنسان في كل أحواله، سرائها وضرائها، وفيما يأتي سأعرض شقي المعالجة بالتفصيل مع ذكر أمثلة عليهما من القرآن الكريم:

- **المعالجة بالتحذير من الجحود بذكر سوء عاقبة الجاحدين ومصيرهم.**

المتأمل في آيات الذكر الحكيم يجد أنَّه يضرب العديد من الأمثلة على أقوام جحدوا نعمة الله عليهم، فكان غالباً ما يقرن بين صفة الجحود المذمومة وبين عاقبتها الوخيمة على صاحبها المتصف بها، لغاية تحذير الإنسان من هذه الصفة ووجوب التنزه منها، ومن الأمثلة على ذلك:

قوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾ النحل: (112).

ذكر أهل التفسير أن المراد بالقرية مكة والتي كان أهلها على شرك بالله، فأنعم الله عليهم بالأمن والأمان بالرغم من أنهم كانوا محاطين بقبائل تتقاتل وتغزوا بعضها بعضاً، وأهل مكة لا يُغار عليهم، كما أنّ الله أنعم عليهم بسعة الرزق الذي كان يأتيهم سهلاً من كل ناحية وفج، وعندما أصروا وجحدوا تلك النعم بالاصرار على كفرهم، فسلط لله عليهم غضبه بالجوع والخوف، ولشدة ما أصابهم من ذلك أصبح كاللباس لهم يجدونهم

1 أبو السعود العمادي، **تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، (بيروت: دار إحياء التراث العربي)، 134/3.

معهم أينما توجهوا وحلوا[1]، وبذلك أظهر القرآن الكريم سوء عاقبة كل جاحدٍ لنعم الله بغاية تحذير ذوي العقول السليمة من هذه الصفة المذمومة وضرورة التنزه منها.

قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ * فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾ فصلت: (15-16).

الآية الكريمة تصور لنا مشهداً آخرَ من مشاهد جحود الإنسان لنعم الله، فبعد أن ضرب مثلاً في الموضع السابق على جحود نعمة الأمان نجد القصة هنا تروي جحوداً لنعمة مختلفة، وهي نعمة القوة البدنية؛ وما هذا التنوع إلا للتأكيد على أن الجحود بكل أنواعه وأشكاله مذمومٌ سيء العاقبة.

فقد جاء في تفسير الآيتين: ذكرَ الله سبب استكبار قوم عاد وعدم إيمانهم، بأنهم قالوا: من أقوى منا؟، فقد كان الله تعالى قد أنعم عليهم وخصهم بضخامة الأجسام وشدة القوة، فعندما جحدوا نعمة الله وجعلوها مستنداً لتكبرهم وكفرهم، سلّط الله عذابه عليهم؛ فجاءتهم الريح الشديدة العاصفة الباردة التي تحرق كما تحرق النار، مع الوعيد بالإهانة والخزي الذي ينتظرهم في الآخرة، والذي هو أشدّ وأخزى.[2]

قوله تعالى: ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ * ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَـٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾ الأعراف: (51).

---

1 الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، 309/17-310. الرازي، **تفسير القرآن العظيم**، 607/4.

2 الرازي، **تفسير القرآن العظيم**، 550/27. البيضاوي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، 68/5.

بعد أن ضرب الله أمثلة على جحود الإنسان لنعم الله وعاقبة ذلك في الدنيا من زوال تلك النعم، نجد في الآية الكريمة تصويراً لمشهد من يوم الحساب يظهر فيه ما ينتظر الجاحدين بآيات الله ونعمه، فيكون ذلك إضافة لما سبق وتأكيداً لما سبق تقريره من سوء عاقبة الجحود وفظاعة جزاءها.

وقد جاء في تفسير الآيتين السابقتين: أنّ الرجل ينادي أباه وأخاه فيقول: أفِضْ علي بعض الماء فقد احترقت فأغثني، فيكون جواب المنادى: بأنَّ الله حرم الماء على أهل النار ممن اتخذوا شريعة الله وأحكامه لعباً ولهواً وجحدوا بآيات الله وأنكروها فكان هذا جزاؤهم.[1]

- **معالجة الجحود ببيان فضل شكر الله تعالى وحثّ الإنسان عليه.**

الناظر في كتاب الله تعالى يجد أن معالجته لصفة الجحود عند الإنسان لم تقف عند حدّ بيان سوء عاقبته إنما أضاف إلى ذلك الحثّ على الشكرِ المناقضِ للجحودِ؛ فإذا تعود الإنسان على شكر خالقه وحمده على نعمه الظاهرة والباطنة كُبِتت عنده صفة الجحود وخَفَتَ صوتها بمقدار صعود الشكر والحمد في خلق الإنسان وتعوده عليه، وفيما يأتي سأنقل بعض المواضع التي حضّ الله عباده فيها على الشكر والحمد على نعمه وأن ذلك سببٌ في زيادة تلك النعم ودوامها:

قوله تعالى: قوله تعالى: ﴿ فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ البقرة: (152).

الآية الكريمة تتضمن الحض على الشكر لله تعالى وذلك باستخدام صيغة الأمر "واشكروا" الدالة على الوجوب، ثم أعقب هذا الحضَّ بالنهي عن الكفر بجحود إحسان الله وإنعامه على عباده بأن هداهم إلى صراطه المستقيم[2]، فالآية جمعت النقيضين الشكر والجحود؛ وذلك بالأمر بالأول والنهي عن الثاني في إشارة إلى أنهما لا يجتمعان، فإن وجد الشكر انتفى الجحود والعكس صحيح.

---

1 الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، 470/12-474. ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، 423/3.

2 الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، 211/3. السمرقندي، **بحر العلوم**، 104/1.

قوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ الأنفال: (26).

بينت الآية الكريمة حال الإنسان من ضعفٍ وفقرٍ إلى نصر الله وتأييده ثم ختمت الآية بإشارة إلى أن نصر الله وإنعامه على الإنسان لا بد أن يقابله شكر للمنعم، فقوله تعالى: "لعلكم" فيه إشارة إلى أنه إن لم يتحقق الشكر، فقد لا يدوم ذلك النصر والأمان الذي وهبه إياه الله تعالى.

قوله تعالى: قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ النحل: (78).

الآية الكريمة من سورة النحل تذكير للإنسان بجهله في بداية حياته فكانت نعم الله عليه بمنحه ما يمكنه من التعلّم وتسخير باقي المخلوقات لنفسه، وكما في الآية السابقة خُتمت الآية بالإشارة إلى وجوب الشكر وعدم الجحود.

ويأتي تكرار دعوة الإنسان إلى الشكر بعد التذكير بنعم الله المختلفة، وفي مواضع متعددة من القرآن الكريم، من أجل التأكيد على أهمية الشكر كصفة تضمن للإنسان دوام النعم الإلهية، كما يدل مفهومها المخالف إلى أنّ الإنسان إذا ما جحد هذه النعم فسيكون مصيرها الزوال والنقص.[1]

1 انظر: المرجع السابق.

الفصل الثاني: صفات الظلم والطغيان والكفر في الإنسان، وسبل علاجها

المبحث الأول: صفة الظلم في الإنسان، وسبل علاجها

المبحث الثاني: صفة الطغيان في الإنسان، وسبل علاجها

المبحث الثالث: صفة الكفر في الإنسان، وسبل علاجها

المبحث الأول: صفة الظلم في الإنسان، وسبل علاجها

جاء في القرآن الكريم: ﴿ وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾، إبراهيم: (34).

في هذه الآية الكريمة قرن الله تعالى لفظ الإنسان بصفة الظلم؛ لذا سنبين فيما يأتي المعاني التي حملتها صفة الظلم الواردة في القرآن الكريم كصفة للإنسان، مع بيان سبل العلاج من هذه الصفة المذمومة، وذلك في المطالب الآتية:

المطلب الأول: الظُّلْم فى اللغة والاصطلاح، واقترانها بالإنسان في القرآن الكريم.

أولاً: الظلم في اللغة والاصطلاح.

الظُّلم (بالضم) اسم من ظَلَمَه ظُلماً، من باب ضرب، ومظلمة (فتح الميم وكسر اللام) اسم لما تطلبه عند الظالم، وظلّمته بالتشديد نسبته إلى الظلم وأصل الظلم هو الجور ومجاوزة الحد، أو الميل عن الحق، وكذلك يراد بالظلم وضع الشيء في غير موضعه[1].

الظلم في الاصطلاح: عرفه الجرجاني بقوله: (هو عبارة عن التعدى عن الحق إلى الباطل، وهو الجور، أو هو التصرف فى ملك الغير ومجاوزة الحد فيه).[2]

ووافقه في هذا التعريف زكريا بن محمد الأنصاري في أنّ الظلم هو التعدي عن الحق إلى الباطل[3].

أما ابن حجر العسقلاني، فقد عرّف الظلم بقوله: (الظلم وضع الشيء في غير موضعه الشرعي)[4]

---

1 الفيروز أبادي، **القاموس المحيط**، ص1134. الفيومي، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، 386/2. ابن منظور، **لسان العرب**، 373/12.

2 الجرجاني، التعريفات، ص144..

3 زكريا الأنصاري، **الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة**، تحقيق: مازن المبارك، (بيروت: دار الفكر المعاصر، ط1، 1411)، ص73.

4 ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار المعرفة، 1379هـ)، 265/12.

ويمكن إعطاء ملاحظتين على تعريفات الظلم الاصطلاحية كما يلي:

1- اقتراب المعنى الاصطلاحي من المعنى اللغوي للظلم، فقد صيغت التعريفات الاصطلاحية في ضوء الحقيقة اللغوية ولم تخرج عن عمومها.

2- قيّد ابن حجر التعريف اللغوي بكلمة الشرعي، وبذلك جعل الشرع هو مقياس الظلم والعدل في جميع الأمور.

ثانياً: اقتران صفة الظلم بالإنسان في القرآن الكريم

- الآيات القرآنية المعبّرة عن صفة الظلم عند الإنسان: ورد في القرآن الكريم الكثير من الآيات التي تشير إلى الظلم، وتحذر منه، وتبين سوء عاقبة من يتصف به، وفيما يأتي ذكر بعضها:

- ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٌ﴾ لقمان: (13).
- ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا﴾ النساء: (168).
- ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ﴾ الشورى: (42).
- ﴿وَمَن قُتِلَ مَظۡلُوماً فَقَدۡ جَعَلۡنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلۡطَٰنٗاۖ﴾ الإسراء: (33).
- ﴿فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞۖ﴾ فاطر: (32).
- ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ﴾ الأنفال: (1).
- ﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ﴾ البقرة: (231).

- **أنواع الظلم الواردة في الآيات السابقة:**

من خلال النظر في الآيات السابقة وغيرها من الآيات المتعلقة بالظلم يمكن القول بأنّ جميع المعاصي والسيئات والذنوب تعتبر ظُلماً، سواءٌ صغُرت أو كبُرت، قليلةً كانت أو كثيرة، فكلها أنواع وصور للظلم،

مع اليقين بأنَّ بعض أنواع الظلم أشنع وأعظم من بعضها الآخر، يقول ابن تيمية: (الحسنات كلها عدلٌ والسيئات كلها ظلم).[1]

ولذلك فإنّ صور الظلم كثيرة في المجتمع، فأكثر الناس إما ظالم أو مظلوم، وإن لم يصل الظلم إلى درجة الظلم الشنيع والعظيم في كثير من الأحوال.

ولكن باستقراء أنواع الظلم كما ذكر بعض العلماء يمكن حصرها في ثلاثة أنواع هي:

- ظلمٌ في حق الله سبحانه تعالى، وأعظمه الكفر والشرك والنفاق، ومما يدلّ عليه قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٌ﴾ لقمان: (13). وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا﴾ النساء: (168).
- ظلمٌ بين العباد أنفسهم، وذلك بتعدي بعضهم على بعض، وأكلهم حقوق بعضهم البعض، ومما يدلُّ على هذا النوع قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾ الشورى: (42). وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظۡلُوماً فَقَدۡ جَعَلۡنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلۡطَٰناً﴾ الإسراء: (33).
- ظلم الإنسان لنفسه، بارتكابه المعاصي والمحرّمات[2]، ومما يدّل على هذا قوله تعالى: ﴿فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ﴾ فاطر: (32). وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥ﴾ الأنفال: (1).

---

1 ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، (المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1416-1995)، 79/20.

2 الراغب الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، 538.

ولو نظرنا إلى الأنواع الثلاثة للظلم فهي لا تخرج في الحقيقة عن ظلم الإنسان لنفسه ولذاته، وذلك لأنّ عواقب هذا الظلم وأوزاره عائدة عليه في نهاية المطاف سواءً أكان ذلك في هذه الدنيا العاجلة، أم في اليوم الآخر.

المطلب الثاني: أسباب الظلم، وآثاره.

الفرع الأول:أسباب الظلم. أشار القرآن الكريم إلى الأسباب والدوافع التي تجعل الإنسان يمارس الظلم بكافة أنواعه، ومعظم الأسباب تعود إلى أمراض القلب الناشئة عن قلة الإيمان والجهل بالدين، وتعود إلى التعلق بالدنيا وشهواتها، والبعد عن ذكر الله وعدم التفكر بالآخرة ونذكر هنا أهم أسباب الظلم، وهي أسباب مستخلصة من الآيات القرآنية كما سيظهر معنا خلال الفقرات التالية:

أولاً: اتباع الهوى: من خلال تتبع الآيات القرآنية يتبيّن معنا أنّ اتباع الهوى من أهم الأسباب التي تدفع بالإنسان إلى الوقوع في براثن الظلم والطغيان، لا سيما إذا أطلق الإنسان العنان لنفسه من غير احتكام إلى شريعة إلهية أو قانون من قوانين البشر.

وقد أظهر القرآن أنَّ اتباع الهوى بغير علم سبب من أسباب حدوث الظلم من الإنسان، ومن الآيات القرآنية الدالة على هذا الأمر قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٖۖ فَمَن يَهۡدِي مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ الروم: (29).

والأهواء جمع لكلمة هوى، وهو الحب والتعلق الشديد بحصول المطلوب ولو تبع ذلك ضرر على صاحبه.

ونلاحظ أنّ الآية قيدت اتباع الهوى بأنه بغير علم، وهذا تشنيع لهذا الاتباع، فهو اتباع شهوة مع جهالة، فالجاهل يهيم على وجهه بلا شرع ولا دليل كالبهائم.[1]

وعليه فإن انقياد الإنسان لهوى نفسه بلا ضابط أو وازع سبب في الوقوع في الظلم، وتحمّل عواقبه، ولا سبيل للنجاة من ذلك إلا بجعل هوى النفس تبعاً لأوامر الله ونواهيه.

ثانياً: الاستكبار: فقد تحدث القرآن الكريم عن الاستكبار، كونه سبباً من أسباب الظلم، والاستمرار فيه، ومن المعلوم أن أول من استكبر في الأرض هو ابليس لعنه الله، فقد استكبر عن عبادة الله وتجبّر، وقال تعالى في حقه: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ البقرة: (34). فابليس ظلم عندما رفض السجود لله تعالى، وقد كان رفضه بسبب الاستكبار كما وضحت الآية.

والاستكبار كذلك من الأسباب التي حملت العديد من ملوك الأمم الماضية على الظلم، حيث تجبرت وطغت بقوتها وسلطانها ومالها، وقد ذكر القرآن الكريم قصص أمثال هؤلاء كعاد وفرعون.

ثالثاً: الحسد: ومن أسباب الوقوع في الظلم الحسد، وخير مثال على ذلك ما ورد في القرآن الكريم من قصة قابيل وهابيل، وقد قتل قابيل أخاه هابيل ظلماً وحسداً؛ وذلك لأنَّ الله قبل قربان أخيه ولم يقبل قربانه، ويقول الله تعالى في ذلك: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْأَخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ المائدة: (27).

وبذلك فإن اتِّباعَ الهوى والجهل والاستكبار والعلو في الأرض والحسد والأحقاد وعدم خشية الله هي من أهم الأسباب المؤدية إلى الظلم، وينتج عن هذا الظلم آثار عديدة نذكرها في المطلب القادم.

---

1 محمد الطاهر بن عاشور، **التحرير والتنوير**، 88/21.

الفرع الثاني: آثار الظلم.

ينتج عن وقوع الظلم من الإنسان آثار عديدة، ومصائب كبيرة يواجهها الإنسان الظالم، ونذكر هنا بعضها كما يلي:

- عدم الفلاح فى الدنيا والآخرة، فلا فلاح ولا نجاح للظالم ولا توفيق له، ويبيّن الله تعالى ذلك بقوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾، الأنعام: (21).
- حرمان الهداية، فقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ المائدة: (51).
- حرمان متع الدنيا ، فإن نعمة صاحب الجنتين قد ضاعت بسبب ظلمه، وقال الله تعالى في ذلك: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدا، وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَة وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرا مِّنْهَا مُنقَلَبا﴾ الكهف: (35-36).
- الظلم سبب لإهلاك الأمم، فكلما كثر الفساد فى الأرض نزل الهلاك والعقاب الأليم من المولى عزّ وجل الذي قال: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَة كَانَتْ ظَالِمَة وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ﴾ الأنبياء: (11).
- الظلم يصيب صاحبه الحسرة والندامة يوم الآخرة، وقد قال تعالى واصفاً حال الإنسان الظالم يوم القيامة: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْس ظَلَمَتْ مَا فِي ٱلْأَرْضِ لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ يونس: (54).
- ومن آثار الظلم على الفرد: يصيبه بحالة من الغضب الدائم، الأمر الذي يؤدي إلى أمراض كضغط الدم والاكتئاب والقلق المزمن.

- ومن آثار الظلم على المجتمع: زيادة مشاعر الريبة والشك بين أفراد المجمتع؛ الأمر الذي يؤدي إلى تفكك المجمتع، ورفض أفراد المجتمع بعضهم لبعض.

المطلب الثالث: سبل علاج صفة الظلم في الإنسان

الناظر في القرآن الكريم يجده يركز على الظلم كصفة وسلوك باختلاف أشكاله؛ فقد يكون الظلم من الإنسان تجاه نفسه بالشرك والكفر بآيات الله، فيجعل نفسه من أهل النار، كما قد يكون الظلم من الإنسان تجاه نفسه من ناحية أخرى دنيوية بأن يوردها المهالك، وقد يكون من الإنسان تجاه أخيه الإنسان بأن يتعدى عليه ويبخسه حقه، ومع تعدد أنواع الظلم المذكورة في القرآن الكريم نرى ورود فعل "ظلم" بمشتقاته المختلفة في (289) موضعاً من القرآن موزعةً في أكثر من نصف سور الوحي الإلهي.

ومع الذكر المتكرر لصفة الظلم المذمومة جاءت المعالجة القرآنية بأساليبها المختفلة لوقاية الإنسان من الظلم وإبعاده عنها؛ فكانت البداية باعتبار الظلم صفةً منكرةً من خلال تحذير الإنسان من عاقبته، ثم انتقل إلى مرحلة حضّ الإنسان على التوبة من الظلم والرجوع مما بدر منه من ظلمٍ، إلى جانب ذلك ضرب أمثلة وقصصاً عن الظالمين ومصيرهم الوخيم ليكونوا عبرة للإنسان في التنزه عن الظلم، وفي نهاية المطاف جاء إرشاد الإنسان إلى خُلق العدل المناقض للظلم كعلاج له، وفيما يأتي سنسلط الضوء على هذه الأساليب القرآنية في معالجة الظلم بشيء من التفصيل مع التمثيل لها ببعض المواضع من الذكر الحكيم:

أولاً: إنكار صفة الظلم وتحذير الإنسان من عاقبته.

علاج أي صفة مذمومة عند الإنسان يكون بداية بإنكار هذه الصفة وإدخالها في إطار الصفات المذمومة التي يجب على الإنسان التنزه عنها وإلا سيكون عرضةً لعذاب الله وغضبه، ونجد ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾ الأنفال: (25).

ففي الآية الكريمة تحذير للناس من عذابٍ إن نزل بهم بسبب ظلمهم، مع عدم الاقتصار على من ظلم منهم فحسب، بل يتعداهم ليعمهم جميعاً دون تفريق بين من ظلم ومن لم يظلم[1]، وفي هذا تنبيه إلى ما في الظلم من إثم كبير يجعله سبباً لعموم البلاء والعقوبة.

وفي موضع آخر نجد القرآن الكريم يؤكد على إنكاره لصفة الظلم ولكن هذه المرة عن طريق مفهوم المخالفة، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾ هود: (117).

فبعد أن جاء إنكار صفة الظلم صريحاً في الآية السابقة جاء تأكيد الإنكار هنا بأسلوب غير مباشر، فقد جاء في تفسير الآية: يخاطب الخالق جلّ وعلا سيدنا محمد صلى الله وعليه وسلم بأنه لا يهلك أهل القرى التي قصصنا عليك أنباءهم ظلما وأهلها مؤمنون ومصلحون في أعمالهم، وإنما كان هلاكهم بسبب ما بدر منهم من كفر وعدم طاعة لله ولرسله[2]، فكان ذلك إشارة إلى أن الظلم بالكفر ومعصية الخالق يجعل الإنسان مستحقاً لعقوبة الله وغضبه.

ثانياً: التوبة من الظلم والرجوع عنه.

تعتبر التوبة مفتاحاً للعلاج من صفة الظلم؛ فالتوبة من أي إثم هي الخطوة الأولى للإقلاع عنه، لذا فتح الباري عزّ وجلّ باب التوبة لكل ظالم ليبادر إلى الاستغفار وطلب العفو من الله، ونجد ذلك في قوله تعالى: ﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ المائدة: (39).

فقد جاء في سبب نزول هذه الآية أنها نزلت في المرآة المخزومية التي سرقت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنما عبرت الآية الكريمة بلفظ "الظلم" لبيان أن التوبة هي علاج لكل أنواع الظلم، وتدخل السرقة في هذا المعنى من ناحية أن السارق يتعدى ويظلم من يسرق منه بأخذه ماله.[3]

---

1 الرازي، **مفاتيح الغيب**، 473/15. ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، 37/4.

2 الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، 530/15. الرازي، **مفاتيح الغيب**، 152/13.

3 ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، 100/3. البيضاوي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، 126/2.

ولم يكتف القرآن الكريم ببيان أن التوبة هي علاج للظلم بل رغب في التوبة، وجعل المغفرة والعفو من الباري عز وجل بانتظار كل تائب ومستغفر، ونجد ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ النساء: (64).

في الآية الكريمة إشارة إلى ظلم الإنسان لنفسه من حيث أنهم صدوا عن الاحتكام لشرع الله، واحتكموا إلى الطاغوت، وبالرغم من هذا الظلم العظيم نجد اخبار الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم بأنه إن جاءوك تائبين سائلين الله الصفح والمغفرة لوجدوا الله واسع المغفرة متجاوزاً ما بدر منهم من ظلم. [1]

كما نجد القرآن الكريم يؤكد على علاج الظلم بالتوبة من خلال قصصه، ففي قصة سيدنا يونس عليه السلام حين خالف أمر ربّه ولم يصبر على دعوة قومه، فجاء ابتلاء الله تعالى له بالضيق والحبس في بطن الحوت، وكان التصوير القرآني لهذا المشهد المهيب بقوله تعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ* فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُۡجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ الأنبياء: (87-88).

فحينما كان ابتلاء الله تعالى لسيدنا يونس من أجل تنبيهه لظلمه نفسَه بمخالفة خالقه، جاءت توبته ورجوعه عن ظلمه سريعة، فكان جزاء ذلك الإجابة من الله بالفرج عنه وإنقاذه من بطن الحوت، وكانت خاتمة الآية بأنَّ تلك الاستجابة بقبول التوبة ليس خاصاً بالأنبياء إنما تكون لكل مستغيث وتائب. [2]

ثالثاً: معالجة الظلم بالاعتبار من مصير الظالمين.

---

1 الطبري، **جامع بالبيان عن تاويل آي القرآن**، 197/7. السمرقندي، **بحر العلوم**، 315/1.

2 البغوي، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، 352/5. الرازي، **مفاتيح الغيب**، 182/22.

من المعلوم أن القرآن الكريم ضرب الأمثال وذكر قصص الأنبياء والأمم السابقة كعبر ودروس لسيتفيد منها الإنسان في معالجة صفاته المذمومة، ومنها صفة الظلم؛ فنجد القرآن الكريم يصور سوء ما حل بالأمم السابقة ممن ظلموا أنفسهم بكفرهم بآيات الله تعالى وتكذيبهم الأنبياء، مع الإشارة إلى وجوب الاعتبار بذلك وعدم الوقوع في مهالك الظلم والظالمين، وفيما يأتي سأذكر بعض من الآيات التي تضمنت ذلك:

- قوله تعالى: ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوٓاْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ النمل: (52).

جاءت هذه الآية في معرض قصة ثمود مع سيدنا صالح عليه السلام، وكيف أنهم طغوا وكذبوا رسول ربهم وعقروا الناقة، فجاءهم عذاب ربهم بأن أهلهكم وجعل بيوتهم خالية منهم ليكونوا بذلك عبرة وعظة لمن سيأتي من بعدهم[1] فيعلم أن عاقبة الظلم الهلاك.

- قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَظَلَمُواْ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ الأعراف: (103).

الهاء والميم في قوله تعالى "بعدهم" عائدة إلى الأنبياء الذين ذكرهم الله في أول سورة الأعراف، فهي كناية عنهم، فيخبرنا الله تعالى في هذه الآية عن تتابع الأنبياء إلى أن كان إرسال سيدنا موسى إلى فرعون وقومه، فكذبوه وكفروا بما جاء به من حجج وبراهين، فكان عقاب الله لهم بالغرق في البحر[2]، وختمت الآية بدعوة الإنسان بأن ينظر في ما حل بالظالمين من الأمم السابقة وبأن يعتبر بهم فينتهي عن الظلم ويتنزه منه.

- قوله تعالى: ﴿ بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ يونس: (39).

---

1 الطبري، **جامع البيان في تأويل آي القرآن**، 480/19. الرازي، **مفاتيح الغيب**، 559/24.

2 الطبري، **جامع البيان في تأويل آي القرآن**، 12/12، القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، 255/7.

الآية الكريمة تبين الحقيقة من وراء تكذيب المشركين لما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم بأنهم كانوا يجهلون الأمور الغيبية التي نزل بها الوحي من حشر ونشر وحساب، فكان مبلغ علمهم هو عالم المحسوسات، فكانوا يقيسون الأمور الغيبية على ما ألفوه من المحسوسات ولا يجتهدون في طلب الحقيقة والوصول إليها، فيكون مؤدى ذلك التكذيب كله الجهل[1] الموجب لعقاب الله وعذابه، وفي ختام الآية تظهر الغاية من سرد اخبار الأمم السابقة ألا وهي أخذ العبرة مما حل بهم من عذاب وهلاك.

- قوله تعالى: ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ العنكوبت: (40).

فالآية إخبار لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ومن خلفه أمته بأن الله تعلى أخذ كل الأمم التي ذكرها له بالعذاب؛ فبدأ بذكر قوم لوط وعذابهم بأن أمطر عليهم الحجارة، ثم الأمة التي تم إهلاكهم بالصيحة، وقد اختلف أهل التأويل فيهم فمنهم من قال هم ثمود قوم صالح عليه السلام ومنهم من قال بأنهم قوم شعيب عليه السلام، وقد رجح الطبري بأن كلا الأمتين قد أخذهما الله بالصيحة، ثم ذكر خسفه لقارون، وختم بمن أهلكهم بالغرق من قوم نوح وكذلك فرعون وقومه[2]، وأعقب ذكر أصناف العذاب بأنها ما كانت لتنزل بأصحابها لولا ظلمهم لأنفسهم بشركهم بالله وتكذيبهم الرسل.

رابعاً: الإرشاد إلى العدل، والعفو عند المقدرة.

بعد أن بيّن القرآن الكريم أن الظلم صفة مذمومة، وأنكر على الإنسان اتّصافه بها وأوجب عليه التوبة إلى الله مما بدر من ظلم، ناهيك عن الأمثلة التي ضربها في قصص الأنبياء والأمم السابقة عن سوء مصير الظالمين

1 الرازي، **مفاتيح الغيب**، 255/17. ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، 270/4.

2 الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، 35/20-36، **الرازي، مفاتيح الغيب**، 56/25.

وعاقبتهم ولزوم الاعتبار منها، نجد أنّ القرآن الكريم لم يكتفي بذلك كله، بل أضاف لما سبق مسلك المعالجة بالإرشاد إلى العدل الذي هو ضد الظلم ومناقض له، وفيما يأتي بعض المواضع التي أشار فيها القرآن الكريم إلى ذلك المعنى:

- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ المائدة: (8).

جاء في سبب نزول الآية أنها نزلت في يهود خيبر حين ذهب إليه النبي صلى الله عليه يستعين بهم في دفع دية فأرادوا أن يقتلوه، فجاءت الآية الكريمة بتوجيه الإنسان إلى العدل؛ وذلك بالأمر بالعدل ووجوب اتصاف المتقين به، وأكد ذلك باستعمال صيغة التفضيل في "أقرب" على وزن "أفعل"[1]

- قوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثْلُهَاۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الشورى: (40).

تضمنت الآية الكريمة إشادةً بالعفو وتشجيعاً عليه، حيث نصت على أن جزاء من يعفو أجرٌ عظيمٌ من الله تعالى دلّ عليه الإبهام فيه[2]، فكانت الآية مشتملة على أمر بالعدل (السيئة تقابلها سيئة) وندب إلى الفضل (العفو والصفح) ونهي عن الظلم (لا يحب الظالمين).[3]

1 ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، 63/2. القرطبي، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، 223/8.

2 السمرقندي، **بحر العلوم**، 246/3. البيضاوي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، 83/5.

3 ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، 211/7. الرازي، **مفاتيح الغيب**، 82/22.

المبحث الثاني: صفة الطغيان في الإنسان

جاء في القرآن الكريم: ﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ﴾، العلق: (6).

في الآية القرآنية السابقة وصف الباري عزّ وجل الإنسان بالطغيان واقترن ذلك بلفظ الإنسان؛ لذا فيما يأتي سنقوم ببيان ماهية صفة الطغيان الواردة في القرآن الكريم كصفة مذمومة الإنسان مع بيان سبل العلاج من هذه الصفة، وذلك في المطالب الآتية:

المطلب الأول: الطغيان في اللغة والاصطلاح، ومعانيها في القرآن الكريم.

أولاً: الطغيان في اللغة والاصطلاح.

في اللغة هو مجاوزة الحد، فيُقال طغى السيل، إذا جرى فيه ماء كثير، وطغى البحر، أي هاجت أمواجه، فكلّ شيء جاوز القدر فقد طغى[1].

أما الطغيان في الاصطلاح: الطغيان يعنى طغى في الكفر وجاوز القدر في الشر، فهي الزيادة على القدر والخروج عن حيز الاعتدال في الكثرة[2].

ومن التعريفين اللغوي والاصطلاحي يتضح لنا أنّ الطغيان هو تجاوزٌ في الحد في المخالفة لأوامر الله تعالى، والتخبط في الشر والإفراط فيه.

ثانياً: طغيان الإنسان في القرآن الكريم.

الفرع الأول: معاني الطغيان في السياق القرآني. استعمل الطغيان في القرآن الكريم في سياقات عديدة وبمعاني عدة برزت في الآيات التالية:

---

1 الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، 1303.

2 الشوكاني، **فتح القدير**، 53/1. ابن الأثير، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي، (بيروت: المكتبة العلمية، 1399هـ-1979م) 128/3.

- الطغيان بمعنى التمادي والضلال: كما في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾ البقرة: (3). وذلك جزاءً لاستهزاءهم بالمؤمنين، فالله زين لهم ما هم فيه من الطغيان فأضلهم، ومدّ لهم ذلك، وأعمى أبصارهم عن الهدى وأغشاها، فلا يبصرون رشداً ولا يهتدون سبيلاً.
- الطغيان بمعنى العصيان والتكبر: وذلك كما في قوله تعالى: ﴿ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ طه: (24). أي أنّه عصا وعلا وتكبر.
- الطغيان بمعنى الارتفاع: وذلك كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلۡمَآءُ حَمَلۡنَٰكُمۡ فِي ٱلۡجَارِيَةِ﴾ الحاقة: (11). أي عتى، وارتفع وخرج بلا وزن ولا كيل.
- الطغيان بمعنى الظلم والإسراف فيه: وذلك في قوله تعالى: ﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَلَا تَطۡغَوۡاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبِي﴾ طه: (81). أي طغيانهم في النعمة بأن يعتدوا حدود الله فيها، ويكفروها ويشتغلوا بها عن شكرها، وينفقونها في المعاصي.

وكذلك في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ﴾ القلم: (31). أي متجاوزين الحد في العصيان.[1]

الفرع الثاني: أسباب الطغيان.

عند النظر إلى تناوُل القرآن لأحوال الطغاة، وممارستهم للطغيان في الماضي والحاضر، يجد المرء أنّ لهذا الداء أسباباً عديدة كأي مرض آخر، وهذا ما أشارت إليه الدراسات والبحوث المعاصرة، والتي أجريت على نفسيات العديد من الطغاة، والأسباب التي تجعل من الطاغية وحشاً بشرياً ضارياً، وقد أشار القرآن الكريم

1 الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، 322/1. ابن أبي زمنين، **تفسير القرآن العزيز**، 389/2. أحمد بن إبراهيم الثعلبي، **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، (جدة: دار التفسير، ط1، ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م)، 17،523.

إلى تلك الأسباب، وبالتدقيق فيها نستخلص أنها تنقسم إلى قسمين: (داخلية وخارجية)، والداخلية: هي تلك الإشكالات النفسية التي غزت باطن الطاغية، وأخذت بمجامع قلبه حتى أسودَّ ودبَّت فيه السموم. وأما الخارجية فهي تلك الظروف والأجواء التي هيأت له المناخ المناسب لممارسة طغيانه، وساعدت في طول أمده وسطوته.

ويرجع إلى هذين النوعين معظم ممارسات الطغاة، وهي في الوقت ذاته القاسم المشترك لكل طاغية على الأرض، ونذكر هنا أسباب الطغيان الداخلية والخارجية كما يلي:

أولاً: أسباب الطغيان الداخلية أو (الباطنية):

أ. **الكبر والعلو**: وهذا السبب يكاد أن يكون الجامع الرئيس بين الطغاة، ويصنف على رأس أسباب الطغيان، وأبرز الشخصيات التي تمثل هذا السبب شخصية الطاغية فرعون، الذي اجتمعت فيه كلُّ أسباب الطغيان الداخلية والخارجية، ومارسها كلها بحق قومه، قال الله تعالى: عن فرعون: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ﴾ القصص: (4). وقال أيضاً: ﴿وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ القصص: (39).

ب. **العجب والغرور**: وهذه آفة الطغاة في تجبُّرهم وعدم قَبُولهم الحق، ولذلك قال الله عز وجل ذاكراً حال قوم عاد لما طغوا في حق ربهم، ثم على نبيهم: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ فصلت: (15).

ت. **الحقد والحسد**: وهو الداء الذي يحرق قلب صاحبه إذا ما رأى لله على غيره نعمة، فيدفعه ذلك إلى ممارسة الطغيان، وهذا كان سبب طغيان اليهود ورفضهم رسالة النبي صلى الله عليه وسلم مع أنّه مكتوب عندهم في التوراة؛ وقد أنكر الله عليهم حسدهم لرسوله صلى الله عليه وسلم على

الرسالة وحسدهم لأصحابه على الإيمان. قال الله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ النساء: (45).

ثانياً: أسباب الطغيان الخارجية:

أ. الملك والسلطة:

وهي من أعظم الأسباب الباعثة على الطغيان، وبالأخص طغاة الحكم والسياسة؛ ولذلك ذكر الله في القرآن الملك النمرود الذي طغى وتجبَّر حتى وصل به الأمر إلى ادَّعاء الربوبية، وكان الباعث له الملك والسلطة. قال الله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾ البقرة: (258).

ب. المال والولد:

الولد قد يؤدي بوالديه إلى الطغيان إن كان كافراً؛ وذلك بدافع حبهما له. يقول تعالى: ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَاناً وَكُفْراً﴾ الكهف: (80).

ت. غفلة الناس عن حقوقهم وقبولهم الظلم:

إنَّ الشعوب إذا رضيت بالظلم والهوان وغلب عليها الخوف؛ أعطت الطاغية فرصة على الاستمرار في الطغيان والبغي. ونلاحظ كيف بلغ الخوف بقوم موسى عليه السلام حيث أعطاهم الله الملْك، ونجاهم من فرعون، وكتب الله لهم الأرض المقدسة أنّها لهم، وطلب منهم مواجهة الجبارين فرفضوا؛ فكيف سينتصرون إذن: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ، قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا

دَاخِلُونَ﴾ المائدة: (21 – 22). ولا شك أن غفلتهم وسكوتهم عن أعمال فرعون وقبولهم استبداده هو ما جرَّأه عليهم من قبل ولكنهم لم يتعظوا[1].

المطلب الثاني: سبل العلاج من صفة الطغيان

لما كان الطغيان يحمل معنى الشرّ –لما فيه من تجاوز الحد في مخالفة أمر الله والكفر بأياته– جاءت معالجته في القرآن الكريم انطلاقاً من ذلك المعنى للطغيان وما فيه من معاني مختلفة، منها ما يدل على المخالفات الشرعية كالتمادي في الضلال والعصيان والتكبر والظلم والإسراف وغيرها من المعاني التي جسد القرآن الكريم الطغيان فيها، وبناء عليها ستكون المعالجة كما سنبينها فيما يأتي مع ذكر أمثلة من الذكر الحكيم عليها:

أولاً: النهي عن صفة الطغيان واعتبارها سبباً لغضب الله.

بدأ القرآن الكريم معالجة صفة الطغيان أولاً بالنهي عنها كصفة مذمومة مع التحذير منها كونها تكون سبباً لغضب الله على الإنسان، نجد ذلك في قوله تعالى: ﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ﴾ طه: (81).

فلما أنجى الله تعالى بني إسرائيل من عدوهم وأغرق فرعون وجنوده، وأنزل عليهم نعمه ورزقهم من الطيبات جاء نهي الله لهم عن الطغيان وتحذيرهم من أن يتعرضوا لغضب الله بسببه، ونقل الإمام الرازي وجوهاً في تفسير "ولا تطغوا": أولها أنها تعني بأن لا يظلم بعضكم بعضاً، وثانيها: النهي عن ظلم النفس وذلك بتجاوز حد الإباحة في الطيبات، وثالثها: الكفر بالنعمة؛ فتكون النعمة سبباً لمعصية الله تعالى.[2]

---

1 مقال بعنوان الطغاة والطغيان في القرآن الكريم، على موقع مجلة البيان على الرابط: https://www.albayan.co.uk/MGZarticle2.aspx?ID=1629

2 الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، 345/18.

ومن الأمثلة أيضاً على نهي القرآن الكريم عن صفة الطغيان قوله تعالى: ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ هود: (112).

فالآية الكريمة بدأت بأمر جامع بقوله تعالى: "فاستقم" فتشمل الاستقامة في العقيدة في الأعمال[1]، فناسب ذلك النهي عن الطغيان فهو نهي جامع أيضاً؛ لما يتضمنه من معنى عام للمعصية سواء كانت بالشرك العقدي أو بمخالفة شرع الله، فمعنى الطغيان يتضمن كل ذلك.

ثانياً: ذِكر العاقبة الوخيمة للمتصفين بالطغيان.بعد أن نهى القرآن الكريم عن صفة الطغيان وحذر منها ومما يعقبها من غضب للخالق جلّ وعلاّ جاءت الخطوة الثانية من العلاج وذلك بذكر وبيان حال من لم ينته ويتعظ، وأصرّ على طغيانه، فنجد في الوحي الإلهي الوعيد بالعاقبة الوخيمة للطغاة بغية الاتعاظ بذلك الوعيد والرجوع عما هم فيه من كفر ومخالفة لشرع الله، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ * ٱلَّذِينَ طَغَوْاْ فِى ٱلْبِلَٰدِ * فَأَكْثَرُواْ فِيهَا ٱلْفَسَادَ * فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴾ الفجر: (10-13).

فقد نسبت الآية الكريمة صفة الطغيان للجمع في إشارة إلى قوم عاد وثمود وفرعون الذين أفسدوا في الأرض ثم جاء التصوير الإلهي لعاقبتهم وعذابهم بالسوط وهو العذاب الشديد المهلك، وقيل: أن السوط هو لون من العذاب؛ فعذب الله تعالى فروعون وقومه بلون منه، وعذب قوم ثمود بلون منه، وعذب قوم عاد بلون منه،[2] وذلك للمبالغة في تصوير سوء العاقبة التي تنتظر كل الطغاة.

ومن المواضع الأخرى في القرآن الكريم التي تضمنت بيان سوء عاقبة الطغاة قوله تعالى: ﴿ هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ * جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾ ص : (55-56).

---

1 الرازي، **مفاتيح الغيب**، 406/18.

2 الماتريدي، **تأويلات أهل السنة**، 519/10. السمرقندي، **بحر العلوم**، 579/3.

فبعد أن بين الله تعالى حسن مقام المتقين انتقل لبيان سوء حال الطاغين من سوء منقلب ومرجع يوم الحساب؛ وقد اختلف أهل التفسير في المراد بالطاغين فحمله بعضهم على الكفار، وحمله بعضهم على أصحاب الكبائر من الذنوب[1].

ثالثاً: جدال الطّغاة وحوارهم بالقول الحسن.

بعد أن نهى القرآن الكريم عن الطغيان وبيَّنَ سوء عاقبتهم، انتقل إلى علاج خاص بالمتكبرين من الطغاة؛ ألا وهو خطابهم وحوارهم باللين والقول الحسن، فنجد ذلك في قصة سيدنا موسى مع فرعون، حيث أمرهما الله تعالى: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ * فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ طه: (43-44). وقد ذكر المفسرون وجهين في سبب أمر الله تعالى لنبيه موسى عليه السلام بأن يخاطب فرعون باللين مع تقدم كفره وجحوده، الأول: أن سيدنا موسى كان قد تربى في بيت فروعون فجاء الأمر باللين معه مراعاة لذلك وذلك من باب تعظيم حق الوالدين، والثاني: أنّ من عادة الجبابرة من الحكام إن كانت مخاطبتهم وموعظتهم فيها غلظة أن يزداوا عتواً وتكبراً، وذلك منافٍ لمقصود الدعوة إلى الله ومحاولة هداية الناس للحق[2]، لذا جاء الأمر باللين والحوار بالقول الحسن كعلاج للطغيان.

رابعاً: مواجهة الطغاة والوقوف ضدهم.

في حالات الطغيان التي لم تنفع معها ما تقدم من سبل العلاج ينتقل القرآن الكريم في تقديم العلاج الأخير ألا وهو المواجهة ومنعهم مما هم فيه من طغيان، ونجد ذلك في القرآن الكريم في مواضع عدة حيث يبين الله تعالى أنه عند مواجهة الظغاة ومحاربتهم تكون الغلبة للمؤمين المتوكلين على الله، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ

1 الرازي، **مفاتيح الغيب**، 403/26. ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، 78/7.

2 السمرقندي، **بحر العلوم**، 399/2. الرازي، **مفاتيح الغيب**، 52/22.

رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ المائدة: (23).

جاء في تفسير الآية أن المراد بالرجلين يوشع بن نون وكلاب بن يافنا، وهما من نقباء سيدنا موسى عليه السلام، وقد وصِفا بالخوف من الله تعالى كدليل على إيمانهم، فكان أمر الله لهم بأن يدخلوا على الجبابرة من أعدائهم وأن يباغتوهم، ووعدهم بأنهم متى دخلوا الباب كان نصر الله لهم فلن يبقي من أعدائهم أحداً، فمتى تحقق التوكل الحق منهم كان نصر الله ووعده لهم محققاً[1].

1 الرازي، **مفاتيح الغيب**، 333/11. ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، 76/3.

المبحث الثالث: صفة الكفر في الإنسان.

جاء في القرآن الكريم: ﴿ وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾، إبراهيم: (34).

تضمنت هذه الآية الكريمة وصفاً للإنسان بصفتين مذمومتين مع اقترانهما بلفظ الإنسان، الصفة الأولى "الظلم" وقد سبق وأن درسناها، والثاني هي "الكفر"، والتي ستكون محل الدراسة والبيان في هذا المبحث، وذلك في المطالب الآتية:

المطلب الأول: الكفر في اللغة والاصطلاح، ومعانيه في القرآن الكريم

أولاً: الكفر في اللغة، والاصطلاح.

الكفر ضدّ الإيمان، وجمع الكافِرِ كفار وكفرة، ومن معاني الكفر أيضاً جُحودُ النعمة وإنكارها، والكفر ضدّ الشكر، والكَفرُ –بفتح الكاف– التغطية، ومنه سمي الكافر؛ لأنه يغطي نعم الله عليه، والكَفر يراد بها القرية أيضاً[1].

وعليه فالكفر هو الجحود والإنكار والتغطية.

أما الكفر في الاصطلاح: لقد عرف الإمام القرافي الكفر بقوله: "هو انتهاك خاص لحرمة الربوبية، إما بالجهل بوجوده أو صفاته، أو بفعلٍ كرمي المصحف في القاذورات والسجود للصنم... أو جحد ما عُلم من الدين بالضرورة"[2].

---

1 إسماعيل بن حماد الفارابي، **الصحاح تاج اللغة**، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، (بيروت: دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة، 1987م)، 807/2. الرازي، **مختار الصحاح**، 271. ابن منظور، **لسان العرب**، 144/5.

2 القرافي، أحمد بن إدريس، **الذخيرة**، تحقيق: محمد بو خبزة، (بيروت: دار الغرب ط1، 1994 م) 28/12

ونلاحظ أنّ التعريف هنا بيّن أن الكفر لا يقتصر على النطق باللسان، بل يتعدى إلى فعل الجوارح كما في الأمثلة السابقة

وقد قسم صاحب كتاب التعريفات الفقهية الكفر إلى أربعة أقسام:

القسم الأول: كُفر إنكار: وهو بأن لا يعرف الله أصلاً فيكفر بقلبه ولسانه ولا يعترف بالحقّ ولا يقرّ به.

القسم الثاني: كُفر الجحود: وهو بأن يعرف الله بقلبه ولكن لا يقرّ بلسانه، ولا يدين به ككفر إبليس فهو كافرٌ جاحدٌ.

القسم الثالث: كُفر العنادِ: وهو بأن يعرف الله بقلبه ويقرّ بلسانه، ولكن لا يدين به بغياً وحسداً، ككفر أبي جهل وهرقل وأمثالهما من المشركين.

القسم الرابع: كُفر النفاق: وهو بأن يقرّ بلسانه ولكن لا يعتقد بقلبه ويكفر، كمنافقي يثرب[1].

وهنا نلاحظ اقتراب المعنى الاصطلاحي للكفر من المعنى اللغوي.

ثانياً: صفة الكفر عند الإنسان في القرآن الكريم ومعانيه.

وردت صفة الكفر مرات كثيرة في القرآن الكريم، سواءً كانت بصيغة "كافر" أم بصيغة "كفر"، أم "كفّار"، فقد بلغ مجموعها بحسب بعض الاحصاءات إلى 527 مرة[2].

وقد تنوعت المعاني والدلالات لصفة "الكفر" باختلاف صيغها واشتقاقاتها، وإن كان الغالب في استعمالها أن يراد بها الشرك بالله وإنكار الربوبية والرسالات السماوية، وفيما يأتي سنعرض أهم هذه المعاني والدلالات مع ذكر أمثلة عليها من القرآن الكريم:

المعنى الأول: الشرك بالله وإنكار الرسل والشرائع السماوية.

---

1 البركتي، **التعريفات الفقهية**، 183.

2 أبو الفتوح، **قائمة معجمية بألفاظ القرآن الكريم ودرجات تكرارها**، ص114.

كما ذكرنا سابقاً فإن غالب ما ذكر من صفة الكفر في القرآن الكريم أريد بها الشرك بالله والجحود بوحدانيته وربوبيته وإنكار بعثة الرسل والشرائع، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ البقرة: (39).

جاء في تفسير الآية السابقة: أنَّ الذين جحدوا آيات الله وكذبوا رسله وأنكروا حججه وأدلته التي أقامها على وحدانيته وربوبيته –مما جاءت به رسل وأنبياء الله–، فما جزاء كل ذلك إلا الخلود في النار بدون أمدٍ أو نهاية[1].

وفي موضع آخر من سورة البقرة قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ * خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ البقرة: (161-162). والمفسرون على أن المراد بـ "الذين كفروا" في هذه الآية عموم من أشرك بالله تعالى، وقد جاءت مؤكدة على أن هؤلاء المشركين ملعونين بعد الموت أيضاً بعد أن دلت الآيات السابقة على لعنتهم حال الحياة؛ ليجتمع عليهم اللعن في الحياة والموت[2].

المعنى الثاني: البراءة والتهرب من المسؤولية.

من المعاني التي وردت بها صفة "الكفر" في القرآن الكريم: معنى تبرئة الإنسان نفسه من المسؤولية والتهرب منها، ومن الأمثلة على ذلك: تصوير القرآن لنا حال المشركين يوم الحساب، حيث يتبرأ كل منهم من الآخر، ويهرب من مسؤوليته وما هو فيه من الجحيم، فقد قال تعالى: ﴿وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ العنكوبت: (25). فالآية إخبار من الله تعالى عن حال قوم سيدنا إبراهيم عليه السلام،

1 الطبري، **جامع البيان عن تفسير آي القرآن**، 552/1. السمرقندي، **بحر العلوم**، 46/1.

2 الرازي، **مفاتيح الغيب**، 142/4. الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، 209/1.

فبعد جحودهم وإنكارهم لنبوته عليه السلام انعكس حالهم يوم القيامة، فأصبح يبغض بعضهم بعضاً، ويتبرؤون مما كانوا فيه من فساد، وكلٌّ منهم يلقي باللوم على الآخر، فيقول المعبود للعابد أنت أوقعتني في العذاب حيث عبدتني، ويقول العابد للمعبود أنت أوقعتني في العذاب حيث أضللتني بعبادتك[1].

المعنى الثالث: مخالفة الأحكام الشرعية.

في مقابل الغالب من استعمال القرآن الكريم لصفة "الكفر" بمعنى الشرك وإنكار الربوبية وردت صفة الكفر للدلالة على معصية الخالق ومخالفة أوامره، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ البقرة: (276). ومعلوم أنّ الربا من الكبائر إلا أنّها ليست كفراً بمعنى الشرك المخرج من الملة، فدّل مجيء صفة الكفر بعد النهي عن الربا والاخبار عن محقه على أنّ المراد بالكفر هنا المعصية والأثم، فيكون معنى "والله لا يحب كل كفّار أثيم": أنَّ الله لا يحب كل مُصرٍّ على الكفر بربه باستحلال الكبائر كفر[2].

ومن الأمثلة الأخرى على ذلك قوله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ الروم: (44). يرى البعض أن مقابلة صفة "الكفر" في الآية السابقة للعمل الصالح دليلٌ على المراد بالكفر هنا المعصية ومخالفة الشرع؛ لأنَّه من المعلوم أن الكفر الدال على الشرك والخروج من الملة يقابله الإيمان ولا تقابله المعصية، بيمنا ذهب معظم أهل التأويل بأن المراد بالكفر هنا الشرك بالله[3].

المعنى الرابع: عدم الشكر على النعم.

الكفر بمعنى عدم الشكر على النعم من المعاني التي كَثُرَ ورودها في القرآن الكريم كصفة للإنسان، وفيما يأتي سأذكر بعض الأمثلة على ذلك:

---

1 ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، 271/6. الرازي، **مفاتيح الغيب**، 46/25.

2 الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، 47/5.

3 أول الدين يحيى الأندونسي، **آيات الكفر في القرآن الكريم دراسة موضوعية**، (ماليزيا: جامعة المدنية العالمية، 1434هـ)، 39.

-قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُواْ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ الفرقان: (50). فقد جاء في تفسير الآية السابقة: أنَّ من تقدير الله تعالى وتدبيره أنَّ السحاب تمر على الأرض فتمطر في مكان ولا تمطر في آخر، وهذا من نعم الله على الناس، إلا أن كثيرٌ منهم يقابل هذه النعم بالجحود وعدم الشكر عليها[1].

وكذلك قوله تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ البقرة: (152). جاء الكفر في الآية السابقة بمعنى الجحود وإنكار إحسان الله لعباده بأن هداهم للإسلام الذي شرعه لأنبياءه وصفوة خلقه، ففي الآية تنبيه من الله تعالى لعباده بأن ترك الشكر على النعم كفران[2].

قوله تعالى: ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ الشعراء: (19). الآية من قصص الأنبياء، وهي على لسان قوم سيدنا موسى عليه السلام، فقد جاء وصف فعله من قِبل قومه بأنّه من أفعال الكافرين، بمعنى أنّ ما فعتله من قتل رجل منهم هو إنكارٌ وجحودٌ للمعروف الذي قدمناه لك فقد ربيناك يا موسى في بيوتنا وأنعمنا عليك سنين طولة[3].

المطلب الثاني: سبل العلاج من صفة الكفر

مرّ معنا سابقاً أن القرآن الكريم أطلق صفة الكفر على الإنسان وضمّنها معانٍ مختلفة، أولها: الشرك بالله وإنكار الرسل وشرائعهم، ومنها مخالفة الأحكام الشرعية أو عدم الشكر على النعم، وبناء على ما تقدم من معانٍ لصفة الكفر جاءت معالجة القرآن الكريم، وفيما يأتي سأعرض أهم سبل المعالجة التي تضمنها القرآن الكريم مع ذكر أمثلة عليها من آيات الذِكر الحكيم:

أولاً: دعوة الإنسان إلى التوبة والرجوع عن الكفر.

---

1 الماتريدي، **تفسيرات أهل السنة**، 32/8.

2 الطبري، **جامع البيان عن تفسير آي القرآن**، 696/2. الأصفهاني، **تفسير الراغب الأصفهاني**، 344/1.

3 ابن كثير، **تفسير القرآن الكريم**، 137/6.

جاءت دعوة القرآن الكريم العامة للإنسان بالتوبة والرجوع إلى الله علاجاً لصفة الكفر سواء أكان الكفر بمعنى الشرك أم بمعنى المعصية ومخالفة الشريعة، فالباري عزّ وجلّ فتح باب التوبة من خلال القرآن الكريم لجميع عباده مهما عظم ذنبهم، وفيما يأتي نعرض بعض الآيات القرآنية الدالة على ما سبق:

- قوله تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدۡ مَضَتۡ سُنَّتُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ الأنفال: (38).

الآية الكريمة فتحت باب التوبة للمشركين من خلال توجيه الخطاب لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بأن أخبر المشركين من قومك: إن هم تابوا ورجعوا عما هم عليه من كفر بالله وتكذيب لرسوله فإن الله يغفر لهم ما قد سبق منهم من شرك، أما إن هم عاندوا وعادوا إلى قتالك فليعتبروا بما حل بأصحابهم في معركة بدر من قتل وتشريد[1]، فالآية الكريمة في بدايتها دعت المشركين للتوبة والخضوع للحق، ثم عززت تلك الدعوة بالوعيد والتهديد في حال عدم الاستجابة لدعوة الله لهم بالتوبة، وهذا كله يأتي في إطار معالجة القرآن الكريم لصفة الكفر عند الإنسان.

- قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا* يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا * إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ الفرقان: (68-70).

ذكرت الآية الكريمة ثلاثة من أعظم الذنوب التي قد يقترفها الإنسان والتي تجعله إما في الكفر الأكبر؛ وذلك حين يجعل لله شركاء فيدعوهم معه، وإما يكون في الكفر الأصغر؛ وذلك باقترافه ما عَظُمَ من

---

1 مقاتل بن سليمان الأزدي، **تفسير مقاتل بن سليمان**، تحقيق: عبدالله محمو\ شحاته، (بيروت: دار إحياء التراث، االطبعة الأولى، 1423هـ)، 115/2. الطبري، **جامع البيان في تأويل آي القرآن**، 536/13.

الذنوب كقتل النفس دون وجه حقٍّ أو الزنى، ثم أتبعت ذلك ببيان ما يكون من عذاب مهين يوم القيامة كجزاءٍ لما تقدم من ذنوب، ثم جاءت الآية لتفتح باب الخلاص من تلك العقوبة وذلك بالتوبة والعمل الصالح، حينها لن يقتصر الجزاء على العفو والمغفرة فقط، بل يتعداه إلى إبدال الحسنة بالسيئة في ميزان الأعمال[1]، وما ذلك كله إلا رحمة من الخالق بعباده وإرادة معالجتهم وتخليصهم من الكفر بكل أشكاله.

- قوله تعالى: ﴿ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴾ هود: (52).

جاء في تفسير هذا الآية: أن المراد بالاستغفار في هذا الموضع هو الإيمان بالله، ثم تكون التوبة بعدها مما قد سبق منهم من شركٍ بالله وغيره من الذنوب، فإذا تحقق الشرطان السابقان (الإيمان مع التوبة) كانت مكافأة الله لكم بإرسال السحب المحملة بالغيث لتخرج بلادكم من القحط والجدب اللذين حلا بها، ويزيد من قوتكم بإكثار نسلكم وولدكم، وذلك لما حلّ بقوم سيدنا هود عليه السلام من قحط لثلاث سنوات وكذلك أصاب نساءهم العقم فجاء وعد الله لهم موافقاً لما يفتقرون إليه ليتحقق غناهم وقوتهم2.

ثانياً: تصوير سوء حال الكافرين في الحياة الدنيا.

بعد أن بدأ علاج القرآن الكريم لصفة الكفر بدعوة من اتصف بالكفر إلى التوبة والرجوع إلى جادة الصواب، كانت السبيل الآخر للمعالجة بأن صور لهم سوء ما يكون عليهم حالهم في حال عنادهم واستمرارهم على ما هم عليه من كفر، وفيما يأتي سنعرض بعض المواضع من القرآن الكريم تتضمن تصويراً لما يكون عليه حال الكافر في الحياة الدنيا:

1 الرازي، **مفاتيح الغيب**، 483/24. ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، 124/6.

2 الطبري، **جامع البيان في تأويل آي القرآن**، 358/15. ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، 329/4.

- قوله تعالى: ﴿ سَنُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ بِمَآ أَشۡرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗاۖ وَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۚ وَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ آل عمران : (151).

جاء في سبب نزول الآية أنها نزلت في يوم أحد، حيث وقع الخلاف بين العلماء هل وقوع الرعب الذي نصت عليه الآية يكون في قلوب المشركين عامةً أو هو مخصوص بمشركي أحد فقط دون غيرهم، فذهب الإمام الرازي إلى أن الآية تقتضي وقوع الرعب في قلوب جيمع المشركين؛ فما من أحد يخالف حقيقة الإيمان بالله إلا ويكون في قلبه شيء من الرعب من المسلمين، سواء كان الرعب منهم في ساحات الجهاد أو في ميادين النقاش والمحاجة[1]، فكان تصوير ما يصيب الكافرين من رعب يملأ قلوبهم-بسبب شركهم كما بينته الآية الكريمة- ما هو إلا من باب العلاج لصفة الكفر بتنفير الإنسان من هذه الصفة لما لها من عاقبة وخيمة في الدنيا.

- قوله تعالى: ﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ﴾ طه: (124).

بينت الآية الكريمة مظهراً آخر من مظاهر سوء حال الكافرين والمعرضين عن شرع الله في الحياة الدنيا، حيث جاء التعبير بـ " معيشةً ضنكاً" ليدل على ضيق العيش عموماً؛ فالضنك هو الضيق في الأماكن والمنازل والمعايش، فلا ينعم الكافر بالطمأنينة ولا ينشرح صدره بشيء من النعيم الذي يدل عليه ظاهر حاله بسبب الشرك الذي في قلبه فيكون في قلقٍ وحيرةٍ وشكٍ دائم[2]، فهذا التصوير لحال المتصف بالكفر في الحياة الدنيا هو علاج وسبيل لتنزيه الإنسان من الكفر والشرك.

ثالثاً: بيان سوء عاقبة الكافرين في الآخرة وما ينتظرهم من عذاب.

---

1 الطبري، **جامع البيان في تأويل آي القرآن**، 279/7. الرازي، **مفاتيح الغيب**، 384/9.

2 الرازي، **مفاتيح الغيب**، 111/22. ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، 283/5.

بعد عرضنا استعمال القرآن الكريم تصوير سوء عاقبة الكافرين في الحياة الدنيا كعلاج لصفة الكفر عند الإنسان ووسيلة لتنزيهه منها، ننتقل إلى وسيلة أخرى للعلاج وهي استكمال لما سبق، وهي بيان سوء عاقبة الكافرين وما ينتظرهم من عذاب يوم القيامة، فتكون استكمالاً وتأكيداً على سوء حال الكافرين سواء في الدينا أو الآخرة، وفيما يأتي نعرض بعض المواضع التي تبين ذلك:

- قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴾ الكهف: (105).

الآية الكريمة بيان لحال الكفار يوم الحساب؛ حيث لا ثواب لهم على أعمالهم إلا العذاب، فلا حسنات لهم توزن، ومن كان هذا حاله فمصيره النار[1]، فبيان سوء الحال هذا والمصير الوخيم وتصويره في القرآن من شأنه أن ينفر من صفة الكفر.

- قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ البقرة: (161).

الآية الكريمة كما التي سبقتها هي إمعان في تصوير سوء من مات على الكفر وفوت على نفسه فرصة التوبة والرجوع إلى بارئه، فيكون جزاؤهم بأن تحل عليهم لعنة الله؛ فيطردون من رحمة الله التي وسعت كل شيء، إضافة إلى ذلك تلعنهم الملائكة والخلائق والناس أجمعين، وفي ذلك زيادة للإذلال والإهانة[2]، وما تقدم كافٍ لأن يكون رادعاً للإنسان بأن يتنزه ويبتعد عن كل ما قد يجعل مصيره يوم القيامة شبيهاً بمصير هؤلاء الكفار.

---

1 القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، 66/11. أبن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، 202/5.

2 الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، 257/3. السمرقندي، **بحر العلوم**، 108/1.

الفصل الثالث: صفات الجهل والجدل والعجلة في الإنسان، وسبل علاجها

المبحث الأول: صفة الجهل في الإنسان، وسبل علاجها

المبحث الثاني: صفة الجدل في الإنسان، وسبل علاجها

المبحث الثالث: صفة العجلة في الإنسان، وسبل علاجها

المبحث الأول: صفة الجهل في الإنسان، وسبل علاجها

جاء في القرآن الكريم: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ الأحزاب: (72).

تضمنت هذه الآية الكريمة صفةً أخرى من الصفات المذمومة مقرونةً بلفظ الإنسان، وهي صفة "الجهل"؛ فكان لزاماً علينا دراسة هذه الصفة المذمومة، مع محاولة استنباط بعض الوسائل المعالجة لهذه الصفة من القرآن الكريم، وذلك في المطالب الآتية:

المطلب الأول: صفة الجهل في اللغة والاصطلاح، والقرآن الكريم.

أولاً: الجهل في اللغة، والاصطلاح.

جَهِلَه: كسَمِعَه، جهلاً وجهالة: ضِدُّ علمه، وقال الراغب: الجهل على ثلاثة أضربٍ: الأول: خُلّوّ النفس من العلم، وهذا هو الأصل، والثاني: اعتقاد الشيء بخلاف ما هو عليه، والثالث: فعل الشيء بخلاف ما حقه أن يُفعل، وهذا المعاني الثلاثة عامة تجمع غالب المعاني المراد بها من كلمة الجهل في القرآن .

ويُقال: جَهِلَ على غيره سَفِهَ وأخطأ، وجهل الحقّ بمعنى أضاعه.[1]

أما الجهل اصطلاحاً: بالنظر في كتب التفسير نجد أن المفسرين عرّفوا الجهل بما عُرِّف به في اللغة، فلم يصطلحوا على معنى خاص بهم مختلفاً عن معناه في اللغة، وكذلك لم يقيدوه ببعض معانيه اللغوية دون الأخرى، ومن ذلك تعريف صاحب تفسير روح البيان حيث جاء فيه: "الجهل خلو النفس من العلم واعتقاد الشيء بخلاف ما هو عليه وفعل الشيء بخلاف ما حقه أن يفعل"[2].

كما عرفه الرازي: " اعتقاد المعتقد على خلاف ما هو عليه مع التصميم"[3].

---

1 الزبيدي، **تاج العروس**، مادة: ج هـ ل، 255/28. الحموي، **المصباح المنير**، مادة: ج هـ ل، 113/1.

2 إسماعيل حقي بن مصطفى أبو الفداء، **روح البيان**، (بيروت: دار الفكر)، 240/6.

3 الرازي، **مفاتيح الغيب**، 463/24.

كذلك هو الحال مع صاحب كتاب التعريفات حيث عرّف الجهل بأنه: " اعتقاد الشيء على خلاف ما هو عليه"، إلا أننا نجده قسم الجهل إلى جهل بسيط وآخر مركب، أما الجهل البسيط: فهو " عدم العلم عما من شأنه أن يكون عالماً"، وعرف الجهل المركب: بأنه" اعتقاد جازم غير مطابق للواقع"[1]، ومما سبق من تمييز الجهل البسيط عن المركب يبدو مدى خطورة الجهل المركب الذي يصرّ صاحبه على جهله رافضاً العلم، في مقابل الجهل البسيط الذي تبقى احتمالية تحصيله للعلم أكبر وأسهل.

ثانياً: جهل الإنسان في القرآن الكريم.

وردت لفظة الجهل –مقترناً بلفظة الإنسان أو مشيراً إليه– في القرآن الكريم بمعانٍ مختلفة؛ حيث نجد فيه تدرُّجاً في المعنى؛ فقد ورد بمعنى عدم العلم مطلقاً، كما أنَّه جاء للإشارة إلى أصحاب الأخلاق الذميمة، ثم تجاوز ذلك فجاء متضمناً معنى إرتكاب كبائر الذنوب والآثام، وفي المرحلة الأخيرة وصل شمول اللفظ إلى الإشارة إلى الشرك، والخروج من الملة، وفيما يأتي سنفصل في هذه المعاني مع الإشارة إلى الآيات التي وردت فيها:

المعنى الأول: عدم العلم مطلقاً:

ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ ۖ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ الأحزاب: (72).

والجهل المشار به إلى الإنسان في هذه الآية بصيغة المبالغة'' جهول–فعول ''تأتي للدلالة على عدم العلم مطلقاً، والذي يعدّ جزءاً من طبيعة الإنسان وصفة ملازمة له في كثير من أحواله وتصرفاته، وقد فسر هذه الآية بعض أهل التأويل بأنّ الله تعالى عرض التكاليف والفروض الشرعية على السموات والأرض– عرض

1 الجرجاني، **التعريفات**، ص 88.

تخيير لا عرض إيجاب؛ على أنّه إن أطاعت والتزمت أثابها الله النعيم وإن عصت ولم تلتزم، عاقبها الله بالعذاب، فأبت أن تتحمل أمانة الفروض والواجبات، وقَبِلَ بها الإنسان وحملها[1].

ففي هذه الآية يبين الله تعالى صفة جهل الإنسان، بعاقبة ما يترتب عليه من أعباء وتكاليف بسبب حمله الأمانة دون سائر المخلوقات

المعنى الثاني: أصحاب الخلق الذميم.

الخلق الذميم السيء يتضمن كل ما يصدر من الإنسان من خلقٍ مخالفٍ للشرع ومؤذٍ للخلق كالكِبرِ والفُحش في القول والعمل ونحو ذلك مما نهى عنه الشرع، ومن الأمثلة على استعمال القرآن الكريم لفظ "الجهل" بمعنى الخلق السيء قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا﴾ لقمان: (63).

في هذه الآية الكريمة يصف لنا الوحي الإلهي صورة العبد المؤمن بالله الساري على صراطه المستقيم حين يخاطبه أصحاب الأخلاق الذميمة بما يكره من القول، فما يكون من المؤمن إلا أن يجيب بالمعروف والقول السديد، مترفعاً ومتنزهاً عن مشابهة مخاطبه ومجاراته في السوء بالقول والعمل[2].

وأيضاً من الأمثلة على دلالة لفظ "الجهل" على سوء الخُلق: قوله تعالى ﴿إِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوٗاۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ البقرة: (67).

جاء لفظ "الجاهلين" هنا للإشارة إلى خُلقٍ سيءٍ استعاذ منه نبي الله موسى عليه السلام، وهو الاستهزاء بالمؤمنين؛ فهو من عمل الجهّال، ويرتقي لأن يكون من كبائر الذنوب عندما يكون في أمور الدين وأحكامه؛ لما فيها من إنزال الحقاره والهوان بالمستَهزَء به[3].

---

1 الطبري، **جامع البيان**، 336/20. السمرقندي، **بحر العلوم**، 75/3.

2 الطبري، **جامع البيان**، 493/17. النسفي، **التيسير في التفسير**، 244/2.

3 البغوي، **معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم**، 106/1.

المعنى الثالث: الذنوب والفواحش، القولية منها والفعلية.

هذه المعاني تدخل ضمن المعنى اللغوي المذكور سابقاً: "فعل الشيء على خلاف ما حقه أن يفعل"، ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ يوسف: (33).

صفة الجهل التي أشارت الآية إليها هي ما قد يُبتلى بها الإنسان، فيقضي الإنسان شهوته في غير ما أحلّه الله له، فيكون متصفاً بالجهل الذي يكون هنا تعبيراً عن فاحشة الزنى المحرمة قطعاً، وبقريب من هذا المعنى فسّر البيضاوي لفظ "الجاهلين"، وذلك بإعطائها معنى "السفه"؛ أي الشخص الذي يفعل القبيح الذي يجب أن لا يفعل، أو أن الجاهلين هم من لا يعلمون بما يعلمون فيكونون هم والجهلاء سواء[1].

وكذلك من الأمثلة على استعمال القرآن الكريم لفظ "الجهل" للدلالة على ارتكاب الفواحش قوله تعالى: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ النمل: (55). نجد في الآية السابقة مجيء لفظ'' تجهلون ''للدلالة على سفاهة الإنسان المتمثل في هذه الصورة بقوم لوط وعظيم تعدّيهم على حدود ربهم، وكثرة ذنبهم ومعصيتهم، ويتأكد استحقاقهم لصفة الجهالة فيما ظهر منهم من عدم العمل بموجب عِلمِهم بحرمة فعلهم ومخالفتة للفطرة، فمن كان هذا حاله من عدم التمييز بين الحسن والقبح يوصف بصفة الجاهل والسفيه[2].

المعنى الرابع: الشرك بالله بعبادة غيره.

من الأمثلة على هذا المعنى قوله تعالى: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ﴾ الزمر: (64).

---

1 البيضاوي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، 163/3. محمد ثناء الله المظهري، **التفسير المظهري**، (باكستان: مكتبة الرشيدية، 1412)، 160/5.

2 أبو الفداء، **روح البيان**، 358/6. الطبري، **جامع البيان**، 481/19. البيضاوي، **أنوار التنزيل**، 163/4.

نسبت الآية السابقة من سورة الزمر صفة الجهل للإنسان؛ بسبب شرك فئة من الناس بالله تعالى وعبادتهم لغيره، بل لم يكتفوا بذلك وإنما يدعون من هو مؤمن بالله الواحد القهار ليكون مثلهم في الضلال، فقد جاء في تفسير الآية: أنَّه بعد أن تقدم وصف الخالق جل وعلا بكونه مالكاً للسموات والأرض ومقاليدهما، وإظهار كون الأصنام هي مجرد جمادات لا ضرر فيها ولا نفع: فقد تقرر أنَّه من يُعرض عن عبادة إله موصوف بتلك الصفات الشريفة المقدسة ليشتغل بعبادة أجسام وتماثيل خسيسة، يكون قد بلغ مبلغ الجهل وذروته، فيكون وصف الجهل مناسباً لحالهم ومعبراً عن غبائهم[1].

ومن الأمثلة في القرآن الكريم والتي عُبّر فيها بصفة الجهل على الرِدّة والشرك بالله، قوله تعالى: ﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ﴾ الأعراف: (138).

فالآية السابقة تضمنت التعبير بلفظ الجهل على ضعف إيمان الإنسان وتحوله من حالة الإيمان واليقين إلى الكفر والردّة لأهون الأسباب وأتفهها، فقد جاء في تفسير هذه الآية: أن الله تعالى بعد أنّ بيّن أنواع نعمه العظيمة على بني إسرائيل، وذلك بإنقاذهم من فرعون وجنوده بشق البحر وجعله يبساً ليجتازوا البحر بسلام، إلا أنَّ بني إسرائيل عندما مرّوا بقومٍ يعكفون على عبادة أصنام ويعظمونها، ما كان منهم إلا أن طلبوا من موسى عليه السلام أن يتخذ لهم أيضاً صنماً يعبدونه من دون الله، فكان طلبهم هذا بعد ما تعرضوا لهم من نِعم وإكرامٍ من الله سبباً لوصفهم بالجهل تعبيراً عن كفرهم وجهودهم، وعدم استحقاقهم لرحمة الله وكرمه[2]

1 الرازي، **مفاتيح الغيب**، 471/27.

2 البيضاوي، **أنوار التنزيل**، 32/3. الرازي، **مفاتيح الغيب**، 349/14.

ومن أدنى درجات الشرك بالله هو سوء الظن به، وهذا ما عبّر عنه القرآن الكريم بلفظ "الجهل" في قوله تعالى: ﴿يظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ آل عمران: (145).

فقد جاءت الآية بلفظ "الجاهلية" للتعبير عن حالة الشك وعدم الإيمان التي كان يتصف بها أهل الجاهلية، إذ كان المنافقون يقولون في أنفسهم: لو كان محمد نبياً لما سلط الله علينا الكفار ونصرهم علينا، حيث جاء في تفسير الآية أنّ المسلمين بعدما أصابهم من الشِدّة والأذىً في غزوة أُحد، أنزل الله سكنيته على المؤمنين منهم فغشيهم النعاس حتى يريحهم مما أصابهم ويستعيدوا قوتهم وقدرتهم على القتال، أما المنافقون فبقوا في قلقهم وخوفهم، فكان تشبيه البيان الإلهي حالهم بحال أهل الجاهلية دقيقاً من حيث اشتراكهم بصفة الشك وعدم الإيمان بالله وبنصره[1].

المطلب الثاني: مظاهر الجهل وما ينتج عنه في القرآن الكريم

بالنظر في الآيات التي ذكرت صفة الجهل كصفة سلبية للإنسان وما يصدر منه من تصرفات نجد أنها: تضمّنت توصيفاً لمظاهر الجهل، والحال الذي يصل إليه الجاهل، وما يصدر من سلوك وتصرفات، ومن أهم هذه المظاهر:

أولاً: التعصب والتعالي على الناس

جهل الإنسان بأصل نشأته التي هي من أبينا آدم وأمنا حواء، وتجاهله ذلك وعدم الإيمان به ينتج عنه: التكبر والتعالي على الناس؛ فيرى قومه وعشريته خيراً من سائر البشر والأقوام، وما ذلك إلا لنقص الإيمان بالله أو عدمه، لذا نجد توصيف القرآن الكريم لحمية الكفار لقومهم بالجهل، فقال تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ الفتطح: (26).

---

1 المراغي، **تفسير المراغي**، 104/4.

فهذه الآية نزلت في كفار قريش عندما منعتهم حميتهم وتعاليهم على سائر الناس من القبول بكتابة "بسم الله الرحمن الرحيم" و "محمد رسول الله" ضمن بنود صلح الحديبة، في السنة التي مُنع النبي صلى الله عليه وسلم من دخول مكة.[1]

ثانياً: الاستهزاء بالآخرين.

الاستهزاء والسخرية من الناس من صفات الإنسان الجاهل، أما الإنسان العاقل فيرى أن الاستهزاء بمن هو مثله من الآدميين من أكبر العيوب المزرية بالعقل والدين، فيجب اجتنابها والابتعاد عن كل ما قد يفهم منه الاستهزاء، لذا نجد سيدنا موسى عليه السلام يستعيذ بالله من أن يكون جاهلاً مستهزءاً، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُواْ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ البقرة: (67).

وقد ذُكر في تفسير الآية وجوهٌ منها: الأول: أن الاستهزاء لا يكون إلا بسبب الجهل، ومرتبة النبوة لا تقبل الجهل ولا ما ينتج عنه من استهزاء؛ لذلك استعاذ سيدنا موسى من ا لجهل، الوجه الثاني: أن ما أخبر به سيدنا موسى قومه من ذبح البقرة هو من الدين، والاستهزاء بأمر الدين فيه الوعيد من الله بالعقاب الشديد؛ لذا استعاذ سيدنا موسى من أن يكون جاهلاً ومستهزءاً.[2]

ثالثاً: الشذوذ عن الفطرة السليمة.

قال بعضهم: "الجهل مصدر لكل الشرور" ومن أسوء الشرور التي تنتج عن الجهل هي الشذوذ عن الفطرة السليمة –التي خلقه الله تعالى عليها–؛ باتباع شهوة النفس وهواها، حيث يسقط الإنسان في حضيض

1 القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، 288/16. البيضاوي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، 131/5.
2 الرازي، **مفاتيح الغيب**، 546/3.

الذنوب والمعاصي، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك من خلال انكاره لفعل قوم لوط عليه السلام ووصفه بالجهل، قال تعالى: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾النمل: (55). الاستفهام الانكاري في الآية للمبالغة في الإنكار والتوبيخ، ولإظهار قبيح الفعل الصادر من قوم لوط، وجاء وصفهم بالجهل للتأكيد على فرط شناعة فعلهم ومخالفته للفطرة، وأنّ مثل ذلك لا يكون إلا من جاهل بالتحريم أو العقوبة. [1]

رابعاً: تقديم العاطفة على العقل.

من مظاهر الجهل عند الإنسان أن تكون عاطفته غالبة وحاكمة على عقله الذي خصه الله به دون سائر المخلوقات، فيسوقه جهله هذا إلى طلب ما لا يليق، ومن الأمثلة على ذلك من القرآن الكريم قوله تعالى لسيدنا نوح عليه السلام: ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾هود: (46).

في الآية نهي من الله تعالى لسيدنا نوح بعد أن غلبت عاطفتُه على ابنه عقلَه بسؤاله الله تعالى أسباب أفعاله جلّ جلاله، والتي أخفى الله الحكمة منها عن سيدنا نوح، فكان النهي والتحذير من أن يتصف بالجهل بفعلِ ما لايليق به أن يفعله. [2]

المطلب الثالث: سبل علاج صفة الجهل في الإنسان

بيّنا فيما سبق المعاني المختلفة التي ضمنها القرآن الكريم لصفة الجهل، والتدرج في ذلك حيث بدأ بمعنى عدم العلم مطلقاً وانتهت بالشرك بالله وعبادة غيره، إضافة إلى ذلك أشار القرآن الكريم المظاهر السلبية الناتجة عن اتصاف الإنسان بالجهل؛ كالتعصب والاستهزاء بالآخرين والشذوذ عن الفطرة السلمية وغيرها من

1 القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، 219/13. البيضاوي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، 22/3.
2 الماتريدي، **تأويلات أهل السنة**، 138/6.

المظاهر، بعد ذلك كله كان لابد من ذكر ما يعتبر معالجة وسبيلاً للتخلص من هذه الصفة السلبية، وهذا منهج القرآن الكريم، فلا يتكتفي ببيان المشكلة وتوصيفيها بل يتعدى ذلك بتوصيف العلاج أيضاً وبيانه، وفيما يأتي سنعرض ما هو علاج نص عليه القرآن الكريم كعلاج لصفة الجهل عند الإنسان مع ذكر بعض الآيات المتضمنة لها:

أولاً: استنكار صفة الجهل الإنسان.

بدأ القرآن الكريم في معالجته لصفة الجهل بالاستنكار كخطوة أولية لتنبيه الإنسان إلى هذه الصفة المنكرة والمذمومة، وبهذا التنبيه يكون القرآن الكريم قد جعل صفة الجهل في خانة المشكلة التي لابد من الإنسان أن يبذل جهده في حلها والتخلص منها، وفيما يأتي سأعرض بعض الآيات التي تضمنت معنى الاستنكار لصفة الجهل:

- قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴾ الزمر: (64).

جاء في سبب نزول هذه الآية أن المشركين طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم أن يؤمن بآلهتم في مقابل إيمانهم بالله تعالى فزلت الآية الكريمة متضمنةً استنكاراً على المشركين طلبهم هذا ووصفهم بالجهل؛ لأن طلبهم هذا جاء بعد دعوة النبي صلى الله عليه وسلم بالإيمان بإلهٍ مالكٍ لمقاليد السموات والأرض فكان ردهم بأن دعواه إليه عبادة أصنام لا تضر ولا تنفع، ومن يعرض عن عبادة خالق له صفات الكمال ليعبد حجارة لا تضر ولا تنفع يكون وصفه بالجهل لائق به[1].

- قوله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ ۖ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ الأحزاب: 72).

1 السمرقندي، **بحر العلوم**، 193/3. الرازي، **مفاتيح الغيب**، 471/27.

نصت الآية الكريمة على تكليف الله تعالى للإنسان دون غيره من الخلائق بالتكاليف الشرعية مع أن فيها ما يخالف طبيعته مما جبلت عليه طبيعته البشرية، ثم أشارت نهاية الآية إلى ما في طبيعة الإنسان من ظلم لنفسه بعصيانه ربَّه، وجهلٍ بما ينتظره من عقاب على عصيانه، وبما فيه حظه من خير[1]، فكان ذكر القرآن الكريم لصفة الجهل في هذا السياق ونسبتها إلى الإنسان إشارة إلى استنكاره لهذه الصفة ووجوب أن يتنزه عنها الإنسان قدر المستطاع.

ثانياً: التحذير من الجهل.

بعد ما تقدم من استنكارٍ لصفة الجهل عند الإنسان نجد أن القرآن الكريم انتقل إلى مستوى أعلى في المعالجة؛ حيث نراه يحذّر من هذه الصفة وينبه إلى خطورة الاتصاف بها؛ حيث نجد أنبياء الله وأصفياءه يتعوذون بالله من أن يتلبّسوا بالجهل أو يتصفوا به، وفيما يأتي سنعرض بعض المواضع الدالة على ذلك من خلال قصص الأنبياء:

- قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً ۖ قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ البقرة: 67.

الآية الكريمة تروي قصة سيدنا موسى مع قومه من بني إسرائيل في قصة الرجل الذي قُتِل منهم، وأمر الله لهم بذبح البقرة، ثم ختمت الآية باستعاذة نبي الله موسى عليه السلام من أن يكون من يتصفون بالجهل؛ أي من السفهاء الذين يروون عن الله الكذب والباطل[2]، وذلك من العصيان الذي لا يفعله إلا جاهل بعذاب الله وعقوبته، فيكون ذلك تحذير من الباري عزّ وجلّ من صفة الجهل المذمومة.

1 الطبري، **جامع البيان في تأويل آي القرآن**، 336/20. الرازي، **مفاتيح الغيب**، 187/25.

2 الطبري، **جامع البيان في تأويل آي القرآن**، 183/2. الرازي، **مفاتيح الغيب**، 546/3.

- قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ هود: 46.

الآية الكريمة هي تصوير لمشهد عظيم في قصة سيدنا نوح عليه السلام، فمع تكرار دعوة سيدنا نوح لابنه بأن يركب معهم سفينة النجاة جاء النهي الإلهي له عن ذلك، مع التحذير له بأن يوصف بالجهل في حال عدم الاستجابة للنهي الرباني وعصيان أمره[1]، وهذه إشارة واضحة إلى خطورة الاتصاف بالجهل وسوء عاقبة ذلك.

- قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ *كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الروم: 58.

بعد أن بينت الآية الأولى أن الله تعالى قدّم للناس في القرآن الكريم من الحجج والبراهين على صدق الرسل وصدق دعواهم، فكان موقف الناس من ذلك الإنكار والتذكيب، جاءت الآية الثانية تحمل في طياتها تهديداً من الخالق جل وعلا بأن يختم على قلوبهم؛ فلا يطلبون العلم بل يبقون على خرافاتهم مما وجدوا عليه أباءهم[2]، وما ذلك إلا جهل مركب يجب على الإنسان الحذر منه.

ثالثاً: الإعراض عن الجاهلين.

إضافة لما سبق من الأساليب التي حملتها آيات القرآن الكريم لعلاج صفة الجهل عند الإنسان جاء أسلوب الإعراض؛ والذي يحمل في طياته رسالة واضحة للإنسان بأن الاتصاف بالجهل هو أمر مذموم لا بد من التنزه عنه، وفيما يأتي سنعرض بعض المواضع التي بين القرآن الكريم الإعراض عن الجاهلين وعدم الالتفات إليهم:

---

1 الماوردي، النكت والعيون، 476/2. الرازي، **مفاتيح الغيب**، 6/10.

2 البيضاوي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، 211/4. المراغي، **تفسير المراغي**، 68/21.

- قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ الأعراف: (199).

الآية الكريمة هي أصلٌ ومنهجٌ قويم وضعها الباري عزّ وجلّ في التعامل مع الناس، وقد تجلى ذلك من خلال أمره لنبيه صلى الله عليه وسلم بترك التشدد والغلظة والفظاظة في تعامل الناس وتقديم المسامحة على المحاسبة فيما يتحمل ذلك، دون أن يؤدي ذلك إلى تفريط في حدود الله، وكذلك الحال إذا صدر من بعض الجاهلين من سفاهة وإيذاء فلابد من الإعراض عنهم والعفو عنهم[1].

- قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ الفرقان: 63.

الآية الكريمة هي وصف لحال عباد الله المؤمنين وما هم عليه من حسن خلق وأدب ربانيٍّ، ومن أبرز سمات هذا الخلق الحسن أنهم إذا أساء إليهم الجهّال بالسوء والسفه، لم يردوا عليهم بالمثل بل يكون خلقهم الصفح والعفو[2]، فتكون هذه الآية الكريمة من ناحيةٍ كمدحٍ لأصحاب الخلق الحميد من المؤمنين، وكذلك بيان لسوء حال الجاهلين ودنائة لخلقهم وتعاملهم، وفي ذلك عبرة وإشارة لضرورة التنزه من صفة الجهل.

رابعاً: الحض على العلم وبيان رفعة شأن أهله.

الناظر في تعامل القرآن الكريم مع صفة الجهل يجد أنه استخدم أساليب مختلفة في معالجته وإبعاد الناس عن التلبس به، فكما مر معنا سابقاً إنكاره للجهل وتحذير الناس منه، ثم جاء الأمر بالإعراض عن المتصفين بهذه الصفة من الجهلة وعما يصدر عنهم من سفه وإيذاء، وبعد ذلك انتقل إلى العلاج بالضدّ؛ من خلال الحض على العلم، فتكون محاربة الجهل ومعالجته بنشر العلم بين الناس بشتى مجالاته ودروبه الآخروية منها والدنيوية، وفيما يأتي سنعرض مجموعة من الآيات التي تضمنت الحض على العلم وبيان رفعة شأن أهله:

---

1 السمرقندي، **بحر العلوم**، 576/1. الرازي، **مفاتيح الغيب**، 434/15.

2 الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، 295/19. ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، 122/6.

- قوله تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ المجادلة: 11.

الآية الكريمة نصٌ في رفعة شأن العلم والعلماء في الشريعة الإسلامية؛ فقد ساوت بين أعظم صفة وهي الإيمان بالله تعالى وبين صفة العلم، فجعل للمتصف بالعلم درجة المؤمن في الرفعة في الثواب ومراتب الرضوان على القول المشهور عند العلماء، وهذا في الآخرة أما في الحياة الدنيا فقد جاء في تفسير الإمام الرازي أنه: " لا شبهة أن علم العالم يقتضي لطاعته من المنزلة مالا يحصل للمؤمن، ولذلك فإنه يقتدي بالعلم في كل أفعاله، ولا يقتدى بغير العالم، لأنه يعلم من كيفية الاحتراز عن الحرام والشبهات"[1]، وكل ما تقدم من رفعة شأن العلم والعلماء يكون بمفهوم مخالفته علاجاً للجهل وسبيلاً للتخلص منه.

- قوله تعالى: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ القلم: (1).

الآية الكريمة هي قسم من الله تعالى بالقلم التي هي أداة للعلم والتعلم، كما أقسم بما يسطرون أي: ما يعلمون أو مايكتبون من علمٍ[2]، وفي هذا بيان لرفعة قَدرِ العلم وكل ما له به من صلة سواء كان أدته أو المشتغل به أو المتصف به، وفي ذلك توجيه إلهي إلى نور العلم للتخلص من ظلمات الجهل لكسب شرف الدخول في نطاق قسم الخالق تعالى.

- قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۘ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ آل عمران: (7).

جاء في تفسير الآية: أن الله تعالى ذكر الدجات لأربعة أصناف؛ المؤمنين والمجاهدين والصالحين والعلماء، فالله فضل أهل بدر على غيرهم من المؤمنين وفضل المجاهدين على القاعدين وفضل الصالحين على ماتقدم

1 الرازي، **مفاتيح الغيب**، 494/29. الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، 245/23.

2 الماوردي، **النكت والعيون**، 59/6. البيضاوي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، 233/5.

من أصناف ثم جاء تفضيل العلماء على جميع الأصناف[1]، يدل على ذلك الآية السابقة؛ فقد عطف بالعلماء على ذاته العليّة، فعلمهم هداهم إلى أن علم الآيات المتشابهات عند الله دون غيره من المخلوقات، لذا جاء وصفهم بالراسخين في العلم ومن باب الرفعة وعلو الدرجة عند الله.

1 الرازي، **مفاتيح الغيب**، 400/2. الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، 201/6.

المبحث الثاني:صفة الجَدَل عند الإنسان

جاء في القرآن الكريم: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴾، الكهف: (54).

في هذه الآية الكريمة جعل الباري عزّ وجلّ الجدل المذموم صفةً للإنسان، حيث قرنها بلفظ الإنسان، بل واعتبره من أكثر المجادلين؛ فكان لابد من دراسة صفة الجدل وتمييز المذموم منه عن الممدوح في القرآن الكريم، مع محاولة إيجاد الوسائل المعالجة من خلال النظر والتأمل في آيات القرآن الكريم، وذلك في المطالب الآتية:

المطلب الأول: الجدل في اللغة والاصطلاح، والقرآن الكريم.

أولاً: الجدل في اللغة، والاصطلاح.

رجل جَدلٌ مِجدالٌ أي خصمٌ مخصام، يقال :جَدِلٌ :خَصِمٌ، شَدِيْدُ الجَدَلِ، ومِجْدَالٌ :مِخْصَامٌ، والفعل جادل يجادل مُجادَلةً، وجَدَلتُه جدلاً، مجزومٌ، فانجدل صريعاً، وأكثر ما يقال: جدلته تجديلا أي صرعته، قال الليث: الجدل: الصرع، يقال :جَدَلْتُهُ فانجدل صَرِيعاً، وهو مَجْدول[1].

مما تقدم يظهر لنا أنّ كلمة "جدل" في أصل اللغة تدور حول الشدّة في الخصام لدرجة الصرع سواءٌ الصرع المعنوي بضَحدِ الحجة أو الصرع الحقيقي أي القتل.

أما معنى الجدل اصطلاحاً: جاء في كتاب التعريفات: "الجدل: دفع المرء خصمه عن إفساد قوله، بحجة أو شبهة، أو يقصد به تصحيح كلمه، وهو الخصومة في الحقيقة"[2]. وقد أرجع الجرجاني في نهاية تعريفه، الجدلَ إلى جوهر معناه اللغوي، ألا وهي الخصومة.

---

1 الفراهيدي، **كتاب العين**، 79/6. أبو منصور الهروي، تهذيب اللغة، 342/10. إسماعيل بن عباد، **المحيط في اللغة**، 42/7.
2 الجرجاني، **التعريفات**، ص74.

ومن التعريفات التي أظهرت طبيعة الجدل وجوهره: "المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة"[1] وعرفه آخر بأنها: " الخصومة والمنازعة في سبيل البيان والكلام"[2].

وما سبق من تعريفات فهي تتناول الجدل من حيث طبيعته، أمّا ما يتناول الجدل من حيث غايته، أو كعلم له ضوابط وآداب فلم نتطرق لها؛ لبعدها عن موضوع بحثنا الذي يدرس الصفات السلبية المقرونة بلفظة الإنسان في القرآن الكريم.

ثانياً: صفة الجدل المقرونة بلفظة الإنسان في القرآن الكريم.

ذُكِرَ لفظ "الجدال" مرتين في القرآن الكريم، ولفظ "يجادل" 25 مرة[3]، مما يدل على كثرة وقوع فعل الجدال من الإنسان، وينقسم هذا الفعل إلى نوعين: جدل محمود، ويكون لغرض البيان وكشف اللبس بقصد إظهار الحق وتوضيحه، والنوع الثاني الجدل المذموم، وهو الطعن في الحق، واستعمال مقدمات فاسدة لنصرة الباطل والتمويه بصحته.

وقد نسب القرآن الكريم صفة الجدل لأنبياء الله تعالى في مجادلتهم لأقوامهم ومحاولتهم إظهار الحق لهم، وهو الجدل المحمود، أما ما قُرِن بالإنسان من جدل فأكثر ما ورد في القرآن من ذكر لصفة الجدل كانت من النوع المذموم المنهي عنه، وفيما يأتي سنعرض مجموعة من المواضع التي وردت فيها صفة الجدل منسوبةً للإنسان، مع بيان الغرض من الجدال في كل منها وأقوال المفسرين فيها:

أولاً: الانتصار للنفس والدفاع عنها:

الجدال بقصد الدفاع عن النفس والانتصار لها هو من أكثر أنواع الجدل شيوعاً على مدار الأزمنة والأقوام؛ فالجدل بهذا القصد يأتي ضمن تحصينات النفس البشرية في مواجهة التغيير الذي يطلب منها على حساب

---

1 الراغب الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، (دمشق: درا القلم، الطبعة الأولى 1412هـ)، ص189.

2 زاهر عوض الألمعي، **منهاج الجدل في القرآن الكريم**، (بيروت- مطابع الفرزدق التجارية، الطبعة الثالثة، 1404هـ)، ص 20.

3 أبو الفتوح، **قائمة معجيمة بألفظ القرآن ودرجة تكرارها**، ص 37.

هواها وراحتها، لذا نجده مستفحلاً بين المشركين تهرباً من اخضاع أنفسهم لخالقها وتعاليمه، كذلك نجده في الأوساط الجاهلة إما جهلاً بسيطاً أو مركباً؛ يستخدمونه ضدّ كل علم جديد تُعاديه أنفسهم، فقد قِيل: الإنسان عدوّ مايجهل.

ومن الأمثلة على جدل الإنسان عن نفسه والدفاع عنها قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ النحل: (111).

وجاء في تفسير الآية: إن كلّ نفس تأتي في يوم الحساب لتجادل وتخاصم عن نفسها، كقولهم: "والله ربنا ما كنّا مشركين"، "ربنا هؤلاء شركاؤنا هم السبب في ضلالنا وشركنا"، وغيرها من الأقوال التي ذكرها الله تعالى في القرآن على لسانهم[1]، ومن صور جدال الإنسان عن نفسه أيضاً يوم القيامةِ ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه قوله في الآية السابقة: ما تزال الخصومة بين الناس يوم القيامة، حتى تخاصم الروح الجسدَ فتقول الروح: يارب لم يكن لي يد أبطش بها ولا رجل أمشي بها ولا عين أبصر بها، فنجني وعذبه، ويقول الجسدُ: يارب حيث كنت معدوم الروح لم تبطش يدي ولم تمش رجلي ولم تبصر عيني ...قال: فيضرب الله لهما مثلاً فقال: وإنما مثلكما مثل أعمى ومقعد دخلا حائطاً فيه ثمار فالأعمى لا يبصر الثمر، والمقعد يرى ولا يناله، فحمل الأعمى المقعد فأصابا من الثمر فعليهما العذاب".[2]

ثانياً: الجدل بقصد الجدل.

ومن المواضع التي نسب فيها القرآن الكريم صفة لجدل المذموم للإنسان في سورة الزخرف، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ 57 وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُو مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ الزخرف: (57-58).

---

1 السمعاني، **تفسير القرآن**، 205/3.

2 البغوي، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، 100/3.

يصور لنا الوحي الإلهي جدل الإنسان والذي قد يصل إلى حد الجدل من أجل الجدل، لا لغاية أخرى غير المعاندة والإصرار على الباطل؛ وهذا يظهر جلّيا في الآيتين السابقتين، فبعد إنكار المشركين قول النصارى أنّ عيسى هو ابن الله، عادوا فقالوا للرسول صلى الله عليه وسلم أنّه: إذا جاز أن يكون عيسى ابن الله، جاز أن تكون الأصنام التي نعبدها والملائكة أبناء الله، وما تَكلُّفهم بقول هذه المقدمات الفاسدة للوصول لنتجية هي باطلة كذلك إلا على سبيل المعارضة والمجادلة بالباطل[1].

ومن الأمثلة أيضاً على تصوير القرآن الكريم لجدال الإنسان لمجرد الجدال، والذي يكون بدون علم أو بيّنة، وهذا شبيه بحال كثر من الناس في أيامنا هذه من طعن في الإسلام دون علم ودراية، فقد وصف الله تعالى حالهم بقوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ﴾ الحج: (3).وفي موضع آخر من سورة الحج في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾ الحج: (8).

ثالثاً :الجدل بغرض نصرة الباطل ودحض الحق:

إنّ غالب ما ورد في القرآن من تصوير لجدل الإنسان هو من الجدال المذموم الذي يهدف إما بطريقة مباشرة أو غير مباشرة لنصرة الباطل وطمس الحق، وذلك غاية ما يرنو إليه الشيطان من وراء دفعهم للجدال والمكابرة، ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِن بَعْدِهِمْ ۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ۖ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ غافر: (5). في الآية السابقة كشف الله تعالى عما قد يظنه المشركون خافياً من قصدهم وذلك بالمجادلة وتقديمهم الحقائق الباطلة وهو "دحض الحق"، حيث جاء في كتب التفسير: كذب قوم نوح نبيهم ومثلهم الأمم سبقتهم، حيث تحزبوا واجتمعوا على محاربة أنبيائهم، منهم قوم عاد وثمود، فقد حاولوا أن يأسروا رسلهم أو

1 السمرقندي، **بحر العلوم**، 261/83. الطبري، **جامع البيان**، 629/21.

قتلهم والتخلص منهم، كما أنهم جادلوا الأنبياء بالشرك والكفر، محاولين إبطال الإيمان الحق والقضاء عليه، فكان جزاؤهم على سوء أفعالهم الهلاك[1].

ومن الأمثلة أيضاً على تصوير القرآن الجدل المذموم للإنسان قوله تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوًا﴾ الكهف: (56).

فالآية تصور للجدل المذموم في أقبح صوره؛ حيث سبقه بيان من الله عن الغاية من إرسال الرسل والأنبياء مبشرين للناس بنعيم وجنة أعدت لهم ومنذرين لهم بين يدي عذاب أليم، فما كان من الكافرين إلا محاولة طمس رسالة الأنبياء والتشويش عليها بالجدال، ثم انتقلوا بعده إلى ما هو أفظع من الجدال فسخروا واستهزؤا بكتاب الله تعالى وحججه[2].

رابعاً: الطّعن في أحكام الشرع وإبطالها:

إن النفس الإنسانية التي نسب القرآن لها الكثير من الصفات السلبية ومنها الجدل دائمة التهرب مما يقيد هواها ويكبح جماح شهوتها، فنجدها تجادل طعناً وإنكاراً لما أنزله الله من أحكام وشرائع، ومن ورائهم شياطينهم التي تُوحي إليهم زخرف القول وتزين لهم الحجج البراهين على الباطل، ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ الأنعام: (121).

وقد جاء في سبب نزول هذه الآية ما روي عن ابن عباس قال: "لما نزلت (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) أرسلت فارسُ إلى قريش: أن خاصِموا محمدًا .فقالوا له :ما تذبحُ أنت بيدِك بسكين فهو حلال،

1 البيضاوي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، 52/5. القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، 293/15.

2 الطبيري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، 302/15. الرزاي، **مفاتيح الغيب**، 475/21.

وما ذبَح الله بشِمْشارٍ من ذهب- يعني :الميتة -فهو حرام؟ فنزلت هذه الآية: (وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم)، وقال :الشياطين من فارس وأوليائهم قريش" [1].

ويندرج تحت هذا الغرض كل الآيات التي تصف جدال المشركين للنبي صلى الله عليه وسلم بغاية الطعن في أحكام الشرع والتشكيك بها..

المطلب الثاني: وصف القرآن لجدال الأنبياء (الجدال الممدوح)

كما ذكرنا سابقاً جاء ذكر الجدال في القرآن الكريم بقسميه المذموم-حيث نسب للإنسان واقترن به- والممدوح، حيث نُسِبَ لأنبياء الله تعالى ورسله؛ فقد جادلوا أقوامهم، بغية هدايتهم وإخراجهم من ظلمات الشرك إلى نور الإيمان بالله تعالى وبآياته، وفيما يلي سأذكر بعض النماذج للجدال الأنبياء الممدوح التي عُرض في القرآن الكريم:

أولاً: مجادلة سيدنا إبراهيم عليه السلام للنمرود بن كنعان.

حين ادعى نمورد الربوبية وقف في وجهه نبي الله إبراهيم مجادلاً له وكاشفاً بطلان ادعائه؛ فقد أجرى الله على لسان نبيه من الحجج ما ألجم به عدو الله نمرود، وقد جاء القرآن الكريم بوصف وبيان هذه المناظرة القصيرة التي انتهت بسكوت النمرود وظهور زيف ادعائه، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ البقرة: (258). بدأت الآية باستنكار الله تعالى لما بدر-ممن آتاه الله الملك- من ادعاءٍ للربوبية، دلّ على ذلك قوله تعالى "ألم ترى إلى"، ثم بدأت مواجهة سيدنا إبراهيم للنمورد بحقيقة أن الله يحيي من يشاء ويميت من

1 عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، (بيروت: دار الفكر)، 3.48/3. ابن كثير، **مختصر تفسير ابن كثير**، 613/1.

يشاء، فجاء ردّه بأنه هو أيضاً يملك ذلك؛ فدعا برجلين فقتل أحدهما وأبقى الآخر ثم قال: ها أنا ذا أميت من أشاء بقتله واستحيي من أردت، فلا أقتله. وفي هذه اللحظة التي ظن نمرود أنه دَحَضَ سيدنا إبراهيم فأوحى الله لنبيه ليفاجئه بما لم يتصوره عقله ولم تصله مدراكه؛ حيث طلب منه سيدنا إبرهيم أن يغير مشرق الشمس ومغربها، فسكت النمرود وضُحد، وقد علّق ابن القيم على انتقال نبي الله إبراهيم من حجةٍ إلى أخرى بما يلي:"وليس هذا إنتقالاً من حُجة إلى حُجة أوضح منها، كما زعم بعض النظار، وإنما هو إلزام للمدعي بطرد حُجته إن كانت صحيحة [1].

كما يمكن الاستدلال بهذه الآية على إباحة التكلم في المناظرة والحجاج؛ لأنها من لوازم الدعوة إلى وحدانية الله والإيمان به[2].

ثانياً: مجادلة سيدنا إبراهيم لقومه.

سيدنا إبراهيم كغيره من أنبياء الله ما كان يألو جهداً في الدعوة إلى الإيمان بالله، فكما وجدناه يجادل النمرود ويدعوه إلى الرجوع عن شركه بالله نجده يجادل أقرب الناس إليه–أباه وقومه– محاولاً إخراجهم مما هم فيه من ضلال وشرك، وقد عرض الوحي الإلهي جانباً من هذه المجادلة مبرزاً ثبات سيدنا إبراهيم على إيمانه وقوة حجته ورجاحة عقله، ومقامنا هنا لا يسع لنقل كامل المجادلة فقد استغرقت تسع عشرة آية من سورة الأنبياء، وإنما سأكتفي بن/قل بعض المواضع الجوهرية والحاسمة في المجادلة.

حين أتوا بخليل الرحمن بعد علمهم بكيده لأصنامهم وتحطيمها، وهو الذي سبق وتوعد أصنامهم، سألوه: ﴿قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾ الأنبياء: (62). فكان جوابه بكل ثقة وثبات: ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ﴾ الأنبياء: (63). وهنا بان ضعف حجتهم وسذاجة عقلهم

1 الطبري، **جامع البيان في تأويل آي القرآن**، 569/4. محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، **الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة**، (بيروت: دار ابن حزم، الطبعة الأولى 1442هـ)، 250/1.

2 الماتريدي، **تأويلات أهل السنة**، 244/2.

وأصبحوا يتهامسون بينهم بذلك، وقادهم جهلهم إلى أن يقيموا الحجة على أنفسهم حين قالوا: ﴿ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴾ الأنبياء: (65). فكانوا بذلك هدفاً سهلاً ليقضي عليهم سيدنا إبراهيم ويسفه آلهتهم ومعتقدهم بقوله: ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴾ الأنبياء: (66). وهنا حين أقيمت عليهم الحجة أخذتهم العزة بالإثم، وانصرفوا إلى طريق الغلبة فقالو: "حرقوه"، فهذه عادة الباطل إذا انقطع من الحجة اشتغل بالعقوبة. [1]

ثالثاً: مجادلة الرجل المؤمن من آل فرعون لفرعون وقومه.

بعد أن طغى فرعون ولم يؤمن بدعوة سيدنا موسى رغم الأدلة والمعجزات، شاء الله تعالى أن يظهر من داخل بيت فروعون من يؤمن بالله ويتصدى له ويجادله، وقد نقل القرآن الكريم هذه المجادلة التي بان فيها شجاعة الرجل وقوة إيمانه وحجته، حيث جاءت في عشرين آية من سورة غافر، ومن أهم نقاط هذه المجادلة نجدها في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ غافر: (28).

ومع هذا التدخل من الرجل المؤمن لنصرة ما جاء به موسى عليه السلام عاد فرعون إلى استمالة قومه بأن رأيه هو الرأي السديد، فجاء تدخل الرجل المؤمن مرة أخرى مستشهداً بأحداث تاريخية يعلمونها حيث قال: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴾ غافر: (30).

ولم يختصر الرجل المؤمن في بيان حججه على الجانب المادي فقط إنما ذكر قومه بوجود الآخرة حيث النعيم الدائم أو العذاب الدائم، حيث قال: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ غافر: (36).

---

1 القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، 303/11.

المطلب الثالث: سُبل علاج الجدل المذموم في الإنسان

بعد أن عرضنا المعاني التي تضمنتها صفة الجدل في القرآن الكريم، كالدفاع عن النفس والانتصار لها، ونصرة الباطل ودحض الحق، وصولاً إلى الطّعن في الأحكام الشرعية بغرض إبطالها، وغيرها من المعاني المذمومة، وفي هذا المطلب سنبين سبل العلاج لصفة الجدل من خلال النظر في آيات القرآن الكريم محاولين استشفاف ما ورد فيها من علاج للجدل سواءً كان بالنهي عنها كخلق مذموم وبيان سوء عاقبة من يتصف بها في الدارين، وسأعرض ذلك بشيء من التفصل مع التمثيل لها من آيات القرآن الكريم:

أولاً: النهي عن خلق الجدال.

الجدل المذموم كغيره من الصفات المذمومة كان محل نهي وتحريم من الشارع الحكيم، لذا نجد ذلك في عدة مواضع من القرآن الكريم أذكر منها هنا:

- قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ﴾ الحج: (3).

جاء في سبب نزول هذه الآية الكريمة: بأنها نزلت في النضر بن الحارث، فقد كان يكذب بآيات القرآن ويدّعي أنها من أساطير الأولين، وتكذيبه كان بدون علم منه وإنما باتباع شياطين الإنس من زعماء قريش وشياطين الجن إبليس وجنوده،[1] فكانت في ربط الآية الكريمة الجدال بغير علم واتباع الشياطين إشارة واضحة إلى أن هذا النوع من الجدال هو صفة مذمومة منهية عنها يجب على كل مؤمن يتنزه عنها ويخرج ما في قلبه من حبٍّ للجدال والمحاجة التي لا يراد بها الحق.

- قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدًى وَلا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ الحج: (8).

1 السمرقندي، **بحر العلوم**، 448/2. الرازي، **مفاتيح الغيب**، 202/23.

جاء في تفسير الآية الكريمة بأن الفائدة من تكرار النهي عن الجدال بغير علم، المبالغة في ذم صفة الجدال الذين يكون بدون دليل أو برهان وإنما هو تقليد للغير بغير حجة[1]، وهذا المبالغة من القرآن الكريم في النهي عن صفة الجدل علاج لها، فنحن مأمورون بالابتعاد عن كل ما نهى عنه الشرع.

- قوله تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾ البقرة: (197).

جاء في تفسير الآية: قوله تعالى (فلا رفث ولا فسوق ولا جدال) فيها قراءتان؛ الأولى قرأت الكلمات الثلاث بالنصب، وأما القراءة الثانية: فقد قرأت الكلمتين الأوليين بالرفع والثالثة التي هي "جدال" بالرفع مع التنوين، فكان الاختلاف في القراءة دليل على أنّ النهي عن خلق الجدال أشد من الرفث والفسوق؛ فالرفث هو قضاء شهوة، وصفة الجدال تشتمل على ذلك؛ لأن المجادل يصرّ على فرض قوله على الغير، وصفة الفسوق هي مخالفة لحكم الله وشرعه، والجدال يشتمل على مخالفة أمر الله باتنقاده للحق ونصرته للباطل، فيكون بذلك خلق الجدال أشد سوءاً من الرفث والفسوق لاشتماله على جميع أنواع القبح[2]، لذا كان لزاماً على كل مؤمن أن يبتعد عن الجدال ويتنزه عنه.

ثانياً: بيان سوء عاقبة الجدال.

بعد أنْ بينا سابقاً كيفية معالجة القرآن الكريم للجدل من خلال النهي بعدة أساليب وفي مواضع مختلفة، ننتقل إلى عرض أسلوب آخر من أساليب معالجة القرآن للجدل، وهو المعالجته ببيان سوء عاقبة الجدل الدنيوية والآخروية، وفيما يأتي سأسلط الضوء على مجموعة من الآيات التي تتضمن ذلك:

---

1 الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، 572/18. الرازي، **مفاتيح الغيب**، 206/23.

2 السمرقندي، **بحر العلوم**، 132/1. الرازي، **مفاتيح ا لغيب**، 314/5.

- قوله تعالى: ﴿ يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ بَعۡدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ وَهُمۡ يَنظُرُونَ ﴾ الأنفال: (6).

الآية الكريمة هي تصوير لحال بعض المؤمنين الذين كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم عندما خرج من المدينة لملاقاة قافلة قريش التجارية، فحين انقلب الحال إلى ملاقاة جيش المشركين، جادلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم: بأننا ما خرجنا إلا للعير، ولم نستعد للقتال، فكان جدالهم هذا سبباً لخوفهم وزعزعة إيمانهم، وأصبح حالهم كالذي يساق للموت[1]، فكانت الآية الكريمة خير تصويرٍ لسوء ما يؤول له حال المجادل الذي لا يستسلم لحكم الله وشرعه.

- قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدًى وَلا كِتَابٍ مُنِيرٍ * ثَانِيَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ لَهُۥ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٞۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ الحج: (8-9).

كشفت الآية الأولى عن سوء صفة الجدل المذموم والذي يكون بدون علم ولا دليل، ثم جاءت الآية الثانية لبيان عاقبة ذلك الجدل؛ حيث يكون سبباً للذل والمهانة في الدنيا عقوبة على استكباره على آيات الله تعالى وعدم الإيمان بها، كما بينت الآية أن عذابه ولا يقتصر على الدنيا إنما ينتظر المجادل يوم القيامة عذاب النار يحرق بها، فلا يكون عذابه في الدنيا مكفراً لذنبه[2]، فما تقدم من تقريع وتصوير لمصير المجادل هو سبيل لعلاجه لكل ذي عقل فتح الله قلبه لفهم ما في كتابه الجليل من عبر ودروس.

- قوله تعالى: ﴿ مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغۡرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴾ غافر: (4).

تضمنت الآية الكريمة أسوء عقوبة لكل متصف بالجدال، حيث أنها جعلت الجدل في آيات الله تعالى سبباً للاتصاف بصفة الكفر؛ وذلك بحصر سلوك الجدال بالكافرين، فيكون كل مجادل بآيات الله كافراً والعياذ

1 الرازي، **مفاتيح الغيب**، 456/15. الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، 396/13.

2 السمرقندي، **بحر العلوم**، 450/2. ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، 339/5.

بالله، كما تضمنت الآية اخباراً للنبي صلى الله عليه وسلم ومن خلفه أمته بأن لا يغتروا بإمهال الله تعالى للمجادلين، حيث تراهم يسافرون ويذهبون ويجيؤون، فكل ذلك لا ينفي عنهم العذاب الذي ينتظرهم يوم الحساب[1]، وبذلك يكون عقوبة الاتصاف بالكفر كنتجية لسلوك الجدال أعظم رادع للإنسان المؤمن يردعه ويمنعه عن الانجرار وراء هوى النفس فيجادل في آيات الله وأحكامه.

ثالثا: الترفع عن جدال الكافرين.

بعد فرغنا من بيان الوسائل الآساسية في علاج صفة الجدل –وذلك بالنهي الصريح عن هذه الصفة وبيان العاقبة الوخيمة لمتصفها– نختم ببيان ما جاء فيه القرآن من تأكيد على سلبية صفة الجدل ووضاعة المتصف بها، حيث أمر القرآن الكريم نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يترفع عن جدال الكافرين تأكيداً على تصغيرهم والتقليل من شأنهم، من الآيات المتضمنة لهذا المعنى قوله تعالى: ﴿ وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ الحج: (68)

جاء في سبب نزول الآية: أنها مما نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة الإسراء والمعراج، وتضمنت أمر الله تعالى له الإعراض عن الكافرين المجادلين في آيات الله بغية التشكيك فيها، وختم الله تعالى الآية بتهديد شديد للكافرين حينما قال "الله أعلم بما تعلمون"[2]، ولا يخفى ما في هذا الأمر الإلهي بالإعراض عن الجدال من إشارة إلى وجوب التنزه عن هذه الصفة لكل مؤمن يبغي الخلاص يوم القيامة.

1 الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، 351/21. ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**،129/7.

2 القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، 94/12. ابن كثير، **تفسير القرآن الكريم**، 451/5.

المبحث الثالث: صفة العجلة في الإنسان

جاء في القرآن الكريم: ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ۚ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ الأنبياء: (37).

إضافةً إلى إقتران صفة العجلة المذمومة بلفظ الإنسان في الآية السابقة، نجد أنها بينت أن العجلة من الصفات التي جُبِلَ الإنسان عليها، ومن فطرته التي خلقه الله عليها؛ لذا لابد لنا من دراسة هذه الصفة المذمومة من خلال وردوها في القرآن الكريم، مع بيان سبيل العلاج لها، وذلك في المطالب الآتية:

المطلب الأول: العجلة في اللغة والاصطلاح، والقرآن الكريم.

أولاً: العجلة في اللغة، والاصطلاح.

العَجَلُ، والعَجَلة محركتين: السرعة، وهي ضدّ البُطءِ، يقال: رجل عَجَلٌ، وامرأة عَجلَى، ونسوة عَجَالَى، والعَاجِلة ضد الآجِل والآجِلة، ويقال: عجِلت إلى الشيء أي سبقت إليه، ويأتي لفظ عَجِلَ بمعنى تعب، فيقال أنا عجلٌ من باب تَعِبَ، وعجَّلت إليه المال أي أسرعت إليه بحضوره.[1]

أما العجلة اصطلاحاً: "طلب الشيء وتحريه قبل أوانه"، وعرفها الفيروزآبادي بأنها: "السرعة"، ومنها استعجله: حثّه وأمره أن يَعجَل، وذهبا إلى أن مصدرها الشهوة؛ لذا وردت في القرآن كصفةٍ مذمومةٍ في القرآن.[2]

---

1 الزبيدي، **تاج العروس**، 431/29. الرازي، **مختار الصحاح**، ص201. الفيومي، **المصباح المنير**، 394/2.

2 الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، ص 548. مجد الدين أبو طاهر الفيروزآبادي، **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، تحقيق: محمد علي النجار، (القاهرة: لجنة إحياء التراث الإسلامي)، 23/4.

وعرفها المناوي بأنها:" فعل الشيء قبل وقته اللائق به"[1]، وفرق العسكري في كتابه الفروق بين لفظي "السرعة" و "العجلة" حيث قال: السرعة التقدم فيما ينبغي التقدم فيه، وهي صفة محمودة، أما العجلة فهي التقدم فيما لا ينبغي التقدم فيه وهي صفة مذمومة ونقيضها الأناة وهي محمودة[2].

وبيدو اضحاً أن التعريف الاصطلاحي لمفردات غريب القرآن لم تخرج عن التعريف اللغوي للفط العجلة.

ثانياً: صفة "العجلة" المقترنة بلفظ الإنسان في القرآن الكريم

وردت صفة العجلة في القرآن الكريم بصيغ وألفاظ عديدة، وبمدلولات ومعاني مختلفة، وغالب هذه المعاني تدل على صفات وسلوكيات سلبية للإنسان، ولا غرابة في ذلك، فكما مرّ معنا أنّ هذه العجلة مصدرها الشهوة التي يغذيها ويحركها الشيطان، فنجد أنّه يبدأ بالإنسان فيحمله على العجلة فلا يتدبر الأمور ولا يميز بين صالحها وفاسدها، إلى أن تؤدي العجلة إلى أن ينكر الإنسان البعث والنشور، وفيما يأتي سنعرض بعض الأمثلة وبمعاني مختلفة لصفة العجلة عند الإنسان في القرآن الكريم:

المعنى الأول: صفة العجلة عند الإنسان بمعنى قلة التدبر وعدم إدراك مآلات الأمور.

ومن الآيات التي تدل صراحة على استعجال الإنسان وقلة تدبره وإدراكه لقادم الأمور قوله تعالى:

﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ لِمَ تَسۡتَعۡجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِۖ لَوۡلَا تَسۡتَغۡفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ النمل: (47).

والآية على لسان سيدنا صالح عليه السلام يخاطب بها قومه بعد أن قالوا له يا صالح: إن كان ما أتيتنا به حقاً من عند الله فأتنا بما تتوعدنا به من عذاب، فاستنكار سيدنا صالح ما بدر منهم من عدم تدبر وطغيان وعدم إدراك لما هم مقبلين عليه من عذاب؛ وذلك بطلبهم العذاب بدلاً من العافية والتوبة والرجوع إلى الله[3].

---

1 المناوي، **التوقيف على مهمات التعاريف**،ص236.

2 العسكري، **الفروق اللغوية**، 204.

3 السمرقندي، **بحر العلوم**، 585/2. البغوي، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، 169/6.

المعنى الثاني :صفة العجلة في سياق الوعيد.

ومن ذلك قوله تعالى في سورة النحل ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ النحل: (1).

واستعمل القرآن الكريم في هذه الآية النهي عن العجلة في سياق الوعيد، فدل النهي عن تهديد من الله لأهل الكفر والضلال أنه من أنكر أياته وشكك بها فإن عذابهم قد قرب بعد أن كانوا يرونه بعيداً، فجاء وعيد الله لهم: أتاكم ما كنتم تشككون فيه فلا تستعجلوا.[1]

المعنى الثالث: صفة العجلة بمعنى: التكذيب والاستهزاء بعذاب الله.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓۚ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ كُنتُم بِهِۦ تَسۡتَعۡجِلُونَ﴾ يونس: (51).

يصور لنا البيان الإلهي انتقال المشركين من حالة التكذيب وعدم الإيمان بعذاب الله إلى حالة التصديق واليقين به؛ ولكن بعد أصبح الوعيد واقعاً، فلم ينفعهم إيمانهم شيئاً، لذا نجد الاستفهام الاستنكاري من الله تعالى "آلآن"[2]، ثم ذكرهم بحالهم من قبل واصفاً إياهم بالعجلة إشارةً إلى ما كانوا عليه من تكذيب واستهزاءٍ بآياته ووعيده.

وبنفس المعنى السابق للفظ العجلة من استهزاء وتكذيب بعذاب الله ووعيده جاء قوله تعالى في سورة الذاريات: ﴿ذُوقُواْ فِتۡنَتَكُمۡ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَسۡتَعۡجِلُونَ﴾ الذاريات: (14).

المطلب الثاني: أسباب العَجلة

1 الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، 164/17. السمعاني، **تفسير القرآن**، 158/3.

2 السمعاني، **تفسير القرآن**، 388/2. السمرقندي، **بحر العلوم**، 120/2. الطبري، **جامع البيان عن تفسير آي القرآن**، 190/12.

العجلة كصفة للسلوك الإنساني يأتي نتيجة لأسباب مختلفة، منها ما يعود لطبيعة الإنسان ونشأته، ومنها يعود لصفات عارضة عليه؛ كالكفر والغضب والضعف وغيرها، وفيما يأتي سنسلط الضوء على أبرز هذه الأسباب:

أولاً: طبيعة النفس الإنسانية.

بالنظر والتأمل في الآيات القرآنية التي تناولت صفة العجلة عند الإنسان نجد أنها: أظهرت مدى الصلة الوثيقة بين طبيعة النفس الإنسانية وبين صفة العجلة؛ حتى أصبحت العجلة صفة الإنسان العامة، فركّب من العجلة وبنيته العجلة وخلقته العجلة، وإلى ذلك أشار قوله تعالى: ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍۚ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ الأنبياء: (37). جاء في تفسير الآية: كأنه خلق منه أي من العجل لفرط استعجاله وقلة ثباته، كقولك: خلق زيد من الكرم جُعل ما طبع عليه بمنزلة المطبوع وهو منه مبالغة في لزومه له. [1]

وفي موضع أخر قال تعالى: ﴿ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾ الإسراء: (11).

ثانياً: الكفر بالله أو نقص الإيمان.

ليست الطبيعة الإنسانية هي فقط ما يدفع الإنسان إلى العجلة، إنما يضاف إلى ذلك الكفر؛ فعندما يجتمع الكفر مع ما جبلت عليه النفس من حب العجلة تكون النتيجة استعجال في كل شيء، لدجة أن يستعجل الإنسان الكافر عذابه وهلاكه، وقد وصف الله عجلة الكفار بقوله:﴿ وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ الأنفال: (32).

1 البيضاوي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، 51/4.

فمن الأدلة على أن الكفر من أسباب العجلة، مجيء قوله تعالى ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ الأنبياء: (37) عَقِبَ قوله تعالى، ﴿ وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ الأنبياء: (36)، فدل ختم الآية الأولى بوصف الكفر وبدء الآية الثانية بوصف الإنسان بالعجلة على الصلة الوثيقة بين الكفر والعجلة، فإن كانت الطبيعة الإنسانية تتسم بالعجلة، فالعجلة عند الكافر آكد وإلا لما كانون على ماهم عليه من الكفر والشرك بالله وآياته.

ثالثاً: الغضب.

الغضب حالةٌ نفسيةٌ تصبيب الإنسان فيختلّ توازنه العقلي، ويقلّ إدراكه لعواقب الأمور، فيكون سبباً في العجلة؛ فيتخذ قرارت دون تفكير وتدبر لما هو مقدم عليه، ويقدم على فعل ما لم يحن وقته بعد، وإذا اشتدّ الغضب، فقد يوصل بالإنسان إلى حالةٍ يتمنى فيها الضرر والهلاك لنفسه فنجده يدعوا على نفسه بالشر، وقد وصف البيان الإلهي ذلك، قال تعالى: ﴿ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾ الإسراء: (11). جاء في تفسير الآية: يذكر الله الإنسان بفضله عليه حيث إنّ الإنسان في غضبه يدعو على نفسه وولده وماله بالهلاك، فيقول :اللهم أهلكه والعنه عند غضبه، كدعائه بالخير لهم حين يقول : ربي هب له العافية وارزقه السلامة في نفسه وماله؛ فلو استجاب الله دعائه على نفسه وماله وولده بالشر كما يستجاب له في الخير لهلك، ولكن الله بفضله لا يستجيب له في ذلك.[1]

المطلب الثالث: سبل علاج صفة العجلة في الإنسان

صفة العجلة من الصفات التي كان الغالب في استعمال القرآن الكريم لها في سياق الذّم، وإن كان هذا الذّم بدرجات متفاوته؛ فكما مرّ معنا من اقتران صفة العجلة بلفظة الإنسان للإشارة إلى قلة تدبره وعدم إدراكه

1 الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، 393/17.

لمآلات الأمور، في حين وجدنا أنا استعلمت للدلالة على أعلى دراجات الذّم، وهي التكذيب بآيات الله والاستهزاء بعذابه، وقد أرجع القرآن الكريم العجلة في الحالة الأخيرة إلى كفر الإنسان وشركه.

وفي مواجهة ما تقدم من بيان القرآن الكريم لسوء صفة العجلة وذمها، ضمّنَ القرآن آياته سبلاً لعلاج الإنسان من هذه الصفة وتزكيته من آثارها ومظاهرها المذمومة، وفيما يأتي سنعرض أهم تلك السبل مع ذكر الآيات المتضمنة لها:

أولاً: النهي عن العجلة.

إنَّ نص القرآن الكريم على النهي عن العجلة بشكل صريح في أكثر من موضع فيه إشارة واضحة على اعتبارها من الصفات المذمومة الواجب التنزه عنها، لذا قرر علماء أصول الفقه أن النهي يفيد الحرمة؛ فما نهى عنه الشرع يكون حكمه التحريم، وفيما يأتي سأعرض بعض الآيات القرآنية التي ورد فيها النص على النهي عن العجلة:

- قوله تعالى: ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾ طه: (114).

ذكر المفسرون وجهاً للمنهي عنه في الآية الكريمة؛ فيحتمل بأن النهي للنبي صلى الله عليه وسلم هو عن العجلة بالقراءة في نفسه، ويحتمل أن النهي له عن العجلة في تبليغ ما ينزل عليه من قرآن لغيره قبل معرفة معناه ودلالته، أو النهي عن العجلة باعتقاد ظاهره[1]، فكل ما تقدم من احتمالات ووجوه للنهي تؤكد معنى واحداً وهو سوء خلق العجلة ووجب النتزه عنه، فكان النهي موجّه لشخص رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن المراد منه عموم أمته وأتباعه إلى يوم الدين.

1 السمرقندي، **بحر العلوم**، 413/2. الرازي، **مفاتيح الغيب**، 104/22.

- قوله تعالى: ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ ۚ بَلَٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ الأحقاف: (35).

الآية الكريمة تتضمن أمراً للنبي صلى الله عليه وسلم بالصبر على أعباء تبليغ الرسالة وعلى أذى تكذيب قومه له، ثم جاء النهي للنبي صلى الله عليه وسلم عن العجلة وإن كانت بحق؛ فبالرغم من أن عذاب المشركين هو جزاء لكفرهم وتكذيبهم بآيات الله جاء النهي عن استعجال العذاب[1]، فدل ذلك على وجوب التنزه عن صفة العجلة بكل أشكالها وأحوالها.

- قوله تعالى: ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ النحل: (1).

جاء في تفسير الآية: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يهدد المشركين بعذابٍ سيحلّ بهم في الدنيا من قتل وتشريد، فلما لم يرَ المشركون ذلك التهديد واقعاً في الحال، اتهموا النبي صلى الله عليه وسلم بالكذب فنزلت الآية لتبين أن العذاب آتٍ وواقع، مع النهي عن استعجاله وطلبه، وفي ذلك تهدد للمشركين بقرب وقوعه[2]، فكان النهي عن العجلة في هذا السياق دليل وبيان على سوء خلق العجلة بكل أحوالها .

ثانياً: بيان فساد صفة العجلة وسوء عاقبتها:

السبيل الثاني الذي اتبعه القرآن الكريم في معالجة صفة العجلة عند الإنسان كان ببيان سوء عاقبة الاتصاف بهذا الخلق، فنجد ذلك قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ الحجرات: (6).

---

1 الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، 146/22.

2 الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، 146/17. الرازي، **مفاتيح الغيب**، 146/19.

الآية الكريمة هي تحذير للمؤمنين من العجلة التي قد تسبب الظلم وإلحاق الضرر بالغير، مع وصف ردة الفعل الناتجة عن العجلة بال" الجهالة" في إشارة إلى أن كل ما يكون مصدره العجلة فهو مذموم وتكون نهاية الندم؛ وهو الغم الذي يصحب الإنسان على وقع منه من فعل تمنى لو أنه لم يقم به[1]، وفي ذلك بيان من الوحي الإلهي بفساد عاقبة العجلة وسوء منقلب المتصف بها.

ثالثاً: ذم من اختار العاجلة الفانية على الآخرة الباقية.

إضافة إلى ما تقدم من نهي عن العجلة وبيان سوء عاقبة المتصف بها جاء القرآن الكريم بأسلوب آخر لمعالجة العجلة وتحذير الناس منها، وذلك من خلال أسلوب الذّم؛ حيث نجد القرآن الكريم وفي أكثر من موضع يصف الدنيا الفانية المؤقتة بصفة العاجلة في إشارة إلى ذم العجلة وما تحمله من معنى القيام بالفعل قبل أوانه ووقته، وفيما يلي سأذكر بعض الشواهد على ذلك من القرآن الكريم:

- قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴾ الإنسان: (27).

الآية الكريمة تتلكم عن المشركين الذين لم يكن سبب كفرهم الشبهة وعدم وجود البراهين على صدق النبوة، وإنما كان سبب كفرهم هو استعجالهم للشهوات واللذات العاجلة في الدنيا، فكان الإعراض عما ينتظرهم من عذاب أليم يوم الحساب[2].

- قوله تعالى: ﴿ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ* وَتَذَرُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴾ القيامة: (20-21).

"كلا" في بداية الآية الكريمة تدل على الردع والمنع لما بدر من المشركين من ولعٍ بالدنيا العاجلة، مما أنساهم الآخرة ومنعهم من الإيمان بها، وجاء في تفسيرها أيضاً بأن "كلا" هي ردع للنبي صلى الله عليه وسلم عن عادة العجلة وحثٌ له على الأناة[3]، وبناء على ما سبق من ردع وذم للدنيا العاجلة يظهر موقف القرآن

---

1 الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، 289/22. النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، 351/3.

2 السمرقندي، **بحر العلوم**، 529/3. الرازي، **مفاتيح الغيب**، 760/30.

3 الماتريدي، **تأويلات أهل السنة**، 348/10. الرازي، **مفاتيح الغيب**، 729/30.

الكريم من صفة العجلة واعتباره له صفة مذمومة، وإلا ما كان وصف الدنيا بالعاجلة.

الفصل الرابع: صفات البخل والجزع والفرح في الإنسان وسبل علاجها

المبحث الأول: صفة البخل في الإنسان، وسبل علاجها.

المبحث الثاني: صفة الجزع في الإنسان، وسبل علاجها.

المبحث الثالث: صفة الفرح في الإنسان، وسبل علاجها.

المبحث الأول: صفة البخل في الإنسان، وسبل علاجها

جاء في القرآن الكريم: ﴿ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّيٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴾ الإسراء: (100).

في هذه الآية الكريمة أقترن لفظ الإنسان بصفة "القتور"، والتي تعني "البخل" كما جاء في كتب التفسير[1]، فالبخل من الصفات المذمومة الغير لائقة بالإنسان المسلم، فهي سجية قد عرف بها اليهود قديمًا وحديثًا، فقد قال الشوكاني: "البخل قد لزم اليهود لزوم الظلِّ للشمس، فلا ترى يهوديًّا، وإن كان ماله في غاية الكثرة، إلا وهو من أبخل خلق الله"[2].

وفي هذا المبحث سندرس هذه الصفة المذمومة من خلال تعريف البخل والآيات التي تدل عليه وأسبابه وعاقبته في الدنيا والآخرة على الفرد والمجتمع، مع بيان سبل العلاج الممكنة له، وذلك في عدة مطالب مذكورة كما يلي:

المطلب الأول: البخل في اللغة والاصطلاح، والقرآن الكريم.

أولاً: البخل في اللغة، والاصطلاح.

البخل في اللغة ضِدُّ الكَرَمِ أو الجُودِ، وبَخِلَ الإنسان بكذا يعني ضنَّ بما ملك ولم يجُدْ به،وامتنع عن أدائه، وهو بخيل وباخل، ويُجمع على بخلاء، والبَخَّال مبالغة بمعنى شَديد البُخْل[3].

أما البخل اصطلاحاً: عرّف الأصفهاني البخل بأنه: "إمساك المقتنيات عما لا يحق حبسها عنه

---

1 السمرقندي، **بحر العلوم**، 303/2. الرازي، **مفاتيح الغيب**، 403/21.

2 الشوكاني، **فتح القدير**، 66/2.

3 الفيروز أبادي، **قاموس المحيط**، 965. مجمع اللغة العربية بالقاهرة، **المعجم الوسيط**، (دار الدعوة)، 41/1.

ويقابله الجود"[1]. وقال الفيومي: "البخل في الشرع: منع الواجب"[2].

وقال ابن حجر: "البخل هو منع ما يطلب مما يقتنى، وشره ما كان طالبه مستحقًّا، ولا سيما إن كان من غير مال المسئول".[3]

ومن تعاريف هؤلاء العلماء يمكن استنتاج ما يلي:

- قرب المعنى اللغوي عن المعنى الشرعي للبخل.
- البخل منع الحقوق الواجبة شرعاً على البخيل، ودل على ذلك عبارتهم بـ: (لايحق حبسها كما قال الأصفهاني، ومنع الواجب كما ذكر الفيومي، وما كان طالبه مستحقاً كما ورد في قول ابن حجر).

  ولكن منع ما دون الواجب إن لم يكن بخلاً فهو أمر مناف لأخلاق المؤمن ومروءته.

وهناك مصطلحات تطلق ويراد بها البخل أو تكون قريبة من هذا المعنى، ومنها الشح، فالبخيل والشحيح هما الشخص الذي يمتنع عن العطاء ويتثاقله، ولكن وُجدت بعض الفروق بينهما،

فالشح هو البخل مع وجود الحرص، والشحيح هو البخيل مع حرصه ومنعه الزائد عن العطاء.

ومن عبارات العلماء عن الشح ما قاله النووي: "وقال جماعة الشح أشد البخل وأبلغ في المنع من البخل"[4]، وقول الطبري: "الشحُّ: الإفراط في الحرص على الشيء"[5]

ثانياً: الآيات القرآنية المعبّرة عن بخل الإنسان

---

1 الأصفهاني: **المفردات في غريب القرآن**، ص109.

2 الفيومي، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، 37/1.

3 ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، شرح صحيح البخاري، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار المعرفة، 1379هـ)، 457/10.

4 يحيى بن شرف النووي، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط2، 1392هـ)، 134/16.

5 محمد بن جرير الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (مكة المكرمة: دار التربية والتراث)، 282/9.

وردت العديد من الآيات القرآنية التي أقرت صفة البخل في الإنسان، وذمت تلك الصفة والمتصف بها على حد سواء ومن هذه الآيات:

﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ النساء (37).

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾ الاسراء (29).

﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ التوبة (34).

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ﴾ آل عمران (180).

﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا﴾ الإسراء (100).

فهذه الآيات القرآنية وغيرها مما شابهها تذم الإنسان البخيل وتتوعده بالعقاب والعذاب الشديدين، وتُبيّن أن نتيجة البخل هي الندم والحسرة.

المطلب الثاني: حكم البخل، وأسبابه.

أولاً: حكم البخل، ليس للبخل حكمٌ واحدٌ يصلح أن ينطبق على جميع صوره وأنواعه، بل لكل صورة من صور البخل حكماً شرعياً مختلفاً كما يلي:

1. **البخل حرام**: إذا كان بخل الرجل ومنعه يطال الواجبات الشرعية كامتناع إخراج الزكاة ممن ملك النصاب وتحقق في ماله بقية شروط إخراج الزكاة، وكالرجل الذي امتنع من النفقة المالية الواجبة على أولاده وأهل بيته، فالبخل في هاتين الحالتين حرام وصاحبه يأثم ببخله، بل هو كبيرة من الكبائر توعد الله صاحبها بالعقوبة والعذاب.

2. **البخل مكروه:** ومذموم ومخل بمروءة الرجل، إذا كان بخله ومنعه فيما دون الواجب من بذل المال، كالصدقات والأعطيات المالية حالة يسار الشخص، وكذلك البخل مكروه عندما يضيق الزوج على أولاده وزوجته في النفقة حالة يساره[1]، وقد قال تعالى: ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ﴾.الطلاق: (7).

ولا شك بوجوب البخل والمنع من بذل المال فيما هو محرّم من بذل المال فيه، كمن يبذل ماله في شراء المحرمات كالخمر أو التعامل بمعاملات محرمة فيها ربا وغرر.

ثم إن حكم البخل هذا لا يقتصر على الأمور المالية بل يتعدى إلى العبادات والطاعات فيحرم البخل فيما أوجب الله منها، ويُكره البخل فيما ندب الله المسلم على أدائها، ويجب تجنب ما أمر الله من اجتنابها كاجتناب صوم في يوم العيد، واجتناب الصلاة في الأوقات والأماكن التي حرم الله الصلاة فيها.

ثانياً: أسباب البخل.

هناك أسباب عديدة تدفع البخيل إلى الامتناع عن البذل، وتبقيه متصفاً بهذه الصفة الذميمة، وهذه الأسباب كثيرة نذكر أهمها هنا:

1. ضعف الإيمان بالله، وسوء الظن به، فالبخيل يستعظم أمر الإنفاق والبذل، ويتناسى تعويض الله للمنفق كلما أعطى وبذل من ماله للمحتاجين، علماً بأن المال الذي بين يديه هو مال الله في بدايته ونهايته.
2. التعلق الشديد بالدنيا ونسيان الآخرة، ومن لوازم حب الدنيا والتعلق بها حب المال وجمعه واكتنازه، وقلة إنفاقه، وهذا ما يفعله البخيل.
3. ظنُّ الكثير من البخلاء أنّ البخل ذكاء وفطنة وتدبير لأمور الحياة في الدنيا.

---

1 ابن القيم الجوزية، **جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، عبد القادر الأرناؤوط، (الكويت: دار العروبة، ط2، 1987)، ص358. ابن مفلح، **الآداب الشرعية والمنح المرعية**، (عالم الكتب)، ج3، ص303. الغزالي، إحياء علوم الدين، ج3، ص260.

4. خشية البخيل من المستقبل سواءً كانت تلك الخشية على نفسه، أو على أبنائه وذريته، وهذا يؤدي به إلى مزيد من الحرص وجمع المال، والامتناع عن إنفاقه.

5. النشأة في أسرة بخيلة، أو في بيئة تتصف بالبخل، فيكتسب هذه الصفة من أسرته وبيئته، ويعتاد عليها.

6. الغفلة عن عواقب البخل في الدنيا، وكذلك الغفلة عما ينتظر البخيل من عاقبة في الآخرة إذا كان بخله قد وصل به إلى التقصير في واجباته المالية الشرعية تجاه من لهم حقوقٌ عليه، وتجاه أسرته ووالديه، ومن وجب لهم عليه النفقة.

7. عدم استشعار متعة الإنفاق والعطاء في الدنيا، وعدم التفكر في الأجر المترتب على ذلك في اليوم الآخر.[1]

المطلب الثالث: آثار البخل وعواقبه

للبخل آثار وعواقب لا تقتصر على الفرد البخيل فحسب، بل تتعدى إلى المجتمع أيضاً؛ لأن ذلك الفرد البخيل جزء من المجتمع، ونذكر هنا عدة آثار على الفرد والمجتمع كما يلي:

1. حرمان الإنسان البخيل من الأجر الذي وعد الله تعالى عباده عند البذل والإنفاق في سُبل الخير أياً كانت تلك السبل.

2. البخل سبب لكشف عيوب المرء، وإظهارها للخلق.

3. البخل سبب في ضعف الإيمان شيئاً فشيئاً عند من يتّصف بتلك الصفة، وذلك لما في البخل من سوء الظن بالله تعالى.

4. كراهية الناس للإنسان البخيل، فهو مكروه ومبغوض، حتى من أقرب الناس إليه، كأولاده، وأهل بيته، وأقربائه.

---

1 موسوعة الأخلاق، موقع الدرر السنيّة، على الرابط: https://dorar.net/akhlaq

5. دعاء أهل البخيل وأقربائه عليه، وتمني موته، لأنه يقف عائقاً أمامهم في الحصول على النفقة، أو الحصول على ما يحتاجونهم من أموال لسُبل حياتهم المختلفة.

6. ينتج عن البخل ضيق الرزق أو حرمانه، أي بما أنّ الإنفاق يؤدي إلى زيادة الرزق وسعته، فلا غرابة أنّ البخل والشح يؤدي إلى نقصانه وضيقه.

7. حرمان الإنسان البخيل لنفسه، ولغيره من الكثير من لذائذ الدُّنيا ومتعها المباحة، مع حرصه الشديد على ملازمة الأسواق، والبقاء فيها أوقات طويلة، بغية جمع المزيد من الأموال واكتنازها.

8. البخيل يعرض ماله للضياع أو النهب والسرقة ممن حوله، بسبب الحقد عليه.

9. ينتظر الإنسان البخيل عقاب أخروي وطول حساب، سيما إذا وصل بخله إلى عدم تأدية ما فرض الله عليه من واجبات مالية كالزكاة، والإنفاق على من تجب نفقتهم عليه[1].

المطلب الرابع: سبل علاج صفة البخل عند الإنسان

البخل من الصفات الإنسانية التي ذكرها القرآن الكريم في عدة مواضع مشيراً إلى ما فيها من سوءٍ ومخالفة لأمر الله تعالى، وكما جرى عليه أسلوب الوحي الإلهي بعدم الاكتفاء بذكر السيء من الإخلاق وإنما يكون ذلك مصحوباً بالنص على علاج تلك الصفة و الإشارة إليه، ففي صفة البخل نجد القرآن الكريم بيّن للإنسان ما في البخل من ذمّ ومضار دينية ودنيوية، إضافة إلى ذلك ذكر العقاب الشديد الذي توعد به

1 كتاب موسوعة الأخلاق الإسلامية، موقع المكتبة الشاملة، على الرابط: https://shamela.ws/book/38218/663

الله تعالى البخلاء، وأردف ذلك كله بالنص على وعد الله تعالى لمخلوقاته بضمان رزقهم وكفالة ذلك لهم إن هم أحسنوا التوكل عليه؛ وذلك من شأنه أن يعالج صفة الحرص والبخل الموجود في النفس البشرية، وفيما يأتي سنذكر بالتفصيل السبل التي تضمنها القرآن الكريم علاجاً لصفة البخل مع ذكر الأمثلة عليها من أيات الذكر الحكيم:

أولاً: بيان ذم صفة البخل.

بدأ القرآن الكريم علاج صفة البخل ببيان أنها من الخلق السيء المذموم، ونجد ذلك في عدة مواضع من القرآن الكريم أذكر منها:

- قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر: 3].

جاء في تفسير الآية الكريمة: أن الفرق بين البخل والشح؛ هو أن البخل نفس المنع، وأما الشح هو الحالة النفسية التي تؤدي إلى ذلك المنع، وبما أن الشح من صفات النفس المذمومة جاء التحذير منها ووجوب الوقاية منها، فمن وفقه الله إلى وقاية نفسه من البخل والشح فأولئك هم الناجون الظافرون برضوان الله[1].

- قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا ﴾ [الإسراء: 29].

تضمنت الآية الكريمة مثلاً للإنسان الممتنع عن الإنفاق على ما أوجبه الله عليه بخلاً؛ فشبهه بالإنسان المشدود يده إلى عنقه، فلا يستطيع بها الأخذ أو العطاء، فكانت نهياً للنبي صلى الله عليه وسلم وللأمته

1 الماتريدي، **تأويلات أهل السنة**، 345/7. الرزاي، **مفاتيح الغيب**، 508/29.

عن إمساك اليد عن الإنفاق فيضيق على نفسه وأهله وفي وجوه صلة الرحم بخلاً، وتكون نتجيته الحسرة والخسران[1]، وفي ذلك كله بيان لما في صفة البخل من ذم وسوء وجب الوقاية منها ومعالجة النفس منها.

ثانياً: التأمل بتوعد الله البخلاء بالعقاب العظيم.

بعد أن وصف القرآن الكريم صفة البخل بسوء الخلق وعدها من المذمومات التي يجب تجنبها، انتقل في علاج هذه الصفة المذمومة إلى دعوة الإنسان في التأمل والتفكر في الوعيد الذي ينتظر البخلاء يوم الحساب، وفيما يأتي سأذكر بعض الآيات التي تضمت وعيد الله للبخلاء:

- قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [آل عمران: 180].

الآية الكريمة تتضمن تهديداً للبخلاء الذي لا يؤدون حقوق المال، بالرغم من فضل الله عليهم بالتوسعة عليهم بالرزق، حيث سيكون المال الذي بخلوا به ومنعوه من الفقراء طوقاً يوثقون به كالطوق يحيط بعنق البخيل، وقيل سيكون على شكل طوقٍ من نار[2]، والغاية من هذا التصوير البليغ للوعيد الذي ينتظر البخلاء هو تحذير الإنسان من الاتصاف بالبخل.

- قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴾ [النساء: 37].

1 الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، 433/17. الرازي، **مفاتيح الغيب**، 329/20.
2 السمرقندي، **بحر العلوم**، 269/1. الرازي، **مفاتيح الغيب**، 443/9.

تضمنت الآية الكريمة ثلاث حالات مذمومة فيها صفة البخل؛ أول حالة: كون الإنسان بخيلاً في قوله تعالى" الذين يبخلون"، والحالة الثانية: أمر الناس بالبخل وهذا منتهى صفة البخل وذلك في قوله تعالى "ويأمرون الناس بالبخل"، الحالة الثالثة: كتمان فضل الله؛ فيظهرون الفقر بدل الغنى وهذا الكتمان قد يوصل إلى الكفر، كأن يظهر عدم الرضى بالقضاء والقدر، وهذا ينتهي بالكفر فيكون جزاؤه العذاب المهين[1]، وفي الحالة الثالثة تحذير من صفة البخل ووعيد للمتصفين بها، وهذا يستوجب على كل عاقل أن يتنزه عن هذه الصفة المذمومة والابتعاد عنها.

- قوله تعالى:﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ* وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ* فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل: 8-10].

وهذه الآية القرآنية مع وجه الاستشهاد بها كسابقتها من الآيات التي تم الاستدلال بها لعلاج صفة البخل، إذ فيها تقرير لسوء عاقبة البخلاء، فذكرت الآية أن من كان البخل خُلُقُه فسييسره الله للشر[2].

ثالثاً: بيان وعد الله تعالى لمخلوقاته بالرزق.

إن وعد الله تعالى لجميع مخلوقاته بالرزق يستوجب أن لا يكون الإنسان في حالة إضطراب شديد لأجل المستقبل، وأن يكون على درجة من اليقين بأن الرزق الذي قدره الله تعالى له لابد أن يأتيه، وإن لم يشتد حرصه، بل يجب أن يكون واثقاً بوعد الله تعالى له[3]، ومن الآيات المؤكدة لهذا المعنى:

- قوله تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍۢ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [هود: 6].

---

1 الرازي، **مفاتيح الغيب**، 78/10. ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، 303/2.

2 الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، 475/24. الرازي، **مفاتيح الغيب**، 185/31.

3 الغزالي، **إحياء علوم الدين**، ص 1146.

الآية هي وعد من الله بتكفله بأرزاق مخلوقاته من سائر الدواب على الأرض، ما يعيش منها في البر أو البحر، صغيرها وكبيرها دون تمييز أو تفريق، مع علمه جلّ وعلا بمأوى كلّ منها والمكان التي تموت فيه[1]، وهذا الوعد الإلهي يشكل دواءً ناجعاً لصفة البخل التي قد تتسلل إلى سلوك الإنسان من خلال باب الحرص على الرزق وخشية القلة وضيق اليد.

- قوله تعالى: ﴿ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴾ [الطلاق: 3].

هذه الآية أيضاً وعداً من الله بأن يفتح على الإنسان المؤمن به والمتكل عليه حق الإتكال أبواب الفرج والخير، وبأنه سيكفيه ما أهمه من ضيق وقلة في رزق أو غيره[2]، وبهذه الآية ومثيلاتها يعالج ما يكون في نفس الإنسان من شحّ وبخل.

رابعاً: بيان ما في جمع المال من خطر.

بين علماء تزكية النفس ما في جمع المال من آفات دينية ودنيوية؛ فوجود المال يجر إلى المعاصي، وعدمه قد يكون سبباً بين المرء والمعصية، كما أن وجود المال يؤدي إلى التوسع في التنعم بالمباحات والتعود على ذلك، وربما يأتيه يوم لا يستطيع أن يصل إلى ما تعود عليه بالمال الحلال، فيكسب الحرام في سبيل ذلك، وأقل ما يقال في جمع المال هو أنه يلهي صاحبه عن ذكر الله[3]، وبذلك يكون في تقرير سوء جمع المال واكتنازه علاجاً لصفة البخل، كونه سبباً لجمع المال وطريقاً يسلكه الناس في سبيل زيادة مالهم وتكثيره، ومن الآيات التي حذر الله تعالى الإنسان من جمع المال هي قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ

1 الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، 240/15. ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، 305/4.
2 السمرقندي، **بحر العلوم**، 461/3. الرازي، **مفاتيح الغيب**، 562/30.
3 العزالي، **إحياء علوم الدين**، ص 1141.

وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾ [التوبة: 34، 35].

المبحث الثاني: صفة الجزع في الإنسان وسبل علاجها

جاء في القرآن الكريم: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا* إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴾ المعارج: (19-20).

تضمنت الآية الكريمة وصفاً مذموماً مقترناً بلفظ الإنسان، حيث وصف الإنسان بالجزع؛ فكان لابد من دراسة هذه الصفة من خلال ورودها في آيات القرآن الكريم، مع محاولة استنباط العلاج لها من آي القرآن المجيد، وذلك في المطالب الآتية:

المطلب الأول: تعريف الجزع في اللغة والاصطلاح، والقرآن الكريم.

أولاً: الجزَع في اللغة، والاصطلاح.

الجزَع بفتح الجيم والزاي، نقيض الصَّبر، وجَزِع يَجْزَع جَزَعًا، وهو جازِع، وجَزُوع صيغة المبالغة لمن كثُر جزَعه، وأَجْزَعه فلان، أي أفقده صبره[1].

أما الجزع في الاصطلاح: ذكر العلماء تعاريف عديدة للجزع منها:

قال العسكري: "الجَزَع: إظهار ما يلحق المصَاب مِن المضَض والغَمّ".[2]

وقال الرَّاغب الأصفهاني: "والجَزَع هو: حُزْن يَصْرِف الإنسان عمَّا هو بصدده، ويَقْطَعه عنه"[3].

وقال ابن فارس:"هو انقطاع المنَّة عن حَمْل ما نزل"[4]

وبالنظر إلى التعريفات السابقة يمكن القول:

بأنّه يقترب تعريف أبو العسكري للجزع من معنى الحزن، بينما يقترب تعريف كل من ابن فارس والأصفاني من معنى اليأس، من خلال تعبيرهم بكلمتي انقطاع وانصراف.

---

1 الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، 437/20.

2 الحسن بن عبد الله بن مهران العسكري، **الفروق اللغوية**، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، (القاهرة: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع)، ص201.

3 الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص194.

4 الرازي، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (دمشق: دار الفكر، 1399هـ – 1970م)، 453/1.

ومن المصطلحات القريبة للجزع الهلع، والهلع هو الجزع، ولكن مع شدة الحرص والضجر[1].

وقد استخلص ابن عاشور من خلال تتبعه استعمالات كلمة الهلع أن الهلع هو قلة إمساك النفس حالة اعتراء ما يحزنها، أو ما يسرها، أو حالة توقع ذلك والخوف منه، وأما الجزع فمن آثار الهلع[2].

وأهل اللغة فسروا الهلع بمعانٍ عديدة، مثل الشره، الضجر، والشح، وبعضهم فسّروه بالجوع، وبالجبن عند اللقاء، ولكن ما ذكره ابن عاشور، يجمع هذه المعاني ويظهر أنها آثار لصفة الهلع[3].

ثانياً: الهلع والجزع في القرآن الكريم

إن مصدر هذه الصفة في القرآن الآيات التالية:

﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعاً * وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا﴾، المعارج: (19-21)

والمراد بالإنسان هنا جنسه، لا فرد معيّن، فدلت هذه الآيات على وجود هذه الصفات فيه، ومعنى هلوعاً أن الهلع طبيعة كامنة فيه مع خلقه تظهر عند ابتداء شعوره بالنفع والمضار، وعليه فالجزع نتيجة للهلع، والجزوع هو الذي إذا ناله شر أظهر شدة الجزع وإذا ناله خير بخل به ومنعه الناس.[4]

المطلب الثاني: العوامل التي تسبب الجزع، وعواقبه.

1 الطبري، تفسير الطبري، 611/23.

2 ابن عاشور، **تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد**، 167/29.

3 المرجع السابق، 167/29.

4 المرجع السابق، 167/29. عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ -2000 م) ص887.

الفرع الأول: العوامل التي تسبب الجزع. هناك العديد من العوامل التي تُفقد الإنسان صبره، وتؤدي به إلى الجزع، ومن أهم هذه العوامل ما يلي:

أولاً: ضعف الإيمان بالله، واليقين به:

لأن الإنسان إذا اطمأنَّ إلى حكم الله الكوني وعدله، عَلِمَ أنّه لن يصيبه إلّا ما كتب الله له، وأنَّه ما يشاء الله تعالى كان، وما لم يشأ لم يكن. فلا سبيل للجَزَع والقلق إلَّا عند ضعف اليقين والإيمان، والمحذور إن لم يكن مُقَدَّراً فلا سبيل إلى وقوعه، وإن كان مُقدراً فلا سبيل إلى صرفه.

ثانياً: عدم تطمين النَّفس على وقوع ما قد تكرهه، وعدم الرضا بموجب القضاء:

ومن الأسباب المؤدية إلى الجَزَع ترك الرِّضا بما يوجب القضاء، فمَن وطَّن نفسه على ورود المكروه عليها، لا يُظْهِر الجَزَع، ولا يشكو الأسف.[1]

ثالثاً: كثرة الشَّكوى والتذمر:

وهذا ما يزيد الجَزَع في الإنسان. فقد قيل في قوله تعالى: ((فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلاً))، المعارج: (5). إنَّه الصَّبر الذي لا شكوى ولا ضجر ولا تذمّر فيه.[2]

الفرع الثاني: عواقب الجزع.

يتوّلد من الجزع وعدم الصبر على البلايا نتائج عديدة، وهي نتائج غير محمودة لاشك، ومنها:

أولاً: فوات الثواب والأجر، وتضاعف المصيبة، فالجزع لا يفيد، بل يفوّت الأجر، لأنّ الأجر للصابر، والجازع لا أجر له.

---

1 محمد جمال الدين بن قاسم الحلاق القاسمي، **محاسن التأويل**، تحقيق: محمد باسل عيون السود، (بيروت: دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418هـ)، 499/6. ابن القيم الجوزية، **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**،484/2.

2 عبد الرحمن السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ص885. أبو الحسن على بن محمد الماوردي، **أدب الدنيا والدين**، (دار مكتبة الحياة، 1986) ص297.

ثانياً: التأسف وشدَّة التحسر على ما فات، إذ لا يرى الإنسان مِن مصابه خلفًا، فيتأسف ويزداد في الحسرة، ولذلك قال تعالى: ﴿لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾. الحديد: (23)، وقيل للأحنف: "إنَّك لصبورٌ على الجَزَع! فقال: الجَزَع شرُّ الحالين؛ يباعد المطلوب، ويورث الحسرة، ويُبقي على صاحبه النَّدم".[1]

ثالثاً: إن الإنسان الجزوع يتسبب بالشقاء والتعب والملل لمن حوله، وقد ورد في نضرة النعيم: (الجَزِع يشقى به جلساؤه، ويمله أقرباؤه)[2].

رابعاً: الجَزَع يورث الأسقام والعِلَل وقلق النفس واضطرابها[3].

المطلب الثالث: سبل علاج صفة الجزع في الإنسان

سلك القرآن الكريم في علاج صفة الجزع عند الإنسان عدة مسالك، فقد بدأ معالجته ببيان أن الجزع هو جزء من الطبيعة الإنسانية، ثم استند على الجانب العقائدي في معالجة الجزع؛ فبين للإنسان أن الجزع لا يغير من قضاء الله وقدره، وقدم له البديل عن الجزع وهو الالتجاء إلى الله تعالى في الشدائد، والتقوي بذكر الله تعالى الأمر الذي يساعد على الثبات في حال وقوع المصائب، وأخيراً سلك القرآن الكريم مسلك المعالجة بمدح الضّد؛ فنجد القرآن الكريم يمدح الصابرين في الشدائد والمحتسبين في ذلك، وفيما يأتي سنعرض هذه السبل بشكل مفصل مع ذكر الشواهد عليها من الآيات القرآنية:

أولاً: بيان أن الجزع هو من طبيعة الإنسان.

- قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا* إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴾ [المعارج: 19-20].

---

1 أحمد بن مروان الدينوري، **المجالسة وجواهر العلم**، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، (بيروت: دار ابن حزم، ط1، 1914هـ – 1998م)، 113/5.

2 صالح بن عبد الله بن حميد مع عدد من المختثين، **نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ**، (جدة: دار الوسيلة للنشر والتوزيع، ط4)، 4357/9.

3 محمد بن الحسن بن حمدون، **التذكرة الحمدونية**، (بيروت: دار صادر، ط1، 1417هـ)، 183/1.

اختلف المفسرون في المراد بالإنسان، فمنهم قال بأن المراد به الكافر وقال آخرون بأن المراد به بني آدم عموما، وبناء على القول بالعموم أن مزاج بني آدم مجبول على العجز والضعف؛ فإذا أنعم الله عليه وكان حاله اليسر والوفرة منع غيره مما في يده من خير، أما إذا كان حاله القلة والفقر فتجد الإنسان قنوطاً شاكياً لا يصبر على ذلك[1]، فيتبين مما تقدم أن الجزع هو من طبيعة وجبلة بني آدم فلا يسلم منها إلا من سلك طريق الإيمان والتسليم لقضاء الله وقدره.

ثانياً: بيان أن الجزع لا يغير قضاء الله تعالى وقدره.

كما مرّ معنا في أسباب صفة الجزع أن ضعف الإيمان بالله من أبرز تلك الأسباب، وبناء عليه تكون المعالجة بتقوية هذا الجانب الإيماني من خلال توضيح بعض الحقائق، والتي منها أن جزع الإنسان وشكواه لا يغير من قدره ومصابه، فقضاء الله وقدره لا يتغيير مهما كان حال الإنسان من جزع، وقد نص القرآن الكريم على هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ قَالُواْ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ ۖ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴾ [إبرهيم: 21].

الآية الكريمة تصور سوءَ حال المشركين –سواء الأتباع منهم أو المتبوعين– وهم يبحثون عن حال للخلاص من العذاب، ولكن دون فائدة فبعد المحاولات المتكررة يصلون إلى نتيجة إلى أنهم سواء اشتكوا من العذاب أو صبروا عليه فلن يغير ذلك من سوء حالهم[2]، فكان ذلك درساً أراد الخالق بيانه للناس، ليعلموا أن جزعهم وكثرة شكواهم من ضيق حالهم لن ينفعهم بشيء.

ثالثاً: إرشاد الإنسان إلى الالتجاء إلى الله تعالى في الشدائد.

---

1 الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، 611/23.

2 السمرقندي، **بحر العلوم**، 240/2. ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، 488/4.

من أهم السُّبل التي نصّ عليها القرآن الكريم لمعالجة جزع الإنسان وهلعه هو إرشاده إلى الالتجاء لله تعالى وتسليم أمره له؛ ولا يكون ذلك إلا بكمال الإيمان، وكان هذا الإرشاد من خلال الأمثلة القرآنية التي تضمنت إلتجاء الإنسان إلى الله تعالى في المحن والشدائد، ومن هذه الأمثلة:

- قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا ﴾ [يونس: 12].

الآية الكريمة تصور قلة صبر الإنسان في حالة إصابته بضرر أو محنة، فتجده سريع الالتجاء إلى الله بالدعاء وطلب رفع البلاء عنه، فيدعوا الله بكل أحواله قائماً أو قاعداً أو مضطجعاً[1]، وفي ذكر هذه الصورة المتضمنة للاتجاء الإنسان إلى الله تعالى في الشدة إشارة وإرشاد للأنسان بأن يكون هذه حاله لا أن يكون حاله الجزع والهلع.

- قوله تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴾ [فصلت: 51].

وهذه الآية الكريمة كسابقتها إرشاد للإنسان لأن يكون حاله الالتجاء لله تعالى في الشدائد بدل الجزع والهلع، فجاء الإرشاد من خلال تصوير طبيعة النفس البشرية؛ ففي حالة النعمة تعرض عن طريق الهداية وتتمرد عليه، أما إن أصابها الشر والبلاء فتجدها تهرع للدعاء وطلب المساعدة من الله تعالى، ويكون دعاؤها عريضاً أي كثيراً وطويلاً[2].

رابعاً: بيان أن ذكر الله تعالى يساعد على الثبات في الشدائد.

إن بيان أن ذكر الله تعالى يساعد الإنسان على الثبات في الشدائد والمحن ما هو إلا سبيل آخر في معالجة القرآن الكريم للجزع الذي قد يصيب الإنسان، فنجد في الوحي الإلهي الكثير من المواضع التي توصي

1 الرازي، **مفاتيح الغيب**، 219/17. الطبري، **جامع البيان**، 36/15.

2 الطبري، **جامع البيان**، 492/21. السمرقندي، **بحر العلوم**، 233/3.

الإنسان بذكر الله بالتسبيح والتهليل، وأن ذلك سبب لفلاحه ونجاحه، ومن الأمثلة القرآنية على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ ﴾ [الأنفال: 45].

خامساً: مدح صفة الصبر على المصائب.

الناظر في القرآن الكريم يجد أنه يزخر بالآيات المتضمنة لصفة الصبر؛ ففي بعض المواضع تجده يوصي بالصبر وفي بعضها يمدح الصابرين؛ حيث يجعل الصبر على المصائب والمحن سبباً لمغفرة الله تعالى ورضوانه، ومن الأمثلة القرآنية على ذلك:

- قوله تعالى: ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾ [يوسف: 18].

الآية الكريمة من سورة سيدنا يوسف تظهر الصبر في أبهى صوره؛ وهو الصبر الذي لا شكوى معه، لذا وصفه الوحي الإلهي بـ "الجميل"، وقال المفسرون بأن الصبر الجميل أي الذي ليس فيه جزع[1]، فكان في مدح هذا الصورة للصبر توجيهاً للإنسان إليه ودعوة لتركه للجزع.

- قوله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ [هود: 11].

في الآية الكريمة بيان لجزاء أولئك الذي اتصفوا بالصبر وألحقوا ذلك بالعمل الصالح، فيكون جزاؤهم المغفرة من الله والأجر الكبير جنة عرضها السموات والأرض[2]، فينصب هذا البيان لجزاء الصابرين على صبرهم في سبيل علاج القرآن الكريم لصفة الجزع عند الإنسان.

1 الطبري، **جامع البيان**، 584/15. السمرقندي، **بحر العلوم**، 184/2.

2 الماتريدي، **تأويلات أهل السنة**، 200/8. الرازي، **مفاتيح الغيب**، 323/17.

المبحث الثالث: صفة الفرح في الإنسان وسبل علاجها

جاء في القرآن الكريم: ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ ۗ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنسَانَ كَفُورٌ ﴾ الشورى: (48).

وصف البيان الإلهي الإنسان بـ "الفرح" وقرنها به، والفرح من الصفات التي قد ترد في معرض الذم وقد ترد في مواضع أخرى في معرض الإباحة؛ فكان لابد من دراسة هذه الصفة من خلال وردها في المواضع المختلفة في القرآن الكريم، والتمييز بين المذموم منها والمباح، مع محاولة استنباط الوسائل المساعدة على علاج المذموم منها، وذلك في المطالب الآتية:

المطلب الأول: تعريف الفرح في اللغة والاصطلاح، والقرآن الكريم.

أولاً: الفرح في اللغة، والاصطلاح.

يُطلق الفرح في اللغة على ثلاثة معانٍ أساسية هي: البطر والرضا والسرور، وهو فرِح وفَروح وفارحٌ وفرْحان، وهم فَرَاحَى وفَرْحى، وامرأة فرِحة وفرحانة، ويتعدى بالهمزة والتضعيف، فيُقال أفرَحه وفرَّحه[1].

أما الفرح في الاصطلاح: قال الرّاغب الأصفهاني: الفرح: انشراح الصّدر بلذّة عاجلة، وأكثر ما يكون في اللّذّات البدنيّة[2].

وقال المناويّ: الفرح: انفتاح القلب بما يلتذّ به[3].

وقال الكفويّ: الفرح ما يورث أشراً أو بطراً، ولذلك كثيرا ما يذمّ كقوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ويتولّد هذا عن القوّة الشّهويّة.[4]

---

1 الفيومي، المصباح المنير، 466/2. الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص233.

2 الراغب الأصفهاني، **مفردات في غريب القرآن**، ص628

3 المناوي، **التوقيف على مهمات التعاريف**، ص258.

4 أيوب بن موسى الكفوي، **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري، (بيروت: مؤسسة الرسالة)، ص508.

نلاحظ أن الأصفهاني رأى الفرح بمعنى اللذة ورجح أن تكون في اللذات البدنيّة، ولكن المناوي جعلها بمعنى اللذة العامة سواءٌ كانت بدنية أو غيرها، أما الكفوى فنظر إلى الفرح وعرفها بالمعنى السلبي فقط، وهو فرح البطر.

ثانياً: معاني الفرح في السياق القرآني

وردت آيات قرآنية عديدة في موضوع الفرح، وعند النظر إلى هذه الآيات، نجدها وردت في معانٍ ثلاثة كما يلي:

1. **الأشر والبطر**: ومنه قوله تعالى ﴿إن الله لا يحب الفرحين﴾ القصص: (76). وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا ما ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنا عَلَيْهِمْ أَبْوابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذا فَرِحُوا بِما أُوتُوا أَخَذْناهُمْ بَغْتَةً فَإِذا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾، الأنعام: (44). وقوله تعالى: ﴿لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِما أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِما لَمْ يَفْعَلُوا فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفازَةٍ مِنَ الْعَذابِ وَلَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ﴾ آل عمران: (188).
2. **الرضا**: ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، الرعد: (26). بمعنى رضوا بها، ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾، المؤمنون: (53). أي: راضون، وأيضاً قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾، غافر: (83). أي: رضوا بما عندهم من العلم.
3. **السرور**: ومنه قوله تعالى ﴿فرحين بما آتاهم الله من فضله﴾ آل عمران: (170). وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (4) بِنَصْرِ اللَّهِ﴾، الروم: (4-5). وقوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾، يونس: (58).[1]

---

1 أبو هلال العسكري، **الوجوه والنظائر**، تحقيق: محمد عثمان، (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 1428هـ – 2007م)، ص383. يحيى بن سلام التيمي، **التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه**، تحقيق: هند شلبي، (تونس: الشركة التونسية للتوزيع، 1979م)، ص243.

فمن الفرح ما هو مذموم، وهو الّذي يورث الأشر والبطر، ومنه ما هو محمود، وهو ما كان مقيّدا بفضل الله ورحمته، مثل أن يفرح المؤمن بنصر الله، وأن يفرح المؤمن بنشر الإسلام وبوحدة المسلمين، وبتطور الدول المسلمة.

وبما أنّنا بصدد دراسة الصفات السلبية المذمومة في الإنسان، فينبغي التركيز هنا على دراسة الفرح بمعناه السلبي وهو البطر، وعدم شكر الله وثنائه على النعم، وننظر هنا في أسباب الفرح الذي يؤدي إلى البطر ونتائجه، لثم ندرس فيما بعد وسائل تزكية النفس من ذلك المرض.

المطلب الثاني: أسباب الفرح السلبي المذموم

للفرح المذموم أسباب عديدة يمكن جمعها فيما يلي:

1. **سعة الرزق:** فسعة الرزق يمكن أن تنقلب إلى نقمة وشقاء، وذلك إذا أساء الإنسان استخدامها، وقد قسم الأصفاني الناس في طريقة تناولهم النعم والتعامل معها إلى فريقين[1] "فريق يتناوله على الوجه الذي جعله الله لهم فانتفعوا به، فصار ذلك لهم نعمة وسعادة وهم الموصوفون بقوله تعالى: ﴿الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور﴾، الحج: (41). فهؤلاء حيوا بها حياةً طيبة كما قال تعالى: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُ حياةً طيبة﴾، النحل: (97). وفريق يتناولوها لا على الوجه الذي جعلها الله لهم، فركنوا إليها فصار ذلك لهم نقمة وشقاوة، فتعذبوا بها عاجلاً وآجلاً وهم الموصوفون بقوله تعالى: ﴿إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون﴾، التوبة: (55).

1 الراغب الأصفهاني، **تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين**، (بيروت: دار مكتبة الحياة، 1983م)، ص66.

ومن هذا النوع من الفرح فرح قارون كما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ﴾، القصص: (76).

2. قلة الدين وسوء فهمه، فإنّ قلة الدين يؤدي إلى الوقوع في المحظور في جميع نواحي الحياة، وارتكاب كبائر الذنوب.

3. وعليه فإذا رافقت قلة الدين سعةً في الرزق في الدنيا، فإن ذلك يؤدي إلى البطر والتكبر، والمرح في الأرض بدون وجه حق.[1]

وقد ينتج عن هذا الفرح السلبي:

1. الهلاك: كما قال تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾، القصص: (58). فإن سبب الهلاك كما هو ظاهر في الآية هو البطر.

2. زوال النعم، ونزول النقم: كما قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾، النحل: (112). فهذه الآية تدل بشكل واضح على أن زوال النعم كان نتيجة موضوعية للبطر الذي اتصف به هذا القوم[2].

---

1 آيات جهاد عودة شايب، **الفرح في القرآن الكريم، دراسة موضوعية**، رسالة قدمت لنيل درجة الماجستير في أصول الدين، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، ص64.

2 : الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن(تفسير الطبري)**، 309/17.

3. انهيار المجتمع وتفككه: فعندما ينتشر البطر، والفرح بأذية الآخرين، والشماتة بين الناس، فهذا لابدّ أن يفكّك المجتمع ويقطع أواصره[1].

1 آيات جهاد عودة شايب، **الفرح في القرآن الكريم، دراسة موضوعية**، ص64.

المطلب الثالث: سبل علاج الفرح المذموم في الإنسان

من خلال النظر في المعاني التي وردت بها صفة الفرح في القرآن الكريم نجد أنها تتجاذبها سمتان؛ الأولى منهما السمة الإيجابية من خلال تضمن صفة الفرح لمعنى السرور بنعم الله تعالى وأفضاله على الإنسان، والثانية، وهي سمة الذم؛ ويظهر ذلك جلياً في تضمن صفة الفرح لمعنى البطر والرضا بمتاع الدينا وزيفها في مقابل ترك نعيم الأخرة الأبدي الدائم.

وبعد الغور في معاني ودلالات الآيات القرآنية سواء منها المتضمنة لصفة الفرح أو غير المتضمنة، وذلك بهدف استنباط العلاج الرباني للجانب المذموم من هذه الصفة سنعرض فيما يأتي بعض الآيات التي وجدنا أنها اشتملت على علاج لهذه الصفة، فكانت البداية بالتحذير من صفة الفرح، كما تضمنت آيات أخرى التحذير من العاقبة الوخيمة لأؤلئك الذي يعصون أوامر الله تعالى وهم بذلك فرحين.

وأخيراً جاءت آيات تضمنت ذكر صفة الفرح في معرض الذم والسلب، وذلك في إشارة لضرورة الحذر من هذه الصفة، وفيما يأتي سأذكر هذه الأساليب بالتفصيل مع ذكر الأمثلة على كل منها من القرآن الكريم:

أولاً: التحذير من صفة الفرح.

- قوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: 188].

تضمنت الآية التحذير من أسوء أنواع الفرح؛ ألا وهو الفرح بالاجتماع على الكفر، فقد جاء في سبب نزول الآية أنها زلت في اليهود، حيث كتب بعضهم إلى بعض يصوب بعضهم البعض بأن محمدا ليس بنبي، فاجتمعت كلمتهم على الكفر برسالة النبي صلى الله عليه وسلم، فكان ذلك سبباً لفرحهم[1]، وما تقدم من وصف الكافرين بالفرح فيه تحذير للإنسان من الاتصاف بمثل هذا الفرح المذموم والعمل على الابتعاد عنه.

[1] الطبري، **جامع البيان**، 467/7. الرازي، **مفاتيح الغيب**، 457/9.

- قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ ﴾ [يونس: 22].

وهذه الآية كسابقتها تتضمن تحذيراً للإنسان من الفرح الذي فيه بَطَرٌ بسبب نعم الله والتي منها الريح الطيب المساعدة على الإبحار[1]، فمن الأولى للإنسان في هذه الحالات استشعار النعم والمبادرة إلى شكر الله تعالى والحمد له بإظهار الخضوع له والاستسلام لأوامره، لا أن يظهر الفرح والبطر.

ثانياً: بيان العاقبة الوخيمة للفرحين بمعصية أوامر الله.

بعد تحذير القرآن الكريم من الفرح المذموم انتقل إلى بيان العاقبة الوخيمة المترتبة على الفرح، ولا سيما الفرح بمعصية الله تعالى ومخالفة أوامره، ومن الأيات المتضمنة لهذا المعنى:

- قوله تعالى: ﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴾ [التوبة: 81]

فهذه الآية الكريمة نزلت في أولئك المنافقين الذين خالفوا أمر النبي صلى الله عليه وسلم حين دعاهم إلى الغزو معه في غزوة تبوك، فتخلفوا عن اللحاق بالنبي صلى الله عليه وسلم وفرحوا ببقائهم في منازلهم، متذرعين بحر الصيف وعدم قدرتهم على تحمله[2]، فجاء البيان الإلهي بأن عقوبة فرحهم بمخالفتهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ستكون نار جهم وبئس المصير.

- قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾ [الأنعام: 44].

---

[1] الماتريدي، **تأويلات أهل السنة**،28/6. ابن كثير، **تفسير القرآن الكريم**، 268/3.

[2] الطبري، **جامع البيان**، 400/14. السمرقندي، **بحر العلوم**، 78/2.

الآية الكريمة تصور حال الإنسان البعيد عن هدي الله تعالى حين يفتح الله عليه أبواب الخير ويؤتيه أسباب المسرات والسعادة في الدنيا، فلا يكون منه إلا الفرح والبطر من غير شكر لله تعالى أو الاقدام على التوبة والاستغفار، فبذلك يستح ما يأتيه الله من عذاب عظيم من حيث لا يشعر[1].

فالآية بما تتضمنه من بيان للعذاب المنتظر للفرح البطر تشكل رادعاً للإنسان من أن يتصف بالفرح المذموم وعلاجاً لمن وجد فيه شيء من ذلك.

ثالثاً: ذكر صفة الذم في معرض الذم.

إضافةً لما تقدم من تحذير القرآن الكريم من صفة الفرح وبيان للعاقبة الوخيمة التي تنتظر كل فرحٍ بَطِر عالج القرآن الكريم هذه الصفة من خلال ذكرها في معرض الذم و المكروه الغير محبب، وفيما يأتي أذكر أمثلة على ذلك:

- قوله تعالى: ﴿ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴾ [القصص: 76].

جاء النصح على لسان قوم قارون له بأن يبتعد عن الفرح وعللوا ذلك بأن الله لا يحب هذه الصفة، وقد قال أهل التأويل: لا تفرح أي لا تأشر، والأشر: الفرح الشديد الذي يخالطه حرص مذموم إلى أن يصل الإنسان إلى البطر والطغيان[2]، والا يخفى أن الغاية من هذه القصص وما فيها من نصح وعبر هي تزكية النفس الإنسانية وعلاجها من الصفات المذمومة ومنها الفرح.

- قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴾ [هود: 10].

---

[1] الرازي، **مفاتيح الغيب**، 535/12. البيضاوي، **أنوار التنزيل وأسباب التأويل**، 162/2.

2 الطبري، **جامع البيان**، 623/19. السمرقندي، **بحر العلوم**، 620/2.

الآية وصف لطبيعة الإنسان؛ فهو يفرح بالنعمة ويصيبه البطر في حالة السعة والرخاء[1]، فالآية كسابقتها حصرت الفرح في معرض الذم والخلق السيء تنبيهاً للإنسان بوجوب التنزه عن هذا النوع من الفرح والحذر منه.

1 الماتريدي، **تأويلات أهل السنة**، 103/6. الثعلبي، **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، 159/5.

الخاتمة والنتائج

وفي نهاية البحث وصلت إلى مجموعة من النتائج، وهي فيما يلي:

1- نظرة الإسلام للطبيعة الإنسانية مختلفة عما ذهبت إليه الفلسفة الغربية، والتي جعلت الإنسان فصيلة من الفصائل الحيوانية، ناهيك عن أولئك الذي اعتبروا الإنسان كائناً متطوراً لبعض الحيوانات، ولا شكّ أنّ نظرة الإسلام للإنسان أكثر تشريفاً وتكريماً له.

2- لم يقتصر القرآن الكريم على ذكر الصفات المذمومة للإنسان، وإنما ذكر في مقابل كل صفة علاجاً لها وطريقة للتغلب عليها، والتخفيف من آثارها، وذلك عن طريق المعالجة المعرفية والمعالجة العملية.

3- تزكية النفس الإنسانية لا تحصل إلا عن طريق بعثة الرسل عليهم السلام، فهم مرسلون لهداية الأفراد والأمم.

4- إهمال محاسبة النفس وإرخاء الحبل لها يجعل النفس تنغمس في ظلمات الشهوات، في حين أن المداومة على محاسبة النفس من شأنه أن يقلل من الصفات المذمومة لدى الإنسان ويجعل حسابه يسيراً يوم القيامة.

5- فضّل القرآن الكريم مبدأ الوقاية من الصفات المذمومة وذلك بالامتناع عن الوقوع فيها على مبدأ معالجة الصفات المذمومة، فدرهم وقاية خير من قنطار علاج.

6- القرآن الكريم اعتمد كثيراً على مبدأ الترغيب والترهيب-كأسلوبٍ وقاعدةٍ عامةٍ- في معالجة الصفات المذمومة عند الإنسان.

7- القرآن الكريم فيه تعاقبٌ بين الآيات المتضمنة للترغيب والآيات المتضمنة للترهيب دون فصلٍ بينهما؛ وهذا يعود إلى حرصه تعالى على الموازنة بين جانبي الترغيب والترهيب؛ حتى يبقى الإنسان بين شعوري الخوف والرجاء.

8- يُعدّ جهاد النفس وما يتبعه من جهادٍ للهوى والشيطان وحب الدنيا وزينتها، أفضل وسيلة في محاربة صفات الإنسان المذمومة، فالذي لا يجاهد نفسه ليس بإمكانه أن يتخلص من تلك الصفات ومن المعاصي الناتجة عنها كلياً.

9- الصفات المذمومة في الإنسان لا تنحصر حدود تأثيرها في شعور الإنسان وقلبه فقط بل يتعداه إلى التأثير على السلوك، بل قد تصل بالإنسان إلى حد التهلكة، لذلك فإنّ القرآن الكريم عالج هذه الصفات المذمومة بوصفها مرضاً يصيب الإنسان، وذلك عن طريق علاجات عدة؛ منها ما ينحصر تأثيرها في القلب والإيمان، ومنها ما يتعلق بسلوك الإنسان.

10- راعى القرآن الكريم صفة الضعف التي جُبل الإنسان عليها، عن طريق التيسير عليه في الكثير من الأحكام الشرعية حينما تؤدي إلى مشقة في بعض الأحوال.

11- ربط القرآن الكريم بين الإيمان والقوة، فمتى ما وُجِد الإيمان في قلب الإنسان كان مؤهلاً للاتصاف بالقوة وقادراً على أن يتخلص مما في قلبه من ضعف وهوان، فالإيمان هو مصدر قوة للإنسان رغم ما جبلت عليه نفسه من ضعف.

12- الآيات التي يصف الله فيها الإنسان باليأس والقنوط، المراد بالإنسان فيها جنسه الغالب، إذ إنّ هناك مؤمنون صادقون، إذا رزقهم الله النعم شكروا، وإذا ابتلاهم بالمحن صبروا.

13- من سنن الله في خلقه أن ما يجدونه من ضيق وحرج سيتبعه فرج وتيسير من خالقهم عزّ وجل، فمن عرف هذه السنة الإلهية والقاعدة الربانية كانت عوناً له في مواجهة الكثير من الصفات المذمومة كاليأس والقنوط.

14- يعالج القرآن صفة الجحود في الإنسان عن طريق حثه على الشكر- كونه نقيض الجحود- وأن يكون شكر الله والثناء عليه صفة ملازمة للإنسان في كل أحواله، سرائها وضرائها.

15- جميع أنواع الظلم لا تخرج في الحقيقة عن ظلم الإنسان لنفسه ولذاته؛ وذلك لأنّ عواقب هذه الظلم وأوزاره عائدة عليه في نهاية المطاف سواءً أكان ذلك في هذه الدنيا العاجلة، أم في اليوم الآخر.

16- الظلم له أشكالٌ مختلفة، فقد يكون الظلم من الإنسان تجاه نفسه بأن يوردها المهالك في الدنيا والآخرة،، وقد يكون تجاه أخيه الإنسان، وقد عالج القرآن الكريم الظلمَ بأساليب مختلفة ومنوعة، وفي ذلك إشارة إلى ضرورة تجنب هذه الصفة.

17- على الرغم من أنّ الطغيان من أشد الصفات المذمومة، والتي تستوجب العقاب الشديد، فقد أمر الله بجدال الطغاة وحوارهم باللين والقول الحسن، وفي ذلك حكمة عظيمة، وهي أنّ الطغاة يزدادون طغياناً وتجبراً بالشدة والغلظة معهم. فإن لم ينفع هذا الأسلوب معهم، فقد أمر الله بقتالهم ما استطاع المسلمون إلى ذلك سبيلاً.

18- الغالب في استعمال لفظة الكفر في القرآن الكريم، أن يراد به الشرك بالله وإنكار الربوبية والرسالات السماوية، وقد يرد أحياناً بمعانٍ أخرى مثل النفاق والعناد والجحود.

19- المقصود بصفة الجهل في الإنسان ليس عدم العلم فقط، بل يأتي في أغلب الأحيان جدالاً على معانٍ أخرى سيئة، مثل ارتكاب الكبائر والشرك بالله، فمرتكب الكبيرة جاهل، والمشرك بالله جاهل أيضاً.

20- لفظة الجهل في القرآن الكريم ليس معناها دائماً عدم العلم، بل ترد بمعنى الشرك بالله أيضاً.

21- صفة الجدل التي نسبها الله تعالى لأنبيائه، وذلك بمجادلتهم لأقوامهم ومحاولتهم إظهار الحق لهم، هو الجدل المحمود، أما صفة الجدل التي قُرِنت بالإنسان بشكل عام، فهي في الغالب من النوع المذموم المنهي عنه.

22- الجدال في أي شيء مقيت وبغيض ومذموم في الشريعة الإسلامية، وخير دليل على ذلك أنّ الله تعالى ربط في القرآن الكريم بين الجدال واتباع الشياطين.

23- أشد أنواع الجدل سوءاً وذمّاً هو الجدل الذي يمارسه الإنسان من أجل نصرة الباطل ودحض الحق.

24- العجلة ليست مرادفة للسرعة، فالسرعة التقدم فيما ينبغي التقدم فيه، وهي صفة محمودة، أما العجلة فهي التقدم فيما لا ينبغي التقدم فيه وهي صفة مذمومة ونقيضها الأناة وهي محمودة.

25- ليس للبخل حكمٌ واحدٌ يصلح أن ينطبق على جميع صوره وأنواعه، فالبخل إمّا محرم شرعاً وإمّا مكروه، وذلك بحسب ما يبخل به الإنسان.

26- صفة الجزع جزء من الطبيعة الإنسانية، ولا يمكن التخلص منها إلا بالأخذ بالوسائل القرآنية لعلاجها، وأهم وسيلة لعلاج الجزع هو الإيمان والتسليم لقضاء الله وقدره.

27- الفرح ليس كظاهره محموداً دائماً، فمن الفرح ما هو مذموم أيضاً، وهو الّذي يورث الأشر والبطر، وفي المقابل منه ما هو محمود، وهو ما كان مقيّدا بفضل الله ورحمته، مثل أن يفرح المؤمن بنصر الله، وأن يفرح المؤمن بنشر الإسلام .

المصادر والمراجع

- إبراهيم بن محمد بن عبد الله العيسى، **صفات الإنسان المذمومة في القرآن الكريم، وسبل التزكية منها في ضوء مصادر التربية الإسلامية**، (جامعة أسيوط، كلية التربية، إدارة البحوث والنشر العلمي، مجلد35، عدد1، 2019م).
- ابن أبي زمنين، **تفسير القرآن العزيز**، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة – محمد بن مصطفى الكنز، (القاهرة: الفاروق الحديثة، ط1، 1423هـ-2002م).
- ابن الأثير، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي، (بيروت: المكتبة العلمية، 1399هـ-1979م).
- ابن القيم الجززية، **مدارج السالكين**، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط3، 1416هـ - 1996م).
- ابن القيم الجوزية، **جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، عبد القادر الأرناؤوط، (الكويت: دار العروبة، ط2، 1987).
- ابن القيم الجوزية، **طريق الهجرتين وباب السعادتين**، تحقيق: محمد أجمل الإصلاحي، (الرياض: دار عطاءات العلم، ط4، 1440-2019).
- ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، (المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1416-1995).
- ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار المعرفة، 1379هـ).
- ابن مفلح، **الآداب الشرعية والمنح المرعية**، (عالم الكتب).

- أبو الحسن على بن محمد الماوردي، **أدب الدنيا والدين**، (دار مكتبة الحياة، 1986).
- أبو الحسن علي الحسني الندوي، **العقيدة والعبادة والسلوك في ضوء القرآن والسنة والسيرة النبوية**، (الكويت: دار القلم. ط2، 1983م).
- أبو السعود العمادي، **تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، (بيروت: دار إحياء التراث العربي).
- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (مكة المكرمة-دار التربية والتراث).
- أبو حامد الغزالي، **إحياء علوم الدين**، (بيروت: دار المعرفة).
- أبو حامد الغزالي، **المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى**، (قبرص: الجفان والجابي، قبرص، 1407هـ 1987م)
- أبو حيان التوحيدي، **المقابسات**، (الكويت- دار سعاد الصباح-1431هـ).
- أبو نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني، **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، (مصر: مطبعة السعادة، 1394هـ).
- أبو هلال العسكري، **الفروق في اللغة**، (دار الأفاق الجديدة- بيروت، 1400هـ 1980م).
- أبو هلال العسكري، **الوجوه والنظائر**، تحقيق: محمد عثمان، (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 1428هـ – 2007م).
- أحمد بن إبراهيم الثعلبي، **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، (جدة: دار التفسير، ط1، ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م).
- أحمد بن محمد بن علي الفيومي، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، (بيروت: المكتبة العلمية).

- أحمد بن مروان الدينوري، **المجالسة وجواهر العلم**، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، (بيروت: دار ابن حزم، ط1، 1914هـ – 1998م).
- أحمد بن مصطفى المراغي، **تفسير المراغي**، (مصر: مصطفى البابي الحلبي، ط1، 1365هـ).
- أحمد مختار عمر، **معجم اللغة العربية المعاصر**، (بيروت– عالم الكتب–1432هـ).
- إسماعيل بن حماد الفارابي، **الصحاح تاج اللغة**، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، (بيروت: دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة، 1987م).
- إسماعيل بن عمر ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: سامي سلامة، (القاهرة: دار طيبة، الطبعة الثانية، 1999م).
- إسماعيل حقي بن مصطفى أبو الفداء، **روح البيان**، (بيروت: دار الفكر).
- أمل بنت عبدالعليم عبدالعظيم بستوي، **اليأس والقنوط وعلاجهما في القرآن الكريم**، (بحث مقدم إلى اللقاء العلمي الثامن لطلاب وطالبات جامعة أم القرى، محور الأبحاث العلمية–مسار العلوم الإنسانية، 1341هـ).
- آمنة محمد نصير، **إنسانية الإنسان في الإسلام**، (دار الشروق، بيروت، 1904هـ 1989م).
- أول الدين يحيى الأندونسي، **آيات الكفر في القرآن الكريم دراسة موضوعية**، (ماليزيا: جامعة المدنية العالمية، 1434هـ).
- آيات جهاد عودة شايب، **الفرح في القرآن الكريم، دراسة موضوعية**، رسالة قدمت لنيل درجة الماجستير في أصول الدين، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين.
- إيمان محمود، **الفرق بين البشر والإنسان في القرآن الكريم**، مقال منشور في موقع المرسال على شبكة الإنترنيت.

- أيوب بن موسى الكفوي، **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري، (بيروت: مؤسسة الرسالة).
- البيضاوي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى، – ١٤١٨ هـ).
- تاج الدين السبكي، **الأشباه والنظائر**، (بيروت: دار الكتب العلمية: 1411هـ).
- جمال الدين أبو الفرج ابن الجوزي، **ذم الهوى**، تحقيق: مصطفة عبد الواحد.
- الحارث بن أسد المحاسبي، **المسائل في أعمال القلوب والجوارح**، (بيروت، دار الكتب العلمية، 2019م).
- حامد عبدالسلام زهران، **الصحة النفسية والعلاج النفسي**، (القاهرة–عالم الكتب– 1426هـ).
- الحسن بن عبد الله بن مهران العسكري، **الفروق اللغوية**، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، (القاهرة: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع).
- حسين بن علي بن حسين الحربي، ، **قواعد الترجيح عند المفسرين، دراسة نظرية تطبيقية**، (دار القاسم، ط1، 1996).
- الحسين بن مسعود البغوي، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، (الرياض–دار طيبة– 1417هـ).
- خالد عثمان السبت، **قواعد التفسير جمعاً ودراسة**، (الرياض: دار ابن القيم، ط1، 1434هـ).
- الخليل بن أحمد الفراهيدي، **العين**، (دار ومكتبة الهلال، 1431هـ).
- الرازي، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (دمشق: دار الفكر، 1399هـ – 1970).
- الراغب الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، (دمشق: درا القلم، الطبعة الأولى 1412هـ).

- الراغب الأصفهاني، **تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين**، (بيروت: دار مكتبة الحياة، 1983م).
- السمرقندي، بحر العلوم
- زاهر عوض الألمعي، **منهاج الجدل في القرآن الكريم**، (بيروت- مطابع الفرزدق التجارية، الطبعة الثالثة، 1404هـ).
- زكريا الأنصاري، **الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة**، تحقيق: مازن المبارك، (بيروت: دار الفكر المعاصر، ط1، 1411).
- سعيد الشهراني، **السياق القرآني وأثره في تفسير المدرسة العقلية الحديثة**، (رسالة دكتوراه- جامعة أم القرى).
- سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (دار إحياء الكتب العربية).
- صالح بن عبد الله بن حميد مع عدد من المختصين، **نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم** ﷺ، (جدة: دار الوسيلة للنشر والتوزيع، ط4).
- عبد الحق ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، (بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1422هـ).
- عبد الرحمن السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ -2000 م).
- عبد الرحمن النحلاي، **أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع**، (دمشق: دار الفكر، 1428هـ).
- عبد الرحمن بن علي الجوزي، **مواعظ ابن الجوزي**، (بدون معلومات).

- عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، **زاد المسير في علم التفسير**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (بيروت: دار الكتاب العربي، 1422هـ، ط1).
- عبد الرحمن بن محمد الجوزي، **نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر**، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، ١٤٠٤هـ).
- عبد الرحمن بن مخلوف الثعالبي، **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، (بيروت- دار إحياء التراث العربي- 1418هـ).
- عبد الرحمن بن ناصر السعدي، **القول السديد شرح كتاب التوحيد للإمام المجدد محمد بن عبدالوهاب**، تحقيق: صبري بن سلامة شاهين، (الرياض: دار القبس، ط2، 1431هـ).
- عبد الرحمن بن ناصر السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**. (بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 2000م).
- عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، (بيروت: دار الفكر)، 3.48/3.

ابن كثير، **مختصر تفسير ابن كثير**.

- عبد الله بن أحمد النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، تحقيق: يوسف بديوي، (بيروت: دار الكلم الطيب، الطبعة الأولى، 1998م).
- عبدالرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي، **التوقيف على مهمات التعاريف**، (القاهرة: عالم الكتب، الطبعة الأولى 1410هـ).
- عبدالله بن عيسى الدبوسي، **الأمد الأقصى**، (بيروت- دار الكتب العلمية).
- علي بن أحمد بن حزم الأندلسي، **طوق الحمامة في الألفة والألاف**، (بيروت- المؤسسة العربية للدراسات والنشر-1431هـ).

- علي بن محمد البصري البغدادي، **أدب الدنيا والدين**، (بيروت: درا مكتبة الحياة، بدون طبعة).
- علي بن محمد الجرجاني، **التعريفات**، (بيروت- دارا الكتب العلمية- 1403هـ).
- علي بن محمد بن محمد الماوردي، **النكت والعيون**، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود، (بيروت: دار الكتب العلمية).
- القرافي، أحمد بن إدريس، **الذخيرة**، تحقيق: محمد بو خبزة، (بيروت: دار الغرب ط1، 1994 م).
- القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، 159/19.
- ماجد عرسان الكيلاني، **تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية**، (دمشق: مكتبة دار التراث، 1985).
- مجد الدين أبو طاهر الفيروزآبادي، **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، تحقيق: محمد علي النجار، (القاهرة: لجنة إحياء التراث الإسلامي).
- مجموعة من المؤلفين وبإشراف محمود حمدي زقزوق، الموسوعة الإسلامية العامة، (وزارة الأوقاف- القاهرة-1424هـ).
- محمد ابن منظور، **لسان العرب**، (بيروت: دار صادر، ط3، 1993م).
- محمد الزبيدي، تاج العروس، (وزارة الإرشاد والأنباء- الكويت، 1422هـ 2001م).
- محمد الطاهر بن عاشور، **التحرير والتنوير**، (تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م).
- محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، **الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة**، (بيروت: دار ابن حزم، الطبعة الأولى 1442هـ).
- محمد بن أبي بكر الرازي، **مختار الصحاح**، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، (بيروت: المكتبة العصرية، ط5، ١٩٩٩م).

- محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، **إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان**، (الرياض- مكتبة المعارف- 1431هـ).
- محمد بن أحمد القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، (القاهرة- دار الكتب المصرية- 1384هـ).
- محمد بن أحمد بن حزم الكلبي، **التسهيل لعلوم التنزيل**، (بيروت: شركة دار الأرقم بن الأرقم، الطبعة الأولى، 1416هـ..
- محمد بن الحسن ابن فورك، **تفسير ابن فورك**، تحقيق: علال بندويش، (السعودية: جامعة أم القرى، الطبعة الأولى، 2009م).
- محمد بن الحسن بن حمدون، **التذكرة الحمدونية**، (بيروت: دار صادر، ط1، 1417هـ).
- محمد بن حيان الأندلسي، **البحر المحيط في التفسير**، (بيروت- دار الفكر-1420هـ).
- محمد بن صالح بن محمد العثيمين، **القول المفيد على كتاب التوحيد**، (السعودية: دار ابن الجوزي، ط2، ١٤٢٤هـ).
- محمد بن عبدالله ابن أبي مزنين المالكية، **تفسير القرآن العزيز**، (القاهرة: الفاروق الحديثة، الطبعة الأولى، 1423هـ).
- محمد بن علي الشوكاني، **فتح القدير**، (دمشق، دار ابن كثير، ط1، 1414هـ).
- محمد بن عمر الرازي، **مفاتيح الغيب**، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1431هـ).
- محمد بن محمد أبو منصور الماتريدي، **تأويلات أهل السنة**، (بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 2005م),
- محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، (بيروت، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، طبعة8، ٢٠٠٥م).

- محمد جمال الدين بن قاسم الحلاق القاسمي، **محاسن التأويل**، تحقيق: محمد باسل عيون السود، (بيروت: دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418هـ).
- محمد حسين أبو الفتوح، **قائمة معجمية بألفاظ القرآن الكريم ودراجات تكرارها**، (بيروت- مكتبة لبنان-1410هـ).
- محمد سيد طنطاوي، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، (القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى).
- محمد عميم البركتي، **التعريفات الفقهية**، (باكستان- دار الكتب العلمية- 1424هـ).
- محمد مختار الشنقيطي، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، (بيروت- دار الفكر-1425هـ).
- محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، تحقيق: علي عبد الباري عطية، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، ١٤١٥هـ).
- محمود بن عمرو الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، (بيروت: دار الكتاب العربي، الطبعة الثالثة، 1407هـ).
- محمود خليل أبو دف، **ممارسات طلبة الجامعة الإسلامية التربوية لتزكية النفس وعلاقتها ببعض المتغيرات**، (غزة: كلية التربية، الجامعة الإسلامية).
- مقاتل بن سليمان الأزدي، **تفسير مقاتل بن سليمان**، تحقيق: عبدالله محمود شحاته، (بيروت: دار إحياء التراث، االطبعة الأولى، 1423هـ).
- منصور بن محمد السمعاني، **تفسير القرآن**، تحقيق: ياسر ابراهيم وغنيم عباس، (الرياض: دار الوطن، الطبعة الأولى، 1997م).

- نعيمة عبدالله البرش، **آفات النفس كما يصورها القرآن الكريم**، (رسالة ماجستير في تقسم التفسير وعلوم القرآن، الجامعة الإسلامية، غزة).
- هبه الجندي، **مفهوم الإنسان عند الفلاسفة**، مقال منشور على شبكة الإنترنيت، موقع حياتك،
- وهبه الزحيلي، التفسير المنير، (دمشق- دار الفكر-1411هـ).
- يحيى بن سلام التيمي، **التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه**، تحقيق: هند شلبي، (تونس: الشركة التونسية للتوزيع، 1979م).
- يحيى بن شرف النووي، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط2، 1392هـ).

المراجع باللغة التركية:

ALTUNTAŞ Halil . ŞAHİN Muzaffer. **Kur'an-I Kerim Meâli**. Diyanet İşleri Başkanlığı Yayınları. 2011.

DOĞAN ،Recep ،**Kur'ân'a Göre İnsanın Evrendeki Yeri** ،Ankara Üniversitesi-2008.

Fatih İBİŞ. **Kur'an Bağlamında Nefs Olgusu Ve İnsanın Teo-Ontolojik Yapısı Üzerine Bir Deneme**. Toplum Bilimleri • Temmuz - Aralık 2012 • 6 (12).

Muhammed Hamdi Yazır. **Hak Dini Kur'an Dili**. Sadeleştiren :Prof. Dr. Sadık Kılıç.

Ömer Nasuhi BİLMEN. **Kur'an-ı Kerim'in Türkçe Meali Alisi ve Tefsiri**. SERDAR BİLMEN. İstanbul.

SAK. HASAN İSLAM. **Kur'ân'da İnsanın Yapısına Dair Kullanılan Olumsuz İfadeler**. Necmettin Erbakan Üniversitesi.2012.

السيرة الذاتية

أكمل الباحث دراسته الثانوية في مدينة دهوك ثم التحق بجامعة دهوك – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية– قسم الدراسات الإسلامية– واكمل الدراسة فيها عام1996 م، وانتقل الباحث إلى الأردن لإكمال الماجستير في عمان– بجامعة العلوم الإسلامية العالمية، كلية أصول الدين، قسم تفسير القران وعلومه، وتخرج منها عام 2012م، ومن ثم التحق الباحث بجامعة كارابوك في تركيا لإكمال دراسة الدكتوراه في معهد الدراسات العليا– قسم العلوم الإسلامية الأساسية، ويعمل الباحث حالياً عضواً في مجلس النواب العراقي.

KUR'AN-I KERİM'DE İNSANIN KINANAN ÖZELLİKLERİ VE BUNLARI KURAN'IN ELE ALIŞ BİÇİMİ (SEMANTİK BİR İNCELEME)

2024
DOKTORA TEZİ
TEMEL İSLAM BİLİMLERİ

Omar Salih Omar FARES

Tez Danışmanı
Doç. Dr.İbrahim Hakkı İMAMOĞLU